# إطلالة على كلام أمير البيان
## علي بن أبي طالب عليه السلام

تأليف

السيد غسان السامرائي

مركز الدليل العقائدي

مركز بحثي متخصص في الرد على شبهات المخالفين


## هوية الكتاب

عنوان الكتاب: إطلالة على كلام أمير البيان علي بن أبي طالب عليه السلام

تأليف: السيد غسان السامرائي

الناشر: مركز الدليل العقائدي

الإخراج الفني: صفاء أحمد الشمري

الطبعة: الأولى

عدد النسخ: ١٠٠٠

سنة الطبع: ١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤ م

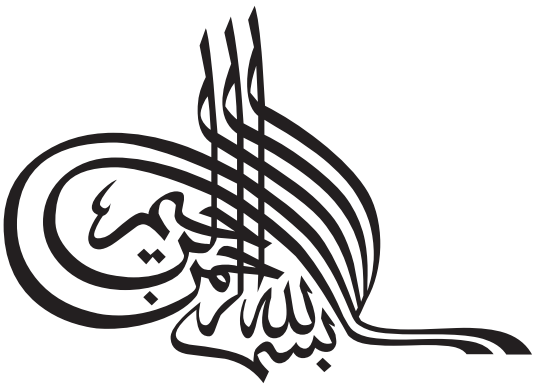
بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمةُ المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسلامُ الأتمّانِ الأكملانِ على سيّدِ الأوّلينَ والآخرين وأشرفِ الخلقِ أجمعين، سراج المهتدين، والمبعوث رحمة للعالمين، المصطفى محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.. وبعد:

انطلاقًا من قوله عزّ وجلّ: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[1]، أخذ مركز الدليل العقائدي على عاتقه التصدّي للشُّبُهاتِ التي تطال العقيدةَ الإسلامية عمومًا، والتعريفَ بعقائدِ الشيعة الإماميّة خصوصًا، مع التصدي للرد على كلِّ الشبُهات التي تطال المذهبَ الشيعيَّ خاصة، هذا المذهب الشريف الذي أَسَّس بنيانَه، ووَضَع لبناتِه الأُولى النبيُّ الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم حين قال في حديثٍ صحيح: (إني تاركٌ فيكم خليفتين: كتاب الله حبلٌ ممدود ما بين الأرض والسماء، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يتفرَّقا حتى يردا عليّ الحوض)، وما تلاه من بياناتٍ وأحاديث متضافرة تحثّ على التمسُّك والأخذ والمتابعة للثقلين (الكتاب والعترة) معًا، كهذا الحديث الصحيح: (إني تاركٌ فيكم ما إنْ تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يرِدا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)، وغيرها من الأحاديث

(١) فصلت: ٣٣.

الشريفة الصحيحة الواردة في هذا الجانب، التي يكاد المنصفُ أن يقول بتواترها، بل هي متواترة فعلًا، لتضافر نقلها عند جميع الفِرَق الإسلامية على اختلاف مشاربهم الفقهية والعقَدية.

وكل هذه الردود إنما تجري على وفق أسسٍ علمية ومنهجية سليمة، بعيدةٍ عن التعصُّب الأعمى والانغلاق المقيت، فالعلمُ هو السلاح الوحيد النافذ الذي يصح الاحتجاج به، وما عداه لا قيمةَ له، وقد نُسِب إلى سيد الموحِّدين أميرِ المؤمنين مولانا عليِّ بن أبي طالبٍ عليه السلام قوله:

ففُزْ بعلمٍ ولا تطلُبْ به بدلًا فالناسُ مَوتى وأهلُ العِلم أحياءُ

وعلى وفق هذه المعطَيات جاء كتاب "إطلالة على كلام أمير البيان علي بن أبي طالب عليه السلام"، لمؤلفه السيد غسان السامرائي، ونسأل الله العلي القدير أن يجعله ذخرًا لمؤلفه يوم الحشر، وأن يحشره مع محمد وآله المنتجبين، إنه سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه أجمعين محمد وآله الطيبيين الطاهرين.

مركز الدليل العقائدي

مهدي الموسوي الجابري

النجف الأشرف

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤ م

## مقدمة المؤلف

ظامئَ الشِّعر، ها هُنا يُولَـدُ الشِّعرُ، وتنمو نُسورُهُ وتطيرُ
ها هُنا تنشُرُ البلاغَةُ فَرعَيها فتَستافُ مِنْ شَذاها الدُّهـورُ
هَدَرَتْ حَولَهُ بِكُوفانَ يومـاً ثمَّ قَرَّتْ، وما يـزالُ الهَـديرُ
وسَيَبقى يهُزُّ سَمْـعَ اللّيالي مِنبَرٌ مِـنْ بَيانِـهِ مَسحُـــورُ

ما أبلغها من أبيات، وما أصدقها من كلمات، نطق بها الشاعر العراقي الكبير السيد «مصطفى جمال الدين» رحمه الله، وهو يرسم صورة أمير المؤمنين عليه السلام واقفاً على منبر مسجد الكوفة، يهدر في بيانه، هديراً، وإن كان قرّ وقتها (كما وصفها هو عليه السلام بعد الخطبة الشقشقية المعروفة)، ولكنه بقي هادراً مجلجلاً منيراً، يهز الليالي والأيام، وقد خرجت موجاته من منبر سحر بيانه ففاضت منه كلماته...

هدفي من هذا العمل الصغير هو الإشارة إلى هذا الكنز الهائل الذي خلفه لنا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، من خلال إطلالة على كلامه في أغراض متنوعة. ومن أجل أن تحقق هذه الإطلالة هدفها، فإنها ينبغي أن تتضمن ما يعرّف الكلام والطريقة والإحاطة الكبيرة بسائر المواضيع.

ولهذا، فقد جعلته في بضعة فصول:

فصل يصف المتقين، في أحوالهم المختلفة، وقد تحدثت في جملة أو أكثر عن كل فقرة من فقرات تلك الخطبة المهمة. فهذا فصل في الذي ينبغي أن يكون عليه التقيّ في علاقته بالله والناس والدنيا كلها.

وفصل يعرض رسالة من رسائله عليه السلام، وهذه أعدها من أعظم رسائله، حيث أرسلها جواباً على رسالة من عدوه والخارج على خلافته الشرعية والباغي عليه معاوية بن أبي سفيان، وقد علقت على كل فقرة من فقراتها. فهو فصل يجيب ويقرّع ويفضح ويهدد ويتوعد ويقيم الحجة بحيث يقلب مراد الكاتب إلى ضده.

ثم فصل يعرض رسالة من رسائله عليه السلام إلى أحد أوليائه، عامله على البصرة الصحابي عثمان بن حنيف الأنصاري رضي الله عنه، أرسلها لمجرد أن الخبر وصل إليه أن عامله قد استجاب إلى دعوة من بعض وجهاء البصرة، ليستثمرها في التحليق في سماء أخلاقه ونظرته إلى الدنيا وغيرها من جوانب علاقة الحاكم بالمحكوم، بل علاقة الحاكم بالدنيا كلها.

بعد هذا فصل يختلف عن الذي تقدم، فهو كلامه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد انتهى من دفن بضعته الزهراء عليها السلام كلام فيه تعزية، كما أن فيه شكوى الحزين من حاله عليه السلام بعد فراقهما، والشكوى من الذي فعله الناس بالفقيدة

عليها السلام والطلب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يتحرى منها عن الذي جرى...

يتبعه فصل لستٍّ من كلماته عليه السلام في العلاقة بالله وبالقرآن وبرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبعضها مما اشتهر عنه عليه السلام، ولكن ربما دون التدقيق في الفهم.

ثم فصل آخر شبيه، ولكنه مما يتعلق بالإنسان والحياة - عشر كلمات تصلح منهاجاً، للنهوض من أحوال الضعف البشري وربما السقوط أمام الدنيا من جانب، ولوصف هذه الأحوال الضعيفة من جانب آخر.

ثم كلام ألفت النظر فيه إلى الفارق الهائل بين الإمام علي عليه السلام وغيره من العلماء والمتحدثين والخطباء وغيرهم ممن أثر عنهم الكلام في خطب أو رسائل أو كلمات هنا وهناك، وذلك من خلال بعض كلماته الفريدة في توحيد الله عز وجل، كما من خلال رأي مجموعة من مؤلفي الكتب المدرسية في كلامه عليه السلام وبالتالي في منزلته بين الخطباء في العربية وفي البشرية كلها.

أما الخاتمة، فهي دعوة إلى التفكر لمن سمع شيئاً من كلمات علي عليه السلام كما لمن لم يسمع شيئاً منها... والتفكر من شأنه إلفات النظر لتفتح الأبواب أمام المعرفة والحقيقة.

غسان السامرائي

# الإمام علي عليه السلام يصف المتقين

## «عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم»

## عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[1]، وهذا يشير إلى أن الغاية من الصيام هي تحقيق «التقوى» في «الذين آمنوا».

وتعبير «الذين آمنوا» ليس بالضرورة «المؤمنين» بمعنى تحقق صدق الإيمان في قلوبهم، ولكنه -في أغلب الآيات- التعبير القرآني عن «الجماعة المسلمة» التي أعلنت دخولها الدين الجديد لا سيما والتعبير بالفعل الماضي «آمنوا»، وهؤلاء فيهم أنواع المسلمين، وحتى المؤمنون فيهم تتفاوت درجاتهم الإيمانية، بل تتفاوت أحوال كل شخص منهم حيث أن الإيمان يزيد وينقص ويأتي ويذهب حسبما ينص عليه القرآن.

مثلاً يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾[2]، فهم قد «آمنوا» بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم عندما أعلنوا الدخول

(١) البقرة:١٨٣.
(٢) النساء:١٣٦.

في الإسلام، ولكن لا يزالون بحاجة إلى التسامي في الدين الجديد وتفعيله في حياتهم حتى يصدق عليهم وصف «المؤمنين».

وعليه: فإن الصيام آلية لجميع المسلمين باتجاه التقوى، حيث أننا نجد القرآن الكريم يحث في طياته على «التقوى» بأشكال مختلفة.

مثلاً، يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[1]، فإن صفة «الذين آمنوا» تحتاج إلى «اتقوا الله» كي تمنع من السقوط في «نسوا الله»، ولا شك في أن «نسيان الله» تعالى يناقض صدق الإيمان.

بل ويصل إلى القول: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[2]، أي أن «التقوى» هي الأهم، وعليك الاستزادة منها مهما كانت ظروفك وقابلياتك، فلا تقل أنا أضعف من هذا أو أن ظروفي لا تساعد على هذا، لأن الله يعلم ذلك كله، المهم هو مسيرتك الصادقة في التصاعد في حالة التقوى، ومهما نجحت في الوصول إليه فهو حسن جميل.

فكم هي مهمة هذه «التقوى».

---

(١) الحشر: ١٨-١٩.

(٢) التغابن: ١٦.

لهذا، فلا عجب أن المولى عز وجل قد جعل لها شهراً كاملاً في السنة، بآلية الصيام، من أجل تحقيقها في النفوس، ﴿**كُتِبَ عَلَيكُمُ الصِّيَامُ... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾.

موضوع الفصل هو المناسب لشهر الصيام الذي يستهدف تحقيق التقوى، فإن خطبة الإمام علي عليه السلام التي يصف فيها «المتقين» مما نحاول الاستفادة من بعض كلماتها في واقع حياتنا، والتي يمكن جعلها كلها ضمن العنوان الأكبر لقوله عليه السلام في تلك الخطبة: «عَظُمَ الخَالِقُ فِي أنفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعيُنِهِمْ».

❁❁❁

## القسم الأول

من خطبة لأمير المؤمنين، أمير البلاغة، علي بن أبي طالب عليه السلام في «وصف المتقين»، وهي الخطبة رقم ١٩٣ من كتاب «نهج البلاغة» الذي جمع فيه الشريف الرضي رحمه الله من خطب ورسائل وكلمات مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ما حارت العقول في سموّه وعمقه ومعانيه ومراميه وتنوّعه، فلا يصدر إلا منه عليه السلام.

ولا عجب، بعد أن أعلمنا هو عليه السلام كيف كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصنع معه: «وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه»[1]، لا عجب أن تنور العالم كلماته ومواعظه عبر القرون، كما عبر السيد مصطفى جمال الدين رحمه الله:

هَدَرَتْ حولهُ بكوفانَ يوماً ثمّ قرّتْ، وما يزالُ الهديرُ

وسيبقى يهُزُّ سمعَ الليالي منبرٌ من بيانِهِ مسحورُ

أورد الخطبة كلها أولاً، ثم أفصل النظر في بعض فقراتها فقرات ست لاحقة من أجل الاستفادة من بعض كلماتها (المؤشرة بخط تحتها فيما يلي) في واقع حياتنا، والتي يمكن جعلها كلها ضمن العنوان الأكبر: "عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ".

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، ج٩، ص١٣١.

روي أنّ صاحباً لأمير المؤمنين عليه السلام يقال له «هَمّام» كان رجلاً عابداً، فقال له: «يا أمير المؤمنين، صف لي المتقين كأني أنظر إليهم».

فتثاقل عليه السلام عن جوابه، ثم قال: «يا همّامُ، اتقِ اللهَ وأحْسِنْ فَ «إنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا والَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ».

فلم يقنع همّامٌ بِذَلِكَ القول حتّى عزم عليه.

قال: فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال عليه السلام:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ، لِأَنَّهُ لاَ تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ، وَلاَ تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ، فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ.

فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ:

مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الاْقْتِصَادُ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ.

غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ.

نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلاَءِ كَالَّتِي نَزَلَتْ فِي الرَّخَاءِ.

لَوْلاَ الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي

أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْن، شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ.

عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ.

قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ.

صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً، تِجَارَةٌ مَرْبِحَةٌ، يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُم.

أَرَادَتْهُمُ الْدُّنْيَا وَلَمْ يُرِيدُوهَا، وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا.

أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ، تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلاً، يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ، فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً، وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ، وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ، فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، مُفْتَرِشُونَ لِجَبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ، وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَى اللهِ فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ.

وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ، قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ الْنَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى، وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ

مَـرَض، وَيَقُـولُ: قَـدْ خُولِطُـوا! وَلَقَـدْ خَالَطَهُـمْ أَمْـرٌ عَظِيـمٌ!

لاَ يَرْضَـوْنَ مِـنْ أَعْمَالِهِـمُ الْقَلِيـلَ، وَلاَ يَسْـتَكْثِرُونَ الْكَثِيـرَ، فَهُـمْ لِأَنْفُسِـهِمْ مُتَّهِمُـونَ، وَمِـنْ أَعْمَالِهِـمْ مُشْـفِقُونَ.

إِذَا زُكِّـيَ أَحَـدٌ مِنْهُـمْ خَـافَ مِمَّـا يُقَـالُ لَـهُ، فَيَقُـولُ: أَنَـا أَعْلَـمُ بِنَفْسِـي مِـنْ غَيْـرِي، وَرَبِّـي أَعْلَـمُ مِنِّـي بِنَفْسِـي! اللَّهُـمَّ لاَ تُؤَاخِذْنِـي بِمَـا يَقُولُـونَ، وَاجْعَلْنِـي أَفْضَـلَ مِمَّـا يَظُنُّـونَ، وَاغْفِـرْ لِـي مَـا لاَ يَعْلَمُـونَ.

فَمِـنْ عَلاَمَـةِ أَحَدِهِـمْ أَنَّـكَ تَـرَى لَـهُ قُـوَّةً فِـي دِيـنٍ، وَحَزْمـاً فِـي لِيـنٍ، وَإِيمَانـاً فِـي يَقِيـنٍ، وَحِرْصـاً فِـي عِلْـمٍ، وَعِلْمـاً فِـي حِلْـمٍ، وَقَصْـداً فِـي غِنـىً، وَخُشُـوعاً فِـي عِبَـادَةٍ، وَتَجَمُّـلاً فِـي فَاقَـةٍ، وَصَبْـراً فِـي شِـدَّةٍ، وَطَلَبـاً فِـي حَـلاَلٍ، وَنَشَـاطاً فِـي هُـدىً، وَتَحَرُّجـاً عَـنْ طَمَـعٍ.

يَعْمَـلُ الْأَعْمَـالَ الصَّالِحَـةَ وَهُـوَ عَلَـى وَجَـلٍ، يُمْسِـي وَهَمُّـهُ الشُّـكْرُ، وَيُصْبِـحُ وَهَمُّـهُ الذِّكْـرُ، يَبِيـتُ حَـذِراً، وَيُصْبِـحُ فَرِحـاً، حَـذِراً لَمَّـا حُـذِّرَ مِـنَ الْغَفْلَـةِ، وَفَرِحـاً بِمَـا أَصَـابَ مِـنَ الْفَضْـلِ وَالرَّحْمَـةِ.

إِنِ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيما تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيما تُحِبُّ.

قُـرَّةُ عَيْنِـهِ فِيمَـا لاَ يَـزُولُ، وَزَهَادَتُـهُ فِيمَـا لاَ يَبْقَـى، يَمْـزُجُ الْحِلْـمَ بِالْعِلْـمِ، وَالْقَـوْلَ بِالْعَمَـلِ. تَـرَاهُ قَرِيبـاً أَمَلُـهُ، قَلِيـلاً زَلَـلُهُ، خَاشِـعاً قَلْبُـهُ، قَانِعَـةً نَفْسُـهُ، مَنْـزُوراً أَكْلُـهُ، سَـهْلاً أَمْـرُهُ، حَرِيـزاً دِينُـهُ، مَيِّتَـةً شَـهْوَتُهُ، مَكْظُومـاً غَيْظُـهُ.

الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ.

إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ، وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ.

يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ.

بَعِيداً فُحشُهُ، لَيِّناً قَوْلُهُ، غَائِباً مُنْكَرُهُ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ، مُدْبِراً شَرُّهُ.

فِي الزَّلاَزِلِ وَقُورٌ، وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ، وَفِي الرَّخَاءِ شَكُورٌ.

لاَ يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ، وَلاَ يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ.

يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ.

لاَ يُضَيِّعُ مَا اسْتُحْفِظَ، وَلاَ يَنْسَى مَا ذُكِّرَ، وَلاَ يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ، وَلاَ يُضَارُّ بِالْجارِ، وَلاَ يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ، وَلاَ يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ، ولاَ يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ.

إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتّى يَكُونَ اللهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ.

نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاء، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَة.

أَتْعَبَ نفسه لِآخِرَتِهِ، وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ.

بُعْـدُهُ عَمَّـنْ تَبَاعَـدَ عَنْـهُ زُهْـدٌ وَنَزاهَـةٌ، وَدُنُـوُّهُ مِمَّـنْ دَنَـا مِنَـهُ لِيـنٌ وَرَحْمَـةٌ، لَيْـسَ تَبَاعُـدُهُ بِكِبْـر وَعَظَمَـة، وَلاَ دُنُـوُّهُ بِمَكْـر وَخَدِيعَـة».

قال: «فصعق همّام رحمه الله صعقةً كانت نفسُه فيها.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْه».

ثُمَّ قَالَ: «هكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ البَالِغَةُ بِأَهْلِهَا؟»

فقال له قائل: «فما بالك يا أمير المؤمنين؟»

فقـال عليه السلام: «وَيْحَـكَ، إِنَّ لِـكُلِّ أَجَـل وَقْتـاً لاَ يَعْـدُوهُ، وَسَـبَباً لاَ يَتَجَـاوَزُهُ، فَمَهْـلاً، لاَ تعُـدْ لِمِثْلِهَـا، فَإِنَّمَـا نَفَـثَ الشَّـيْطَانُ عَلَـى لِسَـانِكَ!»

❁❁❁

## القسم الثاني

قال عليه السلام: «نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلاَءِ كَالَّتِي نَزَلَتْ فِي الرَّخَاءِ».

### المعنى الإجمالي:

هؤلاء الموصوفون بالتقوى، عندما يتعرضون إلى البلاء لا يتزلزلون ولا يسقطون أمام امتحان البلاء، بل تجدهم كما هم عندما يتعرضون إلى الرخاء.

وهذا ليس في الخارج فقط، بحيث يحافظون على هدوئهم ويتحكمون في أعصابهم؛ كلا، ولكنه في داخل أنفسهم، فلا يجدون في دخائل أنفسهم اهتزازاً، من ألم أو قلق أو خوف، نتيجة البلاء.

وهذه هي حالهم في الرخاء، وهو مهم أيضاً، لأنه وإن كان صحيحاً أن الرخاء لا يورث القلق والخوف والألم مباشرة، ولكنه ربما يورثه فيما بعد نتيجة الانغماس في هذا الرخاء وتوابعه، فينقلب الرخاء إلى بلاء!

كما أن البعض يتزلزل عند الرخاء، لا سيما إذا كان كبيراً غير معتاد، أو غير متوقع، أو أتى بعد حين من الشدة، فربما أثر هذا

الرخاء حتى على العلاقة الحسنة مع الله تعالى. أما سمعته تعالى يقول: ﴿**وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا**﴾[1].

كيف نستطيع الاتصاف بذلك؟

كيف نستطيع جعل ما نتعرض له من بلاء لا يؤثر فينا، فنبقى متوازنين هادئين وكأنما نتعرض إلى الرخاء؟

وكيف نتعرض إلى الرخاء دون أن ننسى الله تعالى بعد أن منّ علينا بالرخاء الذي كنا نتوق إليه؟

الجواب في تلك الجملة الساحرة: «عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ».

كأن علياً عليه السلام يقول لنا: إن في داخل كل منكم حيزاً معيناً محدداً، يتزاحم فيه «حب الخالق» و«الدنيا»، كلما ازداد الحجم الذي يشغله «حب الخالق» في ذلك الحيز كلما صغر الحجم المتبقي لـ«الدنيا». فهؤلاء المتقون عندما شغل «حب الخالق» في «أنفسهم» نسبة «عظيمة» من ذلك الحيز، فإنه تعالى هيمن على ذواتهم حتى صارت «أعينهم» لا ترى «ما دونه»، وهو الخارج، إلا «صغيراً». وعندما يكون «الخارج» الذي تراه «أعينهم» صغيراً، فأي بلاء وأي رخاء، بكامل متعلقاته الخارجية من بشر وغير بشر، سيصغر معه.

---

(١) الزمر: ٨.

وسيخاطبه عقله مباشرة: ما قيمة هذا إلى نعم الله تعالى التي لا تحصى التي أتقلب فيها بالرغم من هذه الشدة؟

وما قيمة هذا وهو قصير الأجل في دنيا مدتها محدودة إلى آخرة أبدية سأتقلب فيها بنعم أعظم وأعجب وأبقى؟

وبالتالي لا يهتزون ولا يسقطون، بل يبقون ثابتين على مستوى المبدأ والتفاصيل.

**«الخالق»، لماذا؟**

لا يفوتنك ملاحظة أن علياً عليه السلام استخدم الاسم «الخالق» وليس «الله». ذلك أن العلاقة بين العبد والله إنما بدأت عندما «خلقه»، وطالما هو «الخالق»، فهو الرازق والمنعم واللطيف والودود وسائر الصفات الحسنى للمولى عز وجل، وكل واحدة من هذه تعين هؤلاء المتقين على «تعظيم» الخالق في أنفسهم، ليتحقق المراد «تصغير ما دونه في أعينهم».

**فهذا هو الحل:**

أن «نعظّم الخالق في أنفسنا»، ونزيد من ذلك ما استطعنا، عندها سيصغر ما دونه تلقائياً، وفي ذلك الراحة والرضا في الدنيا والسعادة في الآخرة.

**علاج عملي مؤقت وسريع:**

عندما تتضايق أو تتألم أو تقلق أو تخاف من شيء أو إنسان، جرب أن تستلقي أو تجلس، وتسترخي تماماً، أغمض عينيك، ضع هذا الإنسان أو الجماعة أو الشيء في «منطاد» (بالون)، وأطلق المنطاد، تخيل كيف يطير عالياً وبعيداً، إلى أن يصبح صغيراً جداً جداً، عندها، تراه يتلاشى؟

**لكن لا تنس العلاج الدائم:**

هذا العلاج العملي، وأشباهه، مؤقت ريثما تنجح في زيادة الحيز الذي في داخلك لـ «حب الخالق» تعالى؛ تنجزه في زيادة الذكر، أي التفكر ومحاربة الغفلة، وتنجزه في الصلاة وتقوية الانتباه فيها، وتنجزه في سائر القربات؛ وإلا ستبقى تعاني من بلاءات الدنيا، في نفس الوقت تخسر الراحة مع الله تعالى...

عظّم «الخالق» في نفسك، وعندها لن يقف شيء -داخلها- في وجهه عز وجل، وأنى يكون ذلك؛ ولا قوة إلا بالله.

## القسم الثالث

قال عليه السلام: «الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ»

### المعنى الإجمالي:

من أين يأتي الخير؟ ومن أين يأتي الشر؟

الأول من الله وتحرك النفس ضمن «نجد الخير»، والثاني من الشيطان وهوى النفس التي تتحرك ضمن «نجد الشر».

وبما أن هذين النجدين متاحان أمامه في حرية لاختياره ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[1]، فإن «الموصوف بالتقوى» قرر السير ضمن «نجد الخير» وعدم السقوط ضمن «نجد الشر».

النتيجة: الآخرون يتوقعون منه كل خير، وهم في أمان من أن يأتيهم الشر من جهته.

كيف نستطيع الاتصاف بذلك؟

كيف نستطيع دفع أنفسنا باتجاه الخير على الدوام، وكبح جماح أهوائها باتجاه الشرور التي تؤذينا والآخرين؟

---

(١) البلد: ١٠.

مرة أخرى، الجواب في تلك الجملة العبقرية: «عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ».

كلما ازداد الحجم الذي يشغله «الخالق» في داخلك كلما صغر الحجم المتبقي لـ«الدنيا»، فهؤلاء المتقون شغل «الخالق» في «أنفسهم» نسبة «عظيمة» فطغى على ذواتهم حتى صارت «أعينهم» لا ترى «ما دونه» إلا «صغيراً»، وبما أن «دوافع» الشر إنما تدور حول الدنيا والمنافسة فيها، وهذا كله في «الخارج» الذي تراه «أعينهم» صغيراً، فإن قوة «دوافع» الشر ستصغر معه.

على العكس من ذلك «دوافع» الخير، تجمع بين الدنيا والآخرة:

أما الدنيا، فلأن عمل الخير يريح الإنسان ويرضيه عن نفسه وهذا جميل مفيد، كما أنه ربما يأتي للإنسان بالنفع الدنيوي أيضاً؛ وأما الآخرة، فأعظم وأعظم، لأن الذي وعد بالأجرة على عمل الخير في الدنيا هو الله الذي لا يخلف الميعاد، لأنه لا يملك أحد منعه من تحقيق الميعاد.

ولكن بما أن نفع الدنيا غير مضمون، وأن نفع الآخرة هو المضمون، فإن «الموصوف بالتقوى» سيقول: ما قيمة هذا كله إلى ثواب الآخرة الذي لا يأتي عن طريق الشر، ولكن عن طريق الخير؟ وما قيمة هذا المحدود قصير الأجل إلى ذلك الخالد

الأكبر ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾[١].

فهذا هو الحل: أن «نعظّم الخالق في أنفسنا»، ونزيد من ذلك ما استطعنا، عندها سيصغر ما دونه تلقائياً، وفي ذلك الراحة والرضا في الدنيا والسعادة في الآخرة.

**علاج عملي مؤقت وسريع:**

عندما تجد نفسك أمام فرصة «عمل خير» حاول أن تتصورها بحجم الدنيا، وأن ثوابها متحقق آنياً. مثلاً، جاءك إيميل أو إعلان على فيسبوك أو غيره يدعوك إلى التبرع للأيتام، أغمض عينيك وتخيل أنك تمشي في حديقة خضراء تحيطها الزهور الملونة الجميلة، حاول أن تشم عبق ما يخرج من هذه الأزهار، وما أن مددت يدك في جيبك وأخرجت المال ثم أطلقته في سبيل الخير، إلا والعديد من الأيتام الصغار يحيطون بك بكل محبة، يضحكون، يلعبون، يمسكون بيديك ليأخذوك إلى جنة الله تعالى.

وهكذا بما يشبهها من فرص.

وأما في حالة الشر، عندما تجد نفسك تشجعك على عمل وأنت تعلم أنه من «الشر»، وأكثر هذا مما يدركه الإنسان لأن ﴿الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۞ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾[٢]، فتخيل الأمر

(١) الإسراء: ٢١.
(٢) القيامة: ١٤-١٥.

معكوساً، في أي مكان قذر كريه الرائحة، مخيف ربما، ومن يوسوس لك بالعمل أقبح ما يكون، ثم انظر إلى أين يذهب بك؟

**لكن لا تنس العلاج الدائم:**

هذا العلاج العملي، وأشباهه، مؤقت ريثما تنجح في زيادة الحيز الذي في داخلك لـ «حب الخالق» تعالى، تنجزه في زيادة الذكر، أي التفكر ومحاربة الغفلة، وتنجزه في الصلاة وتقوية الانتباه فيها، وتنجزه في سائر القربات، لا سيما في فرص العطاء، التي يقول عنها النبي ﷺ: «من فُتِحَ له بابٌ من الخيرِ فَلْيَنتَهِز، فإنّهُ لا يدري متى يُغلقُ عنه»[1]...

وإلا ستبقى تجد الصعوبة في الإسراع إلى عمل الخير، والصعوبة في تفويت الفرصة على الشيطان والنفس الأمارة بالسوء في القيام بما يريدان.

عظّم «الخالق» في نفسك، وعندها لن يقف شيء - داخلها - في وجهه عز وجل، وأنى يكون ذلك؛ ولا قوة إلا بالله.

❁❁❁

(١) كنز العمال، رواية ٤٣١٣٤.

## القسم الرابع

قال عليه السلام: «إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ»

## المعنى الإجمالي:

عندما يخرج في دعوة أو اجتماع من أي نوع، أو نزهة مع الأصدقاء، وصاروا منهمكين في القيل والقال والتوافه من الأمور، وما لا يجدي، وأسوأ منه الكذب والغيبة وغيرها، تجده «في الذاكرين» فما المقصود؟

إن مجاملتك الناس في المناسبات مما يحسن منك، لأن المشاركة إعلان منك على أهمية الشخص الآخر بحيث تشاركه الفرح أو الحزن أو الاجتماع مع الأحباب، وأنت تفكر أنك تقوم بواجبه، أو تتصرف معه كما تحب أن يتصرف معك «لا يؤمنُ أحدُكُم حتى يُحبَّ لأخيهِ ما يحبُّ لنَفسِه»[1]، فهذا يعني أنك غير غافل عن حقوق الإخوان والأصدقاء، فليس فيه غفلة عن الله؛ ولكن الكلام عن الحال أثناء تلك المناسبات.

هناك ذكر التسبيحات الأربع وغيرهن، فإن قولك «سبحان الله

(١) حديث شهير، رواه البخاري ج١ ص١٢ رواية ١٣، ورواه مسلم ج١ ص٦٧ رواية ٤٥.

والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» وغيرها مما ورد من صيغ الأذكار، هي الذكر المباشر لله، شريطة أن يكون ذلك بالوعي لما تقول، وليس اللعب بالمسبحة دون تفكر. ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله، فحاول وسعك أن تحمد الله وأنت تشعر بالشكر على نعمه، وتهلله وأنت واع أنك تقول أعظم كلمة (ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «ما قلتُ ولا قالَ القائلون قبلي مثلَ لا إله إلّا الله»[1])، وهكذا.

وهناك الذكر الأعظم، وهو عدم الغفلة عن الله في الطاعات والمعاصي، كما أوضح الإمام الصادق عليه السلام «وذكر الله في كل موطن. أما إني لا أقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وإن كان هذا من ذاك؛ ولكن ذكر الله في كل موطن إذا هجمت على طاعة أو معصية»[2]؛ عدم الغفلة عن مسؤوليتك تجاه المولى عز وجل في الطاعات والمعاصي - هل أفعل؟ كيف أفعل؟ هل أنتظر؟ هل أسأل؟

## كيف نستطيع الاتصاف بذلك؟

مرة أخرى، لو سرنا في طريق الوصول إلى حالة «عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ» فإننا سنجد الانتباه دائمياً أو شبه دائمي إلى حقوق «الخالق»، كعبادة الصلاة في أركانها وتفاصيلها، وتلك المتعلقة بعباده، كالبيع والشراء في

(١) التوحيد للشيخ الصدوق ص١٨.
(٢) الكافي ج٢ ص١٤٥ رواية ٨.

عقودهـا وشـروطها وأخلاقياتهـا.

حتى في زحمة الحياة، مع الغافلين في البيت والعمل والسوق وسائر المواقع التي نكون فيها.

هذا الانتباه، عدم الغفلة، لذيذ الطعم في داخل النفس، وأنت حاضر في بدنك مع الغافلين وغائب في نفسك إلى حيث ذكر الله.

تتحدث إلى الناس وأنت ذاكر لحقوقهم عليك من حسن الخلق والصدق والود وقضاء الحاجات، وحتى الصبر وإيثارهم على نفسك.

كما وأنت فيهم صامت لا تتكلم، أو تتابع ما يدور، منتبه إلى التعفف عما يبعدك عن الله من الكلام -إنشاء أو اشتراكاً أو تأييداً- في الباطل.

**علاجات عملية مؤقتة:**

الاعتياد على الفعل، والرتابة في أدائه، يساعدان على الغفلة، وهذا نجده في الغفلة في الصلاة.

البعض يعالجها بقراءة سور مختلفة كي يتأكد مما يقول؛ البعض الآخر يقوم بكتابة ورقة مكتوب عليها مثلاً «ركّز فربما هذه آخر صلاة»، أو يقوم بحركات بدنية غايتها طرد المشاغل الذهنية - مثلاً يطرد بيديه ما أمامه وكأنه يطرد ذباباً بينما يفكر أنه يطرد الأفكار داخل رأسه!

مثل هذا يمكن اعتماده عندما يكون المرء في الناس:

خصص مسبحة لهذا، سمّها «عدو الغفلة»، تأخذها معك في اللقاءات التي تعلم أن فيها من التهريج والوقت الضائع الكثير ما سماها الإمام السجاد عليه السلام «مجالس البطّالين» «دعاء أبي حمزة الثمالي». أكتب ورقة في السيارة، برمز تعلم معناه، ضعها في جيبك عندما تنزل إلى المكان، أو البس الخاتم في إصبع آخر، أو عكس الاتجاه، عسى أن تتساءل لماذا، فتتذكر. عندما ارتفع الكلام بالغيبة مثلاً، أنقذ الجمع بدعوتهم إلى حكاية حصلت لك، أو لطيفة، أو سؤال توجهه إلى شخص، فتعينهم ونفسك؛ وما أجمل أن يتعاون صديقان واعيان في هذا؛ أي شيء يتفتق عليه ذهنك مما يعينك الله عليه، وسيعينك طالما قد طغت «عظمته» على داخلك.

**لكن لا تنس العلاج الدائم:**

في زيادة التفكر، وفي الصلاة والانتباه فيها، وفي سائر الأحوال، وربما في مقدمة هذا «الدعاء» إلى الله بالعون، فإنه نعم المولى ونعم النصير.

عظّم «الخالق» في نفسك، ولن يقف شيء - داخلها - في وجهه عز وجل؛ ولا قوة إلا بالله.

❁❁❁

## القسم الخامس

قال عليه السلام: «يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ»

## المعنى الإجمالي:

الذي يتصف بـ «التقوى» يجمع له علي عليه السلام هنا ثلاث خصال:

- يتجاوز بالعفو عن الذي يظلمه، مختلف أنواع الظلم.
- يتفضل بالعطاء على الآخر الذي حرمه العطاء.
- يبقي حبل الوصل ويمد الجسور مع الذين يقطعونها.

ثلاث خصال، يتصرف في كل منها على العكس من تصرف الآخر.

## الواقع المؤسف

الواقع الذي نعيشه لو أنطقته لوصف هذا «التقي» بالضعف أو الغباء وربما الجنون!

الواقع هو الظلم، إضافة إلى الرد بالظلم وأكثر

الواقع هو الحرمان، إضافة إلى الرد بالحرمان وأكثر.

الواقع هو القطع/ الهجر، إضافة إلى الرد بالهجر وأكثر.

و «أكثر» هذه نجدها في الرد بأشد من ذلك الظلم والحرمان والهجر، ونجدها في الزيادة بالذم والسب واللعن والتبرؤ، ونجدها في المبالغة والكذب والافتراء، ونجدها في تأليب وتحريض الآخرين في علاقاتهم بالآخر.

## جذر المشكلة

لماذا هكذا الناس لا يستطيعون تجاوز الظلم والحرمان والقطع؟

ربما نستطيع تقسيم الحالات إلى مجموعتين:

**الأولى**: الضعفاء الذين يجدون أنفسهم عاجزين عن عمل شيء لتجاوز المحنة ﴿**الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا**﴾[1]، لا يجدون طريقة للتعامل مع الظلم والحرمان والهجر غير الرد بالمثل.

**الثانية**: الذين عندهم من المؤهلات والقوة ما يستطيعون به التجاوز ولكنهم يصرون على عدم التجاوز؛ ومهما حاولت معهم بالتذكير ﴿**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾[2]، فهو لا ينفع ويصرون على الموقف المتصلب؛ هؤلاء جذر مشكلتهم هو «النفس المتكبرة»، وهذه من أخطر ما يواجهه الإنسان في حياته كلها.

(١) النساء:٩٨.
(٢) النور:٢٢.

تثيره كلمة ضده، تزعجه نظرة شزر يرمى بها، ينقلب في لحظة إلى حيوان هائج لجملة نقد توجه إليه، فما بالك إذا «ظُلِمَ» أو «حُرِمَ» أو «هُجِرَ»؟

هذه «النفس المتكبرة» تشعر أنه تم «التجاوز عليها» بما لا بد من الرد عليه، وعندها يغلق العقل، بل السمع نفسه، عن أية نصيحة أو تذكير بعائدة العفو والعطاء والوصل.

«لا والله، حتى أذلّه أمام الناس كلهم!»

«سأجعل زوجي الظالم هذا علكة في أفواه الناس!»

«أنا أتصل بعد أن أهمل اتصالي مرتين؟ لن أتصل به مطلقاً وليذهب إلى جهنم!»

بل تصبح مثل هذه النصائح بمثابة «اصطفاف مع الآخر».

«مع الأسف، كنت أتصور أنت صديقتي وستقفين معي ضده!».

«أنت أمام خيارين: أما أنا أو هو!».

**الواقع المرتجى**

«تعفو عمن ظلمك» و«تعطي من حرمك» و«تصل العلاقة بالذي هجرك»!

لا نزيد على توجيهات النبي ﷺ «صِلْ مَن قَطعكَ وأعطِ

مَـن مَنعـكَ واعـفُ عمَّـن ظَلمـكَ»[١]، لأنهـا هـي التـي تجعلنـا نتصـف بصفـات المتقيـن.

**عائدة هذا الواقع هو:**

«تشـجيع» مـن ظلـم أو حـرم أو قطـع علـى «إعـادة النظـر» فـي مواقفـه وطريقتـه؛ وذوبـان الثلـوج فـي العلاقـات بتأثيـر حـرارة شـمس صفـات المتقيـن؛ وإعطـاء المثـل الراقـي للآخريـن، ولا سـيما الناشـئين؛ والعطـاء الربانـي الـذي يفـوق مـا فـات بمـا لا يقـاس «ألا تحبّـون أنْ يغفـرَ اللـهُ لكـم» مـن يضيـع مغفـرة اللـه مـن أجـل أن يشـفي صـدره مـن الظلـم؟

قـال علـي عليه السلام «لا يكُـنْ أفضـلَ مـا نِلْـتَ فـي نفسِـكَ مـن دُنيـاكَ بُلـوغُ لَـذَّةٍ أو شِـفاءُ غَيـظ»[٢]، فهـل تهتـدي بهـذا الهـدي أم تخضـع لأمـر النفـس المتكبـرة أو الأحـوال الضعيفـة؟

قـل لنفسـك: أي قيمـة للظالـم، أو الـذي يحـرم، أو قاطـع الصلـة، مقارنـة بالخالـق العـادل، المعطـي، الـذي لا تنقطـع صلتـه أبـداً؟

مـا حجـم الظلـم والحرمـان والصلـة إلـى نعـم اللـه واللقـاء بـه وقتمـا تريـد؟

تذكـر قـول علـي عليه السلام فـي وصـف المتقيـن «عَظُـمَ الْخَالِـقُ فِـي أَنْفُسِـهِمْ فَصَغُـرَ مَـا دُونَـهُ فِـي أَعْيُنِهِـمْ».

---

(١) صحيح الترغيب رواية ٢٤٦٧، ومسند أحمد رواية ١٦٩٩٩، وفيها «حرمك» بدلًا من «منعك».
(٢) نهج البلاغة ج٣ ص١٢٧.

عندها سيصبح ما يأتيك من ظلم أو حرمان أو هجر من «ما دونه» أصغر حجماً، وبالتالي أضعف أثراً عليك في الذي يسببه من ألم أو حاجة أو حزن.

**تذكر العلاجات العملية**

مع الذي ظلمك/ ما رأيك بطريقة «المنطاد»؟ (القسم ٣)؛ قم بالنظر من بعيد والمنطاد يبعد ويصغر، وخاطب «الظالم» بالقول: «أنت وظلمك لي لا أكثر من نقطة في حياتي؛ لن أدعها تؤثر عليّ؛ والدليل أني عفوت عنك»، واشعر بالرضا من موقفك بالعفو، وادع «الخالق» العظيم في نفسك «اللهم أمرتني بالعفو عمن ظلمني لقاء عفوك عني، وقد فعلتُ، فأسألك اللهم أن تعفو عني».

مع الذي حرمك / مثل طريقة تصور الحديقة الجميلة (القسم ٤)، بتصور قيامك بالعطاء لذلك الشخص الذي حرمك، وقد ذهب ما في نفسك ضده، واشعر بالرضا، وادع «الخالق» العظيم في نفسك أنك اهتديت بهدي النبي ﷺ فتنتظر الجائزة.

مع الذي قطعك/ هجرك / مثل طريقة الحديقة الجميلة، تتصور أنك جالس معه تتحادثان، ولم يبق بينكما ما يكدر صفو الود، فكأنكما في جنة الخلد ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ**﴾[1].

(١) الحجر:٤٧.

**لا تنس العلاج الدائم:**

في زيادة التفكر، وفي الصلاة والانتباه فيها، وفي الدعاء بالتوفيق لهذا، وفي تذكر توجيهات النبي ﷺ «صِلْ من قَطعكَ وأعطِ من مَنعكَ واعفُ عمَّن ظَلمك» فهو ﷺ لا يريد لك إلا الخير وحسن العاقبة.

عظّم «الخالق» في نفسك، ولن يقف شيء -داخلها- في وجهه عز وجل؛ ولا قوة إلا بالله.

## القسم السادس

قال عليه السلام: «لاَ يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ، وَلاَ يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ»

## المعنى الإجمالي:

الحيف هو عدم الإنصاف.

البغض هو شدة الكراهية، شعور عكس الحب.

يقول الإمام عليه السلام أن «التقي» لا تجعله شدة كراهيته للآخر يبتعد عن الإنصاف معه، في حقوقه المادية أو المعنوية من احترام أو تعامل أو حتى تقييم بالرأي.

والإثم هو الذنب.

الحب هو الشعور القلبي بالقرب من الآخر المحبوب.

يقول عليه السلام: إن «التقي» لا تخرجه محبته لمحبوبه عن التوازن بحيث يسقط في «الغلو»، إما يعبر عن حبه بطريقة خارجة عن المعقول أو يصطف معه ضد الآخرين بشكل مبالغ فيه يتضمن التعدي عليهم.

## المغالاة في الحب والبغض

لماذا هذا الافتراء المستمر من الناس ضد من يبغضون؟ حتى بعد التذكير فإنهم يستمرون، ويوغلون في الحيف وصولاً إلى الشتائم والطعن في كل شيء؟

هذا العراك على الدنيا، التنافس، المصالح، التعصب الديني والطائفي والقومي والعنصري والقبلي والحزبي، يملك على المتعصب نفسه فلا يبقى للخالق تعالى إلا الأقل من ذلك الحيز في نفسه، لهذا تجد بعضهم كالمخبول في تعاطيه مع القول الحسن، بل بعضهم وكأنه يريد الانتحار وليسقط كل شيء على رؤوس الجميع!

نفس هذا العراك نجده يسقط الكثيرين في غلو الحب لمن يحبونه فيصطفون معه حتى لو كان ظالماً مخطئاً، بل حتى لو كان ظلمه وخطؤه مدمراً لهم هم أنفسهم!

والحالتان نجدها في كل مكان، تمتد إلى جميع الشخصيات: شخصيات التاريخ/ المبغض يظلم هذه الشخصية أو تلك بحيث يقلب حتى أفعالها الحسنة سيئات، والمحب يغلو في نفس الشخصية بحيث يقلب مخازيها حسنات!

مثال: رووا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرسل في طلب شخص، فقيل له أنه يأكل، فأرسل ثانية، فرجعوا بنفس الجواب، ثم الثالثة ونفس

الجواب؛ عندها دعا ﷺ عليه: «لا أشبعَ اللهُ بَطنَه!»[١].

المغالاة في حب ذلك الشخص جعلهم يحاولون تكذيب الرواية، فلما لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً عمدوا إلى قلب هذا الدعاء النبوي المستجاب قطعاً من دعاء عليه إلى دعاء له!

اخترعوا رواية فيها يقول النبي ﷺ أنه طلب من الله أن يجعل من يدعو ﷺ عليه رحمة وثواباً، وبالتالي فإن دعاءه «على فلان» انقلب إلى دعاء «له»!

ومن الحب ما قتل!

فإذا كان هذا حال المغالي في الحب، يسقطه بالإثم قطعاً لأنه يتهم سيد المرسلين ﷺ بالظلم، فما بالك بمن هو أقل منه ﷺ؟

وقس على هذه ما سواها في شخصيات التاريخ والسياسة في الماضي والحاضر.

**الواقع المرتجى**

هو واقع «المتقين»، وهو على العكس، لأن الحيز لـ «حب الخالق» في نفوسهم هو الأكبر الأعظم، صار الله مقدماً، وعندها:

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، ورواه ابن كثير في البداية والنهاية مؤكداً أنه كان دعاء على الرجل لأنه كان بعد ذلك يأكل سبع وجبات في اليوم ولا يشبع - أي لم يكن من قبيل تربت يمينك أو ثكلتك أمك كما يحاول البعض الدفاع عن ذلك الرجل.

لا يمكن أن ينتصر لطائفته أو عشيرته أو حزبه أو غيرهم من عصبته بالباطل، بل يقول الحق ولو على نفسه وأهله، ولا يغلو «فيمن يحب»، لأن الغلو يخرجه عن الحق فيسقط في الإثم - الغلو في المقدسين، الغلو في الرؤساء، الغلو في الأهل الخ.

**كيف نستطيع الاتصاف بذلك؟**

من ناحية من نبغض، نتذكر قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾[(١)].

يأمرنا أن تكون شهادتنا في الناس لله وليس للدنيا، إذاً تكون بالعدل، فلا نسمح لبغضنا للآخر أن يسقطنا في «الحيف» عليه، فيأمرنا بالعدل، لأنه أقرب «للتقوى» التقوى مرة أخرى، ثم يأمرنا بـ «التقوى» مرة أخرى، ولا ننسَ أنه ﴿**خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾.

شدة البغض للآخر لا تدفع باتجاه «الحيف» إذا كان الخالق «عظم» في نفوسنا، لأن الآخر، مهما أبغضناه ولأي سبب، سـ«يصغر»، فلا يمكنه أن يسقطنا في فخ «الحيف» عليه.

ومن ناحية من نحب، نتذكر قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ**﴾[(٢)].

---

(١) المائدة:٨.

(٢) البقرة:١٦٥.

وبما أنه من المستحيل أن يقبل الله «الغلو» في أي شخص مهما كانت مشاعر الحب نحوه، فأن يكون المرء ﴿أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ تعني أن يكون الله في نفسه «أعظم» من غيره، وعندها «يصغر» ما دونه، بحيث لو كان من الأنبياء والأولياء عليهم السلام فإنه يبقى يحبهم أشد الحب ولكن دون مغالاة.

فهذا هو الحل: تفعيل «عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ»، وعندها سيصغر عندنا ما دونه تلقائياً، وفي ذلك الراحة والرضا في الدنيا والسعادة في الآخرة.

من يجد نفسه عصية عليه عندما يقول له عقله «هذا حق هذا صحيح»، فعليه:

- بمراجعة نفسه وجعلها تواجه المنطق الذي لا تريد قبوله.
- الدعاء بخلوص نية من أجل أن يوفقه الله.
- تذكر الآيات الكريمة أعلاه.
- الشعور بالرضا في تصور تساميه على معارك الدنيا التي تجعله كالمخبول أو المتشنج ضد من يبغض أو مع من يحب.
- التفكر في التسبيحات أدبار الصلوات تسبيحات الزهراء عليها السلام / «الله أكبر» من كل من نبغض ومن نحب، «الحمد لله» نعمة حب أوليائه من العيب أن نجعلها في منافسة مع بغض هذا أو ذاك،

«سبحان الله» هل حقاً سما الله عندك فوق كل هذه المعارك؟

عظّم «الخالق» في نفسك، وعندها لن يقف شيء -داخلها- في وجهه عز وجل، وأنى يكون ذلك؛ ولا قوة إلا بالله.

❁❁❁

## القسم السابع

قال عليه السلام: «يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ»

## المعنى الإجمالي:

سبحان الله، ما أعز هذه الصفة!

البعض تضع له الحق في أذنه اليسرى، فيزوغ منك، فتذهب إلى اليمنى فتملؤها منه، فيهز رأسه صداعاً! وطبعاً، «المصدّع» يخرج منه أي شيء ما عدا «يعترف بالحق»!

وإلا لماذا يهرب من الأسئلة المحرجة لولا أنه يجدها من الحق؟

هذا من جاءه الحق وأُشهِد عليه، وفشل...

أما «المتقون» فإنهم لا ينتظرون حتى يُشهَدوا على الحق، ولكن يبادرون إلى ذلك، فيعلنون أن هذا الكلام هو «حق» حتى قبل أن يطلب منهم رأيهم أو موقفهم هذا.

لماذا طعم «الحق» مرٌّ على الكثيرين؟

نفس العراك على الدنيا، في مالها ومناصبها وعلاقاتها الأسرية

والاجتماعية والحزبية؛ هذه «الدنيويات» أعظم من الخالق، فانقلبت المعادلة، وصارت: «صغر الخالق في أنفسهم فعظم ما دونه في أعينهم»!

**أمثلة من واقعنا:**

قرآن وسنة / البعض يقولون لا حاجة لنا إلى السنة النبوية فالقرآن يكفي «حسبنا كتاب الله»، فنسألهم عن قوله تعالى ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا**﴾[(١)] وكيف أنه فرّق بـ «واو العطف» بين «ما أنزل الله» وهو القرآن قطعاً و«الرسول» فلا بد أن يكون السنة، ونحذرهم من التهديد الرهيب آخر الآية... الجواب: سكوت! عدم الاعتراف بالحق حتى بعد الإشهاد!

مشكلة علي عليه السلام / نسأل الإخوة عن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» الذي رواه البخاري[(٢)]، نقول: أنتم تصرون أن جميع أحاديث البخاري صحيحة وأنه يجب العمل بها، وهذا هارون عليه السلام هو ثاني أمة موسى عليه السلام، فهل من عنده شيء من العقل، حتى البليد، يفهم من هذا غير أن علياً عليه السلام هو ثاني الأمة المحمدية بعد نبيها صلى الله عليه وآله وسلم، وعندها فهو أفضل من الجميع؟ الجواب: سكوت! عدم الاعتراف بالحق حتى بعد الإشهاد!

---

(١) النساء: ٦١.

(٢) الصحيح رواية ٣٧٠٦.

أحداث الحاضر/ في أسبوع واحد من شهر شباط/ فبراير ٢٠١١ تنهض ٣ شعوب عربية ضد أنظمتها الحاكمة، البحرين يوم ١٤ وليبيا يوم ١٧ واليمن يوم ٢٠، وإذا بالتعامل العربي، من الشعوب وليس فقط الحكومات، الطلب من الغربيين قصف ليبيا لإنقاذ الشعب الليبي وفي نفس الوقت السكوت الراضي قطعاً عن الغزو السعودي للبحرين لإخضاع الشعب البحريني! نسألهم: أليس هذا الكيل بمكيالين عند الغرب الذي تصرخون منه؟ ما السبب في هذه المفارقة المخزية غير المشاعر الطائفية؟ الجواب: سكوت! عدم الاعتراف بالحق حتى بعد الإشهاد!

هذه الأمثلة، ومثلها كثير جداً، تعني أن الشخص الساكت قد ألزمته الحجة واقتنع بالحق ولكنه يعاند ويعاند، وعليه، فإن الحق عصيّ على نفسه؟

لماذا؟

لأن الحق صغير في النفس والباطل كبير فيها؛ «الخالق» صغير في النفس، و«ما دونه» كبير فيها.

كيف يصبح طعم «الحق» حلواً؟

لماذا لا ينتظر المتقون الإشهاد، بل يبادرون إلى الاعتراف بالحق؟

لأن «عظم الخالق» في أنفسهم جعلهم «أنصاراً للحق»، وهل الخالق إلا الحق ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ**

**الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾**[1]...

كأن هذه العلاقة الصحيحة بينهم وبين الخالق تعالى تدفعهم تلقائياً للاعتراف بالحق:

يقيمون الشهادة لله، ويكثّرون من أنصار الحق، وينشرون الحق.

هذه الصفة الكبيرة فيهم «عَظُمَ الخَالِقُ فِي أنفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعيُنِهِمْ» جعلتهم ينطقون بالحق وكأنهم يتذوقون عسلاً مصفّى.

ولا نهاية لهذه العلاقة مع الحق، فكل منا يمكن أن يتصاعد فيها ونصب عينيه وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: «عليٌّ مع الحقّ، والحقُّ مع عليٍّ، يدورُ معه حيثما دار»[2]؛ فلو حققنا جزءاً من هذا الاندكاك العلوي بالحق، فقد سعدنا وفزنا.

هذا هو الحل:

أن «نعظّم الخالق في أنفسنا»، ونزيد من ذلك ما استطعنا، عندها سيصغر ما دونه تلقائياً.

نعم، ربما سيكون هناك صعوبات وآلام ومشاكل، ولكن «الخالق» سيعين عليها، وسيجعل طعمها حلو المذاق في الدنيا يأتي بالرضوان في الآخرة.

---

(١) لقمان: ٣٠.

(٢) إعلام الورى ج١ ص٣١٦، وبألفاظ مختلفة كما في مجمع الزوائد للهيثمي وغيره.

تذكر قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[1].

أ ليست هذه «الدنيويات» هي التي تعيقك عن «الاعتراف» بالحق؟

قل لنفسك: «إذا كان المتقون «يعترفون» بالحق بالمبادرة، فعلى الأقل دعني أبدأ بالاعتراف بالحق «بعد» الإشهاد عليه؟

وأسأل الله تعالى أن يعينني على أن أصبح مبادراً للاعتراف بالحق، عسى أن أكتب في المتقين».

هذا وأشباهه يجعلك تنجح في زيادة الحيز الذي في داخلك لـ «الخالق» تعالى، تزيده في زيادة الذكر، أي التفكر ومحاربة الغفلة، وفي سائر القربات.

عظّم «الخالق» في نفسك، وعندها لن يقف شيء -داخلها- في وجهه عز وجل، وأنى يكون ذلك؛ ولا قوة إلا بالله.

❁❁❁

(١) التوبة: ٢٤.

# الفصل الثاني

## من أعظم رسائل الإمام علي عليه السلام

## رسالته الجوابية إلى معاوية بن أبي سفيان

## رسالته الجوابية إلى معاوية بن أبي سفيان

في هذه الرسالة، إن أردت «البلاغة» فيا لها من بلاغة، وإن أردت «التاريخ» ففيها أحداث وأحداث، وإن أردت «الحجج البالغة» فتعلّم منها، وإن أردت «العقائد الحقة» فدونكها مبثوثة فيها...

فصلوات الله على كاتبها أمير المؤمنين وسيد الوصيين..

سأنشر الرسالة كاملة أولاً، وقد قسمتها إلى ثمانية أقسام، ثم أتبعها بالتعليقات على هذه الأقسام.

كتاب «نهج البلاغة»، جمع الشريف الرضي، الرسالة رقم ٢٨.

(ومن كتاب له عليه السلام) إلى معاوية جوابًا، وهو من محاسن الكتب:

◆ «أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله محمّداً صلّى الله عليه وآله لدينه وتأييده إيّاه بمن أيّده من أصحابه، فلقد خبّأ لنا الدّهر منك عجباً، إذ طفقت تخبرنا ببلاء الله عندنا ونعمته علينا في نبيّنا، فكنت في ذلك كناقل التّمر إلى هَجر، أو داعي مسدّده إلى النضال».

◆ «وزعمت أنّ أفضل النّاس في الإسلام فلان وفلان، فذكرت أمراً إن تمّ اعتزلك كلّه، وإن نقص لم تلحقك ثلمته. وما أنت والفاضل والمفضول، والسّائس والمسوس؟ وما للطّلقاء وأبناء

الطّلقاء والتّمييز بين المهاجرين الأوّلين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم. هيهات لقد حنّ قدح ليس منها، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها. ألا تربع أيّها الإنسان على ظلعك، وتعرف قصور ذرعك، وتتأخّر حيث أخّرك القدر؟ فما عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظّافر؛ وإنّك لذَهّاب في التّيه رَوّاغ عن القصد».

◆ «ألا ترى، غير مخبر لك ولكن بنعمة الله أُحدّث: أنّ قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين، ولكلّ فضل، حتى إذا استشهد شهيدنا قيل سيّد الشّهداء، وخصّه رسول الله صلّى الله عليه وآله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه؟ أَوَلا ترى أنّ قوماً قُطِّعت أيديهم في سبيل الله، ولكلّ فضل، حتّى إذا فُعِل بواحدنا ما فُعل بواحدهم قيل الطّيار في الجنّة وذو الجناحين؟ ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكرٌ فضائلَ جمّة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجّها آذان السّامعين».

◆ «فدع عنك من مالت به الرَّمِيّة، فإنّا صنائع ربّنا والنّاس بعد صنائع لنا. لم يمنعنا قديم عزّنا ولا عاديُّ طولنا على قومك أنْ خلطناكم بأنفسنا فنكحنا وأنكحنا فعل الأكفاء ولستم هناك. وأنّى يكون ذلك كذلك ومنّا النّبيّ ومنكم المُكذِّب، ومنّا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف، ومنّا سيدا شباب أهل الجنّة ومنكم صبية النّار، ومنّا خير نساء العالمين ومنكم حمّالة الحطب، في كثير ممّا لنا وعليكم. فإسلامنا قد سُمِع، وجاهليتنا لا تُدفَع، وكتاب

الله يجمع لنا ما شذّ عنّا وهو قوله «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله»، وقوله تعالى «إنّ أولى الناس بإبراهيم للّذين اتّبعوه وهذا النّبيّ والذّين آمنوا والله وليّ المؤمنين»، فنحن مرّة أولى بالقرابة، وتارة أولى بالطاعة».

◆ «ولما احتجّ المهاجرون على الأنصار يوم السّقيفة برسول الله صلّى الله عليه وآله فَلَجُوا عليهم، فإن يكن الفلج به فالحقّ لنا دونكم، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم».

◆ «وزعمت أنّي لكل الخلفاء حسدت وعلى كلّهم بغيت، فإن يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر إليك، * وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارُها *. وقلت إنّي كنت أُقاد كما يُقاد الجملُ المخشوشُ حتّى أبايِع، ولعمر الله لقد أردتَ أنْ تذمَّ فمدحت، وأنْ تفضح فافتُضِحْت! وما على المسلم من غضاضة في أنْ يكون مظلوماً ما لم يكن شاكّاً في دينه ولا مرتاباً بيقينه. وهذه حُجّتي إلى غيرك قصدها، ولكنّي أطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها».

◆ «ثم ذكرتَ ما كان من أمري وأمر عثمان، فلك أن تُجاب عن هذه لرحمك منه: فأيّنا كان أعدى له وأهدى إلى مقاتله؟ أمّن بذل له نصرته فاستقعده واستكفه؟ أمّن استنصره فتراخى عنه وبثّ المنون إليه حتى أتى قدره عليه؟! كلا والله، لقد «علم الله المعوّقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا ولا يأتون البأس

إلا قليلاً». وما كنت لأعتذر من أنّي كنت أنقم عليه أحداثاً، فإن كان الذّنب إليه إرشادي وهدايتي له فرُبَّ مَلُوم لا ذنبَ له * وقد يستفيدُ الظِّنَّةَ المُتَنَصِّحُ *، «وما أردتُ إلّا الإصلاح ما استطعتُ وما توفيقي إلّا باللّه عليه توكّلت».

◆ «وذكرتَ أنّه ليس لي ولأصحابي إلّا السّيف، فلقد أضحكتَ بعد استِعبار! متى ألفيت بني عبد المطّلب عن الأعداء ناكلين وبالسّيوف مُخَوَّفِين * لبِّثْ قليلاً يلحقُ الهَيجا حَمل *. فسيطلبك من تطلب، ويقرب منك ما تستبعد، وأنا مُرقِل نحوك في جَحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، شديد زحامهم، ساطع قَتامهم، متسربلين سرابيلَ الموت، أحبّ اللقاء إليهم لقاء ربهم، قد صحبتهم ذرّيّة بدريّة وسيوف هاشميّة، قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدّك وأهلك "وما هي من الظالمين ببعيد"».

## القسم الأول

«أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله محمّداً صلّى الله عليه وآله لدينه وتأييده إيّاه بمن أيّده من أصحابه، فلقد خبّأ لنا الدّهر منك عجباً، إذ طفقت تخبرنا ببلاء الله عندنا ونعمته علينا في نبيّنا، فكنت في ذلك كناقل التّمر إلى هَجر، أو داعي مسدّده إلى النضال».

لا أشك في أن الباغي معاوية كان عندما يكتب للإمام علي عليه السلام فإنه كان يفكر في أمرين:

**الأول**: ليظهر موقعيته الدينية لأهل الشام الذين لم يكونوا يعرفون شيئاً عنه إلا ما وصلهم منه ومن أخيه يزيد بن أبي سفيان من قبله، حيث تعاقب الرجلان على عهد الخليفة عمر بن الخطاب (في الصفقة المعقودة بين أبيهما أبي سفيان والخلافة، وإلا هل خلا الصحابة ممن هم أفضل من يزيد وأخيه، علماً وسابقة وتقوى وجهاداً؟)؛ وعليه كان لا بد من أن يكتب بلسان الأتقياء عن الله ونعمته بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم!

**الثاني**: أنه كان يضحك في سرّه، وربما فيما بعد الكتابة، مع أصحابه كالمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص، ممن باعوا دينهم

بدنيا معاوية – «أنظروا، لنكتب هذا ونغيظ علياً بن أبي طالب!»

٢– انظروا إلى بلاغة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام حيث لم يقل له مثلاً «وما عشت أراك الدهر عجباً» وهو من الأقوال الجليلة في البلاغة، ولكن قال ما هو أبعد هنا: «فلقد خبّأ لنا الدّهر منك عجباً»؛ فقد فوجئنا بما لم نكن نحتسبه من الدهر أن تأتي أنت يا معاوية – الأبعد بعد المشرقين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه المخلصين الذين جاهدوا دونه وأنت كنت تقف الجانب المعادي لهم – لتزايد علينا بكل صلف!

٣– ثم يأتي التشبيه البلاغي، يشبه موقف ذلك الغاوي بصورتين:

**الأولى**: «فكنت في ذلك كناقل التّمر إلى هَجر»؛ من ينقل بضاعة إلى حيث هي متوفرة وافرة فهو أحمق، أو على الأقل لم يتصرف بما هو الصواب، لأن بضاعته لا حاجة لها في ذلك المكان.

ومدينة «هجر» في أرض البحرين كانت معروفة بوفرة تمرها وجودته.

فأنت يا معاوية، بإخبارك إياي عن نعمة الله تعالى علينا بنبينا صلى الله عليه وآله وسلم تشبه من ينقل التمر إلى مدينة هجر.

**الثانية**: «أو داعي مسدّده إلى النضال».

المسدِّد هو الشخص الذي يعلّم الناس رمي السهام، أي كيف يسدّدها.

والنضال هو القتال برمي السهام.

فأنت يا معاوية مثل الذي يقوم بتعليم مسدد السهام كيف يسددها!!

٤- هذا، دون أن نغفل عن استخدامه عليه السلام لكلمة «طفقت» في قوله «إذ طفقت تخبرنا ببلاء الله عندنا ونعمته علينا في نبيّنا»، فكأن معاوية صار يهدر بإخبار علي عليه السلام بما لا يعلمه!!!

## القسم الثاني

«وزعمت أنّ أفضل النّاس في الإسلام فلان وفلان، فذكرت أمراً إن تمّ اعتزلك كلّه، وإن نقص لم تلحقك ثلمته. وما أنت والفاضل والمفضول، والسّائس والمسوس؟ وما للطّلقاء وأبناء الطّلقاء والتّمييز بين المهاجرين الأوّلين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم. هيهات لقد حنّ قدح ليس منها، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها. ألا تربع أيّها الإنسان على ظلعك، وتعرف قصور ذرعك، وتتأخّر حيث أخّرك القدر؟ فما عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظّافر وإنّك لذهّاب في التّيه رَوّاغ عن القصد».

في هذا القسم، تأتيك البلاغة العلوية بالجواب تلو الجواب لما لم يزل يشكل إحدى محطات الجدال المذهبي، سواء في المفاضلة بين علي عليه السلام ومن سبقوه أو الموقعية التراتبية للمسلمين على العهد النبوي، أو في الإطاحة الكاملة بأحد أشد أعداء الإسلام، كيف لا وهو يكيده من داخله.

١- أولاً ضرب عليه السلام ما أراد الغاوي معاوية تثبيته لأهل الشام الذين يقرأون كتبه، أو غيرهم ممن سيصلهم الكتاب والجواب... فقد جعل رأي معاوية أن عمر وأبا بكر أفضل من علي عليه السلام إنما هو «زعم» ليس إلا .

«وزعمت أنّ أفضل النّاس في الإسلام فلان وفلان، فذكرت

أمـراً إن تـمّ اعتزلـك كلّـه، وإن نقـص لـم تلحقـك ثلمتـه».

ومـن يقـرأ هـذا -الـرأي القاطـع الـذي تحـول إلـى زعـم- يعلـم أن رأي الإمـام عليه السلام هـو أنـه عليه السلام أفضـل مـن اللذيـن سـبقاه بعـد وفـاة النبـي صلى الله عليه وآله وسلم، وإلا لأيـده.

(ولا أدري هنـا، هـل أن الترميـز عليهمـا بـ «فـلان وفـلان» مـن الإمـام عليه السلام أم هـو مـن الشـريف الرضـي رحمه الله).

ولا تفوتنـك بلاغـة الأميـر عليه السلام فـي إسـقاط محاولـة معاويـة التعكّـز علـى أبـي بكـر وعمـر، خصوصـاً وأن ولايتـه علـى الشـام إنمـا هـي مـن فعـل عمـر (الـذي عينـه بعـد وفـاة أخيـه يزيـد بـن أبـي سـفيان)، وتنصيـب عمـر فـي الأصـل كان مـن أبـي بكـر. فقـال لـه: حتـى ولـو كان مـا قلتـه صحيحـاً، فإنـه بعيـد عنـك بالكامـل «اعتزلـك كلـه».

٢- ثـم ينتقـل عليه السلام إلـى تقريـع الباغـي علـى دسّ أنفـه فيمـا لا يجـوز لـه، لأن مـن يعطـي رأيـه فـي مـن هـو «الفاضـل» (أي الأفضـل مـن غيـره) و«المفضـول» (أي هـذا الغيـر الـذي هـو أقـل رتبـة مـن الفاضـل)، ومثلهما «السـائس والمسـوس» (أي القائـد والمقـود) يجـب أن يكـون ذا مكانـة تجعلـه لائقـاً للـكلام، إضافـة إلى معرفـة بالأمر. ولكـن الباغـي معاوية إنما هـو «طليـق ابـن طليـق» أطلقـه النبـي صلى الله عليه وآله وسلم وأبـاه يـوم فتـح مكـة، تفضّـلاً منه صلى الله عليه وآله وسلم ومنّـاً علـى الكفـار بعـد أن كان اللـه تعالـى قد أحـلّ مكة كلها له سـاعة مـن نهـار ينتقـم مـن الكفـار كما يشـاء.

فمن هو كي يقوم بالمفاضلة بين المهاجرين الأولين؟ وهذه لعمري إشارة أخرى من الأمير عليه السلام أن أفضلية أبي بكر وعمر على من سواهما من المهاجرين ممن هم أقل من علي عليه السلام ليست محل اتفاق، وإلا لذكر الإمام عليه السلام ذلك، ولكنه عليه السلام جعل الجميع في سلّة واحدة معرفتها ليست من اختصاص معاوية.

٣- ثم يقوم الإمام عليه السلام بإسقاط معاوية بكلمات هي كالرصاص المنطلق من المدفع الرشاش!

«هيهات لقد حنّ قدح ليس منها، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها».

القِدح، وجمعها قِداح، هي السهام، وكلمة «لقد حنّ قِدحٌ ليس منها» تعني أن هناك سهماً أخرج صوتاً نشازًا عن السهام الأخرى. فأنت يا معاوية صرت تتكلم في أمر بعيد عنك تماماً، وصلفك جعلك تحكم في شيء في الأصل أنت المحكوم فيه وليس العكس.

ثم يقوم بتحقير قدره، قائلاً:

«ألا تربع أيّها الإنسان على ظلعك، وتعرف قصور ذرعك، وتتأخّر حيث أخّرك القدر؟!»

قف يا معاوية عند شأنك القصير (الذي تشبه مشيته مشية البعير الأعرج)، فإن استخدام «تربع على ظلعك» كناية رائعة في المقام؛ وأن

تفكر في قصر طول ذراعك، وهي كناية أخرى على ضعف إمكانيتك في هذا الأمر، وهو القول في المهاجرين والتمييز في درجاتهم؛ وأن لا تتجاوز شأنك المتأخر كأمر قدري ولعلها إشارة إلى أن الله تعالى لم يوفق معاوية إلا لهذا الموقع المتأخر، علماً منه سبحانه بدخيلة نفسه.

٤- ثم يقوم الإمام عليه السلام بالإشارة البليغة إلى أن الحال بينه وبين أبي بكر وعمر ليس مفاضلة وحسب، ولكنها معركة كان فيها غالب ومغلوب، وإلا ما معنى قوله عليه السلام: «فما عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظّافر»؟

٥- أخيراً، يسقط الإمام عليه السلام هذا الباغي الغاوي بصفتين سيئتين: «وإنّك لذَهّاب في التّيه، رَوّاغ عن القصد».

في بيان بلاغي صارخ، يستخدم صيغة «فعّال» التي هي أشد من باقي الصيغ (فاعل أو فعول أو فعيل)، فيقول له: إنك في طريقك في الضلال (التيه) مستمر فيه دون توقف، وعلى العكس عن الاستقامة (القصد) أنت دائم الميلان (المراوغة) عنه...

فما أسوأ حال ذلك الباغي وقد أعلمنا الإمام عليه السلام -وهو أعرف به وبقريش كلها- أنه عبارة عن شخص ديدنه السير في طريق الضلال والابتعاد عن الاستقامة والاعتدال.

## القسم الثالث

«ألا تـرى، غيـر مخبـر لـك ولكـن بنعمـة اللـه أُحـدّث: أنّ قومـاً استشـهدوا فـي سـبيل اللـه مـن المهاجريـن، ولـكلّ فضـل، حتـى إذا استشـهد شـهيدنا قيـل سـيّد الشّـهداء، وخصّـه رسـول اللـه صلّـى اللـه عليـه وآلـه بسـبعين تكبيـرة عنـد صلاتـه عليـه؟ أَوَلا تـرى أنّ قومـاً قُطِّعـت أيديهـم فـي سـبيل اللـه، ولـكلّ فضـل، حتّـى إذا فُعِـل بواحدنـا مـا فُعـل بواحدهـم قيـل الطّيـار فـي الجنّـة وذو الجناحيـن؟ ولـولا مـا نهـى اللـه عنـه مـن تزكيـة المـرء نفسـه لذكـر ذاكـرٌ فضائـلَ جمّـة تعرفهـا قلـوب المؤمنيـن ولا تمجّهـا آذان السّـامعين».

فـي هـذا القسـم، هنـاك اللقطـات التاريخيـة، والتـي تشـير بنفسـها إلـى موقعيـة تلـك الأسـرة المختـارة مـن بنـي هاشـم مـن آل عبـد المطلـب عليهم السلام، ولا سـيما فـي الدائـرة الثانيـة التـي تلـي دائـرة المعصوميـن عليهم السلام...

كمـا أن فيهـا تعليمًـا لنـا جميعـاً فيمـا يتعلـق بطريقـة عـرض مفاخـر الـذات والعائلـة.

١- أولاً، وكمـا هـو حـال المصطفيـن الأخيـار عليهم السلام، لا يذهلـون عـن اللـه تعالـى طرفـة عيـن، يقـول عليه السلام: إنـه إنمـا يذكـر مـا يذكـر ليـس

لإخبار ذلك الباغي، لأنه يعلم بما سيقوله الإمام عليه السلام، خصوصاً وأن الكثير منه ممن أذاقه وأهله المرارات والهزائم، ولكنه عليه السلام يقوم بالواجب تجاه الله تعالى «بنعمة الله أحدّث».

هذا الذكر لنعمة الله تعالى لا يعني عدم «إخبار الآخرين» ممن تم غسيل أدمغتهم بالتجهيل، أو ممن لم يطلعوا على ذلك التاريخ على العهد النبوي، فبعدوا وأبعدوا عن الحقيقة الناصعة في أن تلك الأسرة من آل عبد المطلب عليهم السلام التي كانت رأس الحربة في الدين - دعوةً وجهاداً وصبراً وتضحيةً.

٢- ولهذا، فإن الجزاء الإلهي كان على قدر الجهاد، في جانبيه:

(أ) النية الخالصة لله.

(ب) الفعل على أرض الواقع.

٣- فيذكر الأمير عليه السلام حالتين تبين الفارق الشاسع بين الجزاء الإلهي لتلك الأسرة المضحية والتضحيات الجليلة الجميلة لباقي الصحابة الأبرار رضي الله عنهم.

٤- الحالة الأولى، حمزة بن عبد المطلب عليه السلام، وكيف أنه استشهد في أُحُد كغيره من الشهداء - والذين لا يغفل الإمام عليه السلام عن الإشادة بهم «ولكل فضل»، ولكن انظر إلى ما صنعه النبي

معه «خصّه رسول الله صلّى الله عليه وآله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه» - فارق كبير بين ٥ تكبيرات في صلاة الميت وبين ٧٠ تكبيرة لحمزة عليه السلام.

٥- الحالة الثانية، جعفر بن أبي طالب عليه السلام، وكيف أن غيره قُطّعت أيديهم في معارك النبي صلى الله عليه وآله وسلم - أيضاً لا يغفل الإمام عليه السلام عن الإشادة بهم «ولكل فضل»، ولكن انظر إلى الفارق مع الذي قطعت يداه مثلهم، حيث أنعم الله تعالى عليه في الجنة بأمرين: عوّضه عن يديه بجناحين، وصار يطير بهما في الجنة... وهو لعمري ما سيكون العنوان الخالد لذلك الصحابي الكبير، أمير المسلمين المهاجرين إلى الحبشة، والذي عندما عاد ساوى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين عودته وبين فتح خيبر على أهميته الفائقة، ثم ليقضي شهيداً مقطوع الذراعين في تبوك، وليتبعه زيد بن حارثة رضي الله عنه ثم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بعد تسلّم كل منهم على التوالي قيادة الجيش.

٦- ثم انظر إلى النَّفْس السامية العلوية والنَّفَس البياني العلوي، في خضوعها لأمر الله تعالى في كتابه العزيز، بحيث تؤدي الدعوة إلى الحق وتنير الطريق أمام الغافلين المخدوعين بما لا يخرج عن طاعة الله.

يقول عليه السلام: «ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكرٌ فضائلَ جمّة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجّها آذان السّامعين»..

فإني لا أريد أن أذكر فضائلي خشية أن تحتسب عند الله تعالى من تزكية المرء لنفسه، والله يقول ﴿**فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**﴾[1]، ولكن أريد أن أشير إشارة يفهمها اللبيب، أن لي فضائل كثيرة... ثم يذكر صفتين لهذه الفضائل، حريّ بالقارئ العزيز أن يدقّق فيهما..

٧- هذه الفضائل الجمّة الكثيرة «تعرفها قلوب المؤمنين»، فلم يقل «عقول» المؤمنين، فلا أستطيع القطع هل أنه عليه السلام عنى بالقلوب العقول (كما ورد في القرآن التعبير عن العقول بالقلوب) أو قصد القلوب التي هي محل الضمير والنفس الخيّرة التي يتصف بها المؤمنون. فإن كان الأول فإن المؤمنين قد اختزنوا في ذاكرتهم تلك المواقف العلوية الفريدة فهم يعرفونها، فمن يريد التأكد فليسأل المؤمنين عنها. وإن كان الثاني فإنها إشارة لطيفة مهمة إلى أن المؤمنين حقاً هم الذين يتفاعلون مع أميرهم وإمامهم عليه السلام بحيث أن نفوسهم لا تعصى عن الذي يعرفونه من أحداث مرّت عليهم وكان للأمير عليه السلام القدح المعلّى من العطاء فيها.

٨- كما أنها «لا تمجّها آذان السّامعين»، فإن السامع لهذه الفضائل العلوية لا يجد أذنه منزعجة منها بحيث يلفظها إلى الخارج، كالماء الممجوج في الفم، بل يأخذها بما هي من فضائل عظيمة...

---

(١) النجم:٣٢.

وإني -شهد الله- ما قرأت هذه الجملة الأخيرة لوصف الإمام عليه السلام فضائله بهاتين الصفتين، وهذه الطريقة المتواضعة، إلا واهتز قلبي ودمعت عيناي...

فسلام الله على صاحب السيف والبيان، والحرب والسلم، والنفس العالية التي تهتز لها قلوب المؤمنين.

## القسم الرابع

«فدع عنك من مالت به الرَّمِيّة، فإنّا صنائع ربّنا والنّاس بعد صنائع لنا. لم يمنعنا قديم عزّنا ولا عاديُّ طولنا على قومك أنْ خلطناكم بأنفسنا فنكحنا وأنكحنا فعل الأكفاء ولستم هناك. وأنّى يكون ذلك كذلك ومنّا النّبيّ ومنكم المُكذِّب، ومنّا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف، ومنّا سيدا شباب أهل الجنّة ومنكم صبية النّار، ومنّا خير نساء العالمين ومنكم حمّالة الحطب، في كثير ممّا لنا وعليكم. فإسلامنا قد سُمِع، وجاهليتنا لا تُدفَع، وكتاب الله يجمع لنا ما شذّ عنّا وهو قوله «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله»، وقوله تعالى «إنّ أولى الناس بإبراهيم للّذين اتّبعوه وهذا النّبيّ والذّين آمنوا والله وليّ المؤمنين»، فنحن مرّة أولى بالقرابة، وتارة أولى بالطاعة».

هنا، يسترسل الإمام عليه السلام في تعنيف الباغي على انحرافه عن القصد في القول، من خلال عدة لقطات كل واحدة منها لا تستطيع أن تفضل عليها غيرها!

١- بلاغة جميلة أن تنصح المخاطَب من خلال الخطاب عن الغائب، فالمثل العربي الذي استخدمه عليه السلام يدين الغائب «فدع عنك من مالت به الرَّمِيّة» بينما الخطاب للمخاطَب معاوية مع أن

الـذي مالـت بـه الرّميّـة هـو معاويـة نفسـه.

والرميّـة هـي الفريسـة التـي يصطادهـا الصائـد برَمْيَتـه، وهـي مفـردة نجدهـا فـي الحديـث النبـوي الشـريف المهـم عـن خـوارج ذلـك الزمـان وخـوارج زماننـا «يخرجـون مـن الديـن كمـا يخـرج السـهمُ مـن الرَّمِيَّـة»[1].

٢- ثـم يأتـي القـول الصحيـح الـذي يخالفـه الانحـراف عـن القصـد ممـن مالـت بـه الرميّـة: «فإنّـا صنائـع ربّنـا والنّـاس بعـد صنائـع لنـا».

فيـا لهـا مـن كلمـة جليلـة هائلـة تخضـع لهـا الرقـاب وتهتـز لهـا النفـوس!

أهـل البيـت عليهم السلام صنائـع اللـه تعالـى... ولكـن أليـس جميـع الكائنـات صنائـع اللـه تعالـى؟

نعم، ولكن كلمة «صنائع» فيها أمران:

**الأول**: نعـم، الكائنـات كلهـا صنائـع اللـه تعالـى، ولكـن أن يقولهـا الإمـام عليه السلام كنقطـة مهمـة يجـب الالتفـات إليهـا وأن الـذي لا يلتفـت إليهـا فقـد مـال عـن القصـد يعنـي أن هنـاك خصوصيـة فيهـم عـن باقـي الكائنـات، فهـم مـن المصطفيـن الأخيـار مـن النبييـن والمرسـلين وأوصيائهـم عليهم السلام، يصطنعهـم اللـه تعالـى بمـا ينبغـي مـن الإعـداد

(١) سنن الترمذي رواية ٢١٨٨، سنن ابن ماجة رواية ١٦٨، ومسند أحمد رواية ٣٨٣١.

لمهماتهم الكبرى، ولهذا يقول لموسى عليه السلام: ﴿**وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي**﴾[١]، ويقول ﴿**وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**﴾[٢] فأولاهما هي الصنع من أجل الله أي من أجل هداية الخلق إليه، وثانيتهما أن هذا الصنع يكون تحت نظر الله بتفاصيله.

**الثاني**: إنها جمع «صنيعة» وهو عمل المعروف أو الإحسان إلى الآخرين، وبالتالي فإن الله تعالى أنعم بنا على الناس، فنحن صنائعه إلى الخلق، حيث لطف بهم إذ اصطفانا لهدايتهم والسير بهم إلى رضوانه.

وهذا أقوى من التفسير أن أهل البيت عليهم السلام هم أسرى إحسان الله تعالى، لأنه لو كان ذلك مرام الأمير عليه السلام لقال مثلاً «فإن صنائع الله فينا لا تنكر» أو ما شابه.

٣- فما معنى «والناس بعدُ صنائعُ لنا»؟

لو قال «صنائعنا» فإن شبهة الشرك تنطلق...

ولكنه عليه السلام قال أنهم «صنائع لنا»، ما يعني: الله تعالى قد صنع الناس لأمرنا؛ وبما أن أمرهم عليهم السلام لا يخرج قيد شعرة عن عبادة الله أولاً ثم هداية الناس بهم عليهم السلام إلى عبادة الله «لتحقيق الهدف من خلقهم جميعاً ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[٣]»

(١) طه:٤١.
(٢) طه:٣٩.
(٣) الذاريات:٥٦.

فـإن النـاس لا بـد لهـم أن ينقطعـوا إليهـم عليهم السلام إذا مـا أرادوا الهدايـة الحقـة إلـى اللـه وطاعتـه ورضوانـه.

علـى أيـة حـال، لا نتقـوّل علـى الإمـام عليه السلام فإنـه حذّرنـا مـن أن نقـول في أمـور صعبـة علينـا، كمـا في قولـه عليه السلام: «أيهـا النـاس خذوهـا عـن خاتـم النبييـن صلى الله عليه وآله وسلم إنـه يمـوت مـن مـات منّـا وليـس بميـت ويبلـى مـن بلـي منّـا وليـس ببـالٍ»، ثـم يحـذّر «فـلا تقولـوا بمـا لا تعرفـون، فـإن أكثـر الحـق فيمـا تنكـرون»[١].

والتـي يقـول فيهـا بعـد ذلـك أيضـاً «فـلا تسـتعملوا الـرأي فيمـا لا يـدرك قعـرَه البصـرُ ولا تتغلغـل إليـه الفِكَـرُ».

٤- بعدهـا يربـط هـذه الموقعيـة عنـد اللـه والموقعيـة التـي يجـب أن يقبلهـا النـاس بلقطـة بيانيـة جميلـة، تحتـوي أمـراً ربمـا يشـكل علـى النـاس، وهـو: كيـف أنهـم عليهم السلام بهـذه المنزلـة السـامية يصاهـرون ذلـك الباغـي وأسـرته التـي كانـت حربـاً للـه ورسـوله صلى الله عليه وآله وسلم؟

فيقـول عليه السلام: «لـم يمنعنـا قديـم عزّنـا ولا عـاديُّ طولنـا علـى قومـك أنْ خلطناكـم بأنفسـنا فنكحنـا وأنكحنـا فعـل الأكفـاء ولسـتم هنـاك».

نعـم، إنّ ربطكـم بنـا «خلطناكـم بأنفسـنا»، وهـو تعبيـر فـي غايـة الروعـة بـدلاً مـن مفـردة أخـرى بنفـس المعنـى وهـي «مصاهـرة» (لأن «الصَّهْـر» هـو إذابـة المعـدن بحيـث يصبـح سـائلاً يمكـن أن يخالـط معدنـاً

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٨٧.

آخر قد أذيب، فهو مثل الخليط)، لا ينفي الفارق بيننا وبينكم، فإن عزّنا قديم وإن فضلنا المتطاول على غيرنا قديم أيضاً (فقد تعدّى في الزمان)، بينما أنتم بعيدون عن مثل هذا «ولستم هناك».

٥- وهل يعقل أنكم تساوروننا والفوارق الهائلة بيننا لا يمكن ردمها؟!

ففي حوزتنا النبي محمد ﷺ، وحمزة سيد الشهداء عليه السلام، والحسنان سيدا شباب أهل الجنة عليهما السلام، وفاطمة سيدة نساء العالمين عليها السلام.

وفي حوزتكم أبوك أبو سفيان الذي كذّب بالدين، وعتبة بن ربيعة (جد معاوية لأمه هند)، وأولاد مروان بن الحكم (وهو إخبار عن النبي ﷺ عن المستقبل أنهم «صبية النار»)، وحمالة الحطب أم جميل بنت حرب بن أمية (أي عمّة الباغي معاوية).

وهذا بعض من الكل، لأن هناك الكثير مما يفرّق بيننا وبينكم.

فإن الفارق بيننا -جاهلية وإسلام- من الوضوح بحيث لا يمكن لأحد أن يكذّب ما كان منه في الجاهلية من سمو منزلة بني عبد المطلب بن هاشم، مثلما صارت أفعالنا ومواقفنا في الإسلام مسموعة معروفة مشهورة.

٦- ويتم هذه المنازل السامية الرفيعة بما ينشرها إلى من قد

اصطفى اللـه منهم وحتى من هم أقل منهم، من تلك الشجرة الطيبة، ولكن مما نالوا الشرف الرفيع في مواقفهم: «...وكتاب الله يجمع لنا ما شذّ عنّا وهو قوله «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله»، وقوله تعالى «إنّ أولى الناس بإبراهيم للّذين اتّبعوه وهذا النّبيّ والذّين آمنوا والله وليّ المؤمنين»، فنحن مرّة أولى بالقرابة، وتارة أولى بالطاعة».

فطالما أن أولو الأرحام هم أولى من غيرهم بالفضل فإن بني عبد المطلب أو بني هاشم، ومنهم آل أبي طالب عليهم السلام، سيكونون في هذه الحوزة التي لا يمكن مقارنتكم بها... هذا من جانب الرحم...

وأما من جانب الطاعة والخضوع لهم عليهم السلام، فإن القرآن يجعل من الذين اتبعوا الملة الحنيفية الإبراهيمية المحمدية أعلى من غيرهم ممن كذبوا وعصوا.

فإن شئت ما يستتبع الرحم الماسّة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فكما تعلم، وإن شئت ما يستتبع الطاعة لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فكما تعلم أيضاً.

## القسم الخامس

«ولما احتجّ المهاجرون على الأنصار يوم السّقيفة برسول الله صلّى الله عليه وآله فَلَجُوا عليهم، فإن يكن الفلج به فالحقّ لنا دونكم، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم».

هذه فقرة، قصيرة في عدد كلماتها، قوية في تعليم الحجّة كما في تثبيت الحجّة بحق أهل البيت عليهم السلام.

١- في يوم السقيفة، ذلك اليوم التاريخي الذي حوّل مجرى الأحداث في العالم كله - وجرت نتائجه في اتجاه غير الذي أسسه النبي صلى الله عليه وآله وسلم طيلة حياته ليتوجها يوم الغدير ببيعة الأمير عليه السلام - تبادل المهاجرون والأنصار، أو بالحقيقة بضعة رجال من المهاجرين مع مجموعة من الأنصار الكلام، وكل جانب يريد إثبات أنه الأحق بخلافة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، في محاولة محمومة لإتمام الأمر قبل حضور صاحب الأمر علي بن أبي طالب عليه السلام، والذي لو حضر، خصوصاً ومعه الهاشميون والصحابة الأبرار من شيعته المخلصين رضي الله عنهم، لظهرت حجّته فوراً، لأن بيعة الغدير لم يكن قد مضى عليها غير شهرين وعشرة أيام.

كانت حُجّة الأنصار أنهم آووا ونصروا وأنهم أصحاب الدار (المدينة المنورة) وبالتالي فإن لهم الحق في الخلافة، وطرح

بعضهم حلًّا وسطاً أن يتقاسم الفريقان الخلافة «منّا أمير ومنكم أمير». وردّ المهاجرون ذلك، فكان ردّهم على الحل الوسط بقول عمر بن الخطاب «هيهات لا يجتمع سيفان في غمد».

إلا أن أهم حُجّة للمهاجرين كانت أنهم أقرب رحماً من النبي صلى الله عليه وآله وسلم «نحن شجرة النبي»، فهم الأحق بالخلافة. وكانت هذه الحجة هي التي أنهت الأمر، فانتصر (فَلَج) المهاجرون على الأنصار، فلم يبق غير أن يحسمها المهاجرون بينهم، فحسمها عمر وأبو عبيدة ببيعة أبي بكر.

فكيف يعلّق الإمام علي عليه السلام على هذا؟

٢- قال عليه السلام: إن هذه الحجة -الرابطة النَّسَبِيّة للمهاجرين من النبي صلى الله عليه وآله وسلم- لا تخلو من أمرين:

**الأول**: إن كانت حقاً، فإن أهل البيت عليهم السلام أقرب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من سائر المهاجرين، وعليه فكما أن المهاجرين انتصروا على الأنصار استناداً إلى هذه الحجة فإن لأهل البيت عليهم السلام الحق بالتحاجج والانتصار على المهاجرين من خلالها.

**الثاني**: إن لم تكن حقاً، وأن الانتصار في التحاجج للحصول على منصب الخلافة يكون عن طريق آخر، فإن الأنصار لم يتم الردّ على حجتهم وبالتالي فإن مطالبتهم بالخلافة لا تزال قائمة.

٣- هذه البلاغة العلوية من المختصر المفيد، الذي قام بإبلاغ

الحادثة التاريخية، وبتفصيل ما فيها، وبإعطاء كل ذي حق حقه...

٤- وأهمه حقه هو عليه السلام، كأول خلفاء الحق من العترة الطاهرة عليهم السلام «فالحق لنا دونكم».

وكلمة «دونكم» وهو يخاطب معاوية أفهم منها إنزال مكانة من سبقه حيث جعلهم مع ذلك الطليق بن الطليق في مكان واحد. فحجّة المهاجرين الثلاثة يوم السقيفة إنما أسست لمعاوية، وهو تأسيس على نحو الرحم، فهو على الجاهلية قبل الإسلام، حيث أن الرحم هو الذي يحكم، فكأن خلافة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كخلافة شيخ العشيرة: يموت فتتم البيعة لولده!

فدونكم فقرة من سطر ونصف ولكنها كبيرة في محتواها... ولا يستغرب هذا من صاحب البلاغة العظمى، الذي كان يلقمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم الطعام بعد أن يمضغه بفمه الشريف، فأي بلاغة ستخرج من ذلك الطفل الفريد فيما بعد...

وأختم هذه التعليقة ببيتين للإمام عليه السلام يحاجج بهما أبا بكر:

فإنْ كنتَ بالشُّورى مَلَكْتَ أمورَهم ... فكيف بهذا والمُشِيرونَ غُيَّبُ

وإنْ كنتَ بالقُربى حَجَجْتَ خصيمَهم ... فغيرُك أولى بالنّبيِّ وأقربُ[1]

(١) نهج البلاغة، ذيل الحكمة ١٩٠ رواية من الشريف الرضي؛ وديوان الإمام علي / مطبعة الكرم سنة ١٩٦٣.

## القسم السادس

«وزعمت أنّي لكل الخلفاء حسدت وعلى كلّهم بغيت، فإن يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر إليك، * وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارُها *. وقلت إنّي كنت أُقاد كما يُقاد الجملُ المخشوشُ حتّى أبايِع، ولعمر الله لقد أردتَ أنْ تذمَّ فمدحت، وأنْ تفضح فافتُضِحْت! وما على المسلم من غضاضة في أنْ يكون مظلوماً ما لم يكن شاكّاً في دينه ولا مرتاباً بيقينه. وهذه حُجّتي إلى غيرك قصدها، ولكنّي أطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها».

في هذا القسم المهم جداً، يتجلّى ذكاء الإمام عليه السلام في تفويت الفرصة على العدو وفي نفس الوقت استثمارها لصالحه. أيضاً، يظهر سمو النفس العلوية عن السقوط في التشنّج والتوتّر الذي يجد الكثير من شيعته أنفسهم فيه عندما يتعرضون لعداوة النواصب.

١- واضح أن الباغي معاوية كتب في رسالته يتهم الإمام عليه السلام أنه قام بأمرين تجاه الخلفاء الثلاثة قبله عندما قال له أولاً حسب نص الإمام عليه السلام «وزعمت أنّي لكل الخلفاء حسدت وعلى كلّهم بغيت، فإن يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر

إليك، وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارُها»:

**الأول**: حسدهم.

**الثاني**: التآمر عليهم.

وواضح أنه أراد جرّ الإمام عليه السلام إلى الرد بالطعن على الخلفاء قبله - أبي بكر وعمر وعثمان.

أي أنه أبتغى إسقاط الإمام عليه السلام في عيون أولياء الخلفاء الثلاثة وفي نفس الوقت محاولة الإمعان في ذلك إذا ما أجاب الإمام عليه السلام إما بالموافقة على قوله أو بالطعن عليهم ليبرر ما زعمه الباغي من حسد وتآمر من الإمام عليه السلام.

ولكن هيهات أن يغلب الإمام عليه السلام وهو أعرف بمعاوية من غيره، فكما قال عليه السلام لأصحابه يوم رفع عمرو بن العاص ومعاوية المصاحف داعين -كذباً- إلى تحكيم الله تعالى، قال عليه السلام:

«عباد الله أمضوا إلى حقكم وصدقكم وقتال عدوكم، فإن معاوية، وعمرو بن العاص، وابن أبي معيط، وحبيب بن مسلمة، وابن أبي سرح، والضحاك بن قيس ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالاً، وصحبتهم رجالاً، فكانوا شر أطفال وشر رجال»[1].

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج٧ حوادث سنة ٣٧هـ.

٢- ونقول أولاً: إن الإمام عليه السلام، الطاهر الطهر المطهر، لا يمكن أن يتطرق إليه «الحسد» فهذا محال على شخصيته.

ثانياً، ما الذي يحسدهم عليه الإمام عليه السلام؟ هل على غصبهم الخلافة التي نصبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في يوم الغدير عليهم فصار مولاهم جميعاً - هل مثل هذا يُحسَد المرء عليه أم يُخشى عليه؟

أم على دخولهم في معمعان الخلافة ومتطلباتها، في السلم والحرب، من فقه وقضاء ومعاملة مع الرعية وجميع شؤونها، وكلها لم يكونوا قد حصلوا على إعداد سابق لها مطلقاً، فحتى أشد أنصارهم لم يزعموا لهم ذلك، فانكشف الكثير من النقص في الكثير من الحوادث، وبعضها مع انكشاف الفارق بينهم وبين علي عليه السلام؟

فإن علياً عليه السلام أعلن مراراً كيف ينظر إلى الخلافة في إطارها الدنيوي البحت:

يقول عن نعله المتهالك «أحب إلي من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً»[1]، بل عن الدنيا كلها «أزهد عندي من عفطة عنز»[2].

ولكن أنى لمعاوية الغارق بالدنيا إلى قمة رأسه أن يفهم علياً عليه السلام... فإن معاوية يمكن أن يظن ذلك حقاً لأن مثله لا يستطيع أن

(١) موسوعة الإمام علي عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، الريشهري، ج٥ ص١٩٠.
(٢) نهج البلاغة، ج١ الخطبة الشقشقية.

يتصور أن هناك من يغتصب مقامه العظيم في خلافة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم ولا تسقط نفسه أمام الحسد من غاصبيه.

وأما «البغي»، أي التآمر عليهم، فلا ندري كيف تآمر عليهم علي عليه السلام؟ كل الذي فعله مما حدّث به التاريخ:

قام بواجبه الشرعي في تذكير المسلمين بالبيعة، فطاف على بيوت الأنصار ومعه تلك الأسرة الطاهرة -فاطمة والحسنان عليهما السلام- قام بواجبه الشرعي أيضاً بالاستجابة إلى بعض شيعته من الصحابة ممن جاؤوه يعرضون القتال معه لاستعادة الخلافة المغتصبة، بأن جعل الاستجابة مرهونة بحقيقة استعدادهم، فطلب منهم أن يأتوه محلّقين مستعدين، فلم يأته سوى قلائل ممن لن يفوا بالغرض المطلوب.

بعد ذلك، لم يقم بأي تصرف تآمري ضد أبي بكر ولا عمر ولا عثمان، طيلة نحو ربع قرن، بل على العكس: لقد وقف معهم طالما تطلب الدين والدولة الإسلامية الوليدة ذلك.

٣- ولكن الإمام عليه السلام، أجاب هذه المحاولة من معاوية بأفضل منها، إذ لم ينفِ التهمة، بل جعلها بينه عليه السلام وبينهم وبالتالي فلا يحق لمعاوية أن يحشر نفسه في الأمر، لأنه لو كانت حقاً فإن اللوم فيها ليس عليه، كما عبّر الشاعر الجاهلي الإسلامي أبو ذؤيب الهذلي:

وعيَّرها الواشون أنّي أحبّها  وتلكَ شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارُها

أي أن حبي لها إن كان فيه عار فإنه بعيد عن الآخر الذي لم يكن هدف الواشين، لأنني أنا الهدف.

٤- واستمر الباغي الغاوي في محاولة إثارة الإمام عليه السلام ضد من قبله، هذه المرة بشكل خاص لمبايعة أبي بكر، حيث تقول بعض الروايات أن الأخير لما جلس على المنبر وقيل له أن الهاشميين وبعض أنصارهم قد اجتمعوا في بيت علي وفاطمة عليهما السلام يتشاورون بيعة أبي بكر، رافضين لها، أرسل عصابة يقودها صاحبه عمر بن الخطاب مع خالد بن الوليد وغيره، وهجموا على بيت فاطمة عليها السلام وصار عمر يهددهم «لتخرجنّ ولتبايعنّ أو لأحرقنّ الدار بمن فيها»، فخرج لهم الزبير بن العوام (وكان من حزب علي عليه السلام في ذلك الوقت) وبسيفه، فأخذه منه خالد وقام عمر بتكسيره على الحجر، ثم خرج علي عليه السلام، فأمسكا الرجلين -عليًا عليه السلام والزبير- وقيّداهما وقاداهما إلى المسجد ليبايعا الخليفة شاءا أم أبيا.

٥- «وقلت إنّي كنت أُقاد كما يُقاد الجملُ المخشوشُ حتّى أبايِع».

صوّر الباغي معاوية كيف أخذوا الإمام عليه السلام لإجباره على البيعة أنهم قادوه كما يُفعل بالجمل من أجل إجباره على القيادة، أن يضعوا في أنفه خشبة من خشاش الأرض ليظهر طرفاها من الجانبين فيسهل ربطه بالزمام فتسهل قيادته.

وظن أنه أصاب الإمام عليه السلام في مقتل... ولكن...

٦- استثمرها الأمير عليه السلام أحسن استثمار: «ولعمر الله لقد أردتَ أنْ تذمَّ فمدحت، وأنْ تفضح فافتُضِحْت! وما على المسلم من غضاضة في أنْ يكون مظلوماً ما لم يكن شاكّاً في دينه ولا مرتاباً بيقينه».

فقد ألقم معاوية حجراً كبيراً، وفي نفس الوقت أكّد أنه عليه السلام كان مظلوماً من قبل الخليفة أبي بكر، وأكّد أنه عليه السلام كان على سلامة مطلقة في دينه ويقينه، فلا عيب عليه عليه السلام ولا ذمّ.

ما يعني أن الكلام ارتد على معاوية فصار:

- ذمّاً لأبي بكر وعمر أن ظلما الإمام عليه السلام
- فضيحة لهما أنهما تعاملاً معه عليه السلام بما لا يجوز
- ذمّاً لمعاوية وفضيحة له، لأنه يقف معهما، بل ولأن موقعه في الشام إنما جاء منهما أصلاً.

هذا، مع أن هذه الحالة -اقتياده عليه السلام كالجمل المخشوش- لم يقلها هو عليه السلام، بل هي قول الباغي معاوية، وبالتالي يجدر بالمهرجين من الوهابية وأذنابهم أن لا يطنطنوا فيها أن الشيعة يتهمون علياً عليه السلام بالجبن الخ، لأن القائل هو إمامهم معاوية، ولأن القول ارتد عليه وعلى من قبله لمصلحة الإمام عليه السلام في موقعيته وحقيقة ما جرى.

٧- يختتم عليه السلام هذا القسم بتأكيد أعلاه: «وهذه حُجّتي إلى غيرك قصدها، ولكنّي أطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها».

كلامي هذا حُجّة، أوصله عن طريقك إلى غيرك -أي إلى الذين فعلوا هذا معي، وهم الخلفاء، ولا سيما الأول والثاني- لأن ما رميتني به إنما رميتهما هما به، لأني المظلوم في الذي فعلاه.

٨- ثم ينهيها بما يجعل القارئ والسامع يتصور أبعاد القضية، أن هذا الرد منه عليه السلام ليس هو الرد الكامل، ولكن فقط إشارة أطلقها بحجم ما يتطلبه الجواب على الرسالة، ما يعني أن الذي يريد تفاصيل أخرى فإنه سيجدها في البحث عنها.

## القسم السابع

«ثم ذكرتَ ما كان من أمري وأمر عثمان، فلك أن تُجاب عن هذه لرحمك منه: فأيّنا كان أعدى له وأهدى إلى مقاتله؟ أمّن بذل له نصرته فاستقعده واستكفه؟ أمّن استنصره فتراخى عنه وبثّ المنون إليه حتى أتى قدره عليه؟! كلا والله، لقد «علم الله المعوّقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً». وما كنت لأعتذر من أنّي كنت أنقم عليه أحداثاً، فإن كان الذّنب إليه إرشادي وهدايتي له فرُبَّ مَلُوم لا ذنبَ له * وقد يستفيدُ الظِّنَّةَ المُتَنَصِّحُ *، «وما أردتُ إلّا الإصلاح ما استطعتُ وما توفيقي إلّا باللّه عليه توكّلت».

إلفات أولي إلى إنصاف الإمام عليه السلام حتى مع ألد أعدائه الذي يقاتله، أنه يقول لمعاوية أن كون عثمان قريباً له يعطيه الحق في السؤال وبالتالي الجواب منه عليه السلام.

هنا يبين الإمام عليه السلام أمرين مهمين لم تزل الشبهات تثار حولهما:

**الأول**: موقفه عليه السلام من عثمان وكيف تعامل معه.

**الثاني** : موقف معاوية من عثمان وكيف تعامل معه.

١- نجد الإمام عليه السلام يفرّق بين الكلام عن أبي بكر وعمر قبل ذلك والكلام عن عثمان، لأن الأخير ابن عم معاوية (من الجد الثاني أمية - فهو عثمان بن عفان بن العاص بن أمية والآخر هو معاوية بن صخر بن حرب بن أمية)، فيجد أن الإجابة الواضحة عنه واردة لهذه الصلة.

٢- ثم يسأله عليه السلام عن موقف كل منهما، وكيف أن معاوية كان أشد عداوة «أعدى» لعثمان، على الرغم من الادعاءات العريضة من ذلك الباغي ثم من أنصاره إلى اليوم حيث يغطّون عن خذلانه لابن عمه.. تلك العداوة التي أدت إلى تيسير مقتله على يد الثائرين المحاصرين لبيته.

٣- ويؤكد عليه السلام ذلك بالقول «أمّن استنصره فتراخى عنه وبثّ المنون إليه حتى أتى قدره عليه؟!» ليفضح موقف معاوية، ذلك الموقف الخبيث الذي كان يحسب حساب المستقبل وسعيه إلى الملك والذي كان أفضل طريق إليه هو الطلب بدم عثمان، فكان -بالنسبة لمعاوية- لا بد وأن يقتل عثمان! فإن عثمان ظل يبعث إلى معاوية الرسائل يطلب النصرة منه وكان الأخير لا يفعل شيئاً «تراخى عنه»، إلى الدرجة التي عرف معها عثمان أن هذا ما يريده ابن عمه كما ذكر المؤرخون، حيث صار يراسل وجهاء الشام طلباً للنصرة، وحيث صرّح عدة من الصحابة أن معاوية كان يريد أن يقتل عثمان من أجل أن يتوسل إلى الخلافة بطلب دمه.

٤- في المقابل، فإن علياً عليه السلام كان يقوم بدور الوساطة بين عثمان والثائرين، وكان يحاول الخروج من هذه الأزمة دون دماء، ويبدو -من كلام الإمام عليه السلام- أن عثمان نفسه رد عرض الإمام عليه السلام بالنصرة، ما يعني إما عدم ثقته به أو أنه كان يعتقد أن معاوية قادم إلى نصرته بجيش الشام.

٥- ينهي عليه السلام هذا بتلاوة الآية المباركة[1] التي تفضح الذين يعرقلون النصرة الذي يطلبها ولكن بالشكل الماكر.

٦- ثم يخبرنا الإمام عليه السلام أنه كان مؤيداً للاتجاه الذي يدين بعض أفعال الخليفة عثمان: «وما كنت لأعتذر من أنّي كنت أنقم عليه أحداثاً» - كنت معترضاً رافضاً لبعض التجاوزات وبعض البدع التي جاء بها (الإحداث عمل البدعة، والأحداث هي البدع نفسها)...

٧- ولكن «فإن كان الذّنب إليه إرشادي وهدايتي له فرُبَّ مَلُوم لا ذنبَ له»، فإن كنت أنت يا معاوية أو غيرك يعتبر أن محاولتي هداية عثمان ذنباً فإنه ذنب من لا ذنب له! أنت تلومني على شيء لا ألام عليه أصلاً.

٨- وينبّه إلى حالة تحصل للذي يشتد في نصيحة الآخرين وهم لا يقبلون النصح أو لا يستفيدون منه، فربما ظُلِمَ الناصح الأمين الذي لشدة نصحه يظن به البعض أن له غرضاً آخر غير معلن. قال الشاعر:

وكم سُقْتُ في آثاركُمْ من نصيحةٍ وقد يستفيدُ الظِّنَّةَ المُتَنَصِّحُ

(١) سورة الأحزاب:١٨.

فعوضاً عن شكر الناصح إذا بهم يظنون بنيته سوءاً!

٩- ينهي عليه السلام كلامه بالآية المباركة من سورة هود: ٨٨: «وما أردتُ إلّا الإصلاح ما استطعتُ وما توفيقي إلّا باللّه عليه توكّلت»، بما قاله شعيب عليه السلام لقومه أنه بذل الوسع من أجل إصلاحهم، وكان في هذا كله لا يغفل عن أن التوفيق للنجاح معهم لا يخرج عن تمكين الله وتوفيقه.

١٠- فانظروا إلى الفارق الهائل: الإمام علي عليه السلام يعتقد أنه هو الأحق بالخلافة من عثمان وممن قبل عثمان، مع ذلك يبذل النصيحة المتواصلة لعثمان، بل ويبذل إليه النصرة.

والباغي الغاوية معاوية يعلم أنه من الطلقاء الذين لا تجوز الخلافة لهم حتى حسب الاتجاه الآخر الذي لا يرى أن الخلافة هي لعلي وأولاده عليهم السلام حصراً، وإذا به يتصرف بشكل يعجّل فيه من مقتل ابن عمه..

فالعجب كل العجب ممن يقارن بين الثرى والثريا، ولا يكتفي بل يختلق للباغي المعاذير ويطعن -صراحة أو ضمناً- بأمير المؤمنين عليه السلام.

# القسم الثامن

## الجزء الأول: الجمع بين الجواب التحقير للخصم والتهديد بصالحي الأمة

«وذكرتَ أنّه ليس لي ولأصحابي إلّا السّيف، فلقد أضحكتَ بعد استِعبار! متى ألفيت بني عبد المطّلب عن الأعداء ناكلين وبالسّيوف مُخَوَّفِين * لبِّثْ قليلاً يلحقُ الهَيجا حَمل *. فسيطلبك من تطلب، ويقرب منك ما تستبعد. لبِّثْ قليلاً يلحقُ الهَيجا حَمل. فسيطلبك من تطلب، ويقرب منك ما تستبعد».

في القسم الأخير، يجمع الإمام بين الجواب التحقيري للخصم الغاوي، والتهديد بصالحي الأمة كلهم، مع الإلفات إلى تميز بعضهم، وأخيراً التذكير الموجع بماضي المعارك في العهد النبوي[1].

١- كما قلت آنفاً، أتصور أن الباغي الغاوي كان يكتب وهو يعلم أن ما يكتبه مثير للعجب والسخرية بحيث كان هو ووزراؤه الأقربون يضحكون منه. وإلا، أي سيف جهزه لعلي عليه السلام ولأصحابه الأبرار وهو الذي رفض الخروج لمبارزته بعد ذلك في صفين

(١) في الجزء رقم ١ أذكر بعض هذا والجزء ٢ الباقي.

(وروي أن ابن العاص قال له: «أنصفك الرجل» فأجابه معاوية أنك تريدني أن أقتل كي تطالب بالثأر لدمي! بعبارة أخرى: تريد أن تقوم بما قمت أنا به مع عثمان!) حيث وضعه عليه السلام أمام المسؤولية بعد وقوع القتل الكثير من الجانبين.

وأي سيف يجهزه ووزيره وساعده الأيمن عمرو بن العاص عندما خرج بعدها لعلي عليه السلام دفع الموت عن نفسه بالفعل الدنيء الذي خلّده الفارس المجاهد الكبير «أبو فراس الحمداني» في رائيته التي مطلعها:

أراك عصيّ الدمع شيمتك الصبرُ  أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمرُ؟

بقوله:

ولا خيرَ في دفعِ الردى بدنِيَّةٍ  كما ردّها يوماً بسوأتِهِ عمرو!

أجابه الإمام عليه السلام أولاً بتلك الكلمة البليغة «أضحكت بعد استعبار» - أن كلامك من العجب بحيث يجد سامعه نفسه يضحك بدلاً من أن يغضب أو ينزعج، بل ويضحك حتى ولو كان يبكي قبلها.

بعبارة أخرى، كما يقال «شرُّ البليَّةِ ما يضحك» - تنزعج، تغضب، تثور، تتألم، عندما تبتلى بقول أو فعل معاد، ولكن الفعل إذا كان مما لا يمكن تصوره فإنك تضحك، وربما بصوت عال، من التعجب!

أنت تهددني، وأنت تعلم أنني ابن عبد المطلب، وبنو عبد المطلب -الذين أنت يا معاوية تعرفهم حق المعرفة- لا يخشون من تهديد أو وعيد، فلا يتزلزلون أو يضعفون أو يتأخرون عن ملاقاة العدو، لأن السيوف والرماح والسهام وجميع الأسلحة لا تخيفهم. وهذا الإرجاع إلى جده فيه ما يوخز نفس ذلك الغاوي، لأن النزاع والتنافس بين الهاشميين والأمويين لم يزل مستعراً (وإلى اليوم بين أولياء هؤلاء وأولياء هؤلاء).

٢- «لبِّثْ قليلاً يلحقُ الهَيجا حَمل. فسيطلبك من تطلب، ويقرب منك ما تستبعد».

استخدم الأمير عليه السلام هذا المثل الذي يضرب لرجل اسمه «حمل» كان في أيام الجاهلية وقد أغاروا على إبله ومواشيه، فأغار عليهم واستنقذها منهم.

أنا الذي سأسرع إليك، وسآتيك بما تطلبني إليه من الحرب، والتي ستكون أقرب مما تتصور؛ أو ربما أنك لا تريدها حقاً فتستبعد وقوعها.

## الجزء الثاني: القَفلة العلوية الحيدرية

«وأنا مُرقِل نحوك في جَحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، شديد زحامهم، ساطع قَتامهم، متسربلين سرابيلَ الموت، أحبّ اللقاء إليهم لقاء ربهم، قد صحبتهم ذرّيّة بدريّة وسيوف هاشميّة، قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدّك وأهلك "وما هي من الظالمين ببعيد"».

في الأعمال الأدبية، والقصيدة الشعرية، والأعمال الدرامية الأدبية التي تصنع للتلفزيون والسينما، فيها جميعاً ما يسمونه «قَفْلة»، أي ما يقفل/ ينهي به الشاعر أو الأديب أو المخرج العمل من أجل أن يكون ذا نهاية قوية تطبع العمل بطابعها، فهي موجزة، مكثفة، قوية، ربما تصدم المتلقي، وربما تريحه بعد توتر المشاهدة أو القراءة، وربما تحزنه بما تحتويه...

تعالوا إلى هذه «القفلة» التي في رسالة أمير البلاغة والبيان عليه السلام...

١- سآتيك سريعاً، مرقلاً، والذي وجدنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستعمله في وصف الصحابي الكبير «هاشم بن عتبة» (إبن أخ سعد بن أبي وقاص، ولكنه كان من شيعة علي عليه السلام، ومن قادة فتح فلسطين والشام والعراق وإيران) الذي سمي «المرقال» حيث روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يحثه على الإقدام في القتال بقوله «أرقل يا ميمون» فيسرع مهرولاً نحو العدو بطريقة معينة...

سآتيك بجيش عظيم، زحام جنوده شديد لكثرتهم، بحيث أن الغبار الثائر حولهم منتشر ساطع...

**فمن هم هؤلاء الجند؟**

إنهم أولئك الأبطال الذين أذاقوكم الويلات، إنهم من المهاجرين في سبيل الله والأنصار الذين نصروا الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، الذين وقفوا إزاءكم وإزاء كفركم في بدر وأحد والأحزاب ويوم الفتح، الذين بهم أيد الله نبيه وصفيه صلى الله عليه وآله وسلم بالنصر ﴿**هُوَ**

﴿الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾[1]..

ومعهم التابعون لهم بإحسان، على ذات النهج في نصرة الله ورسوله ﷺ ووليه عليه السلام، والتي هي نصرة الدين الحق.

هيأتهم وكأنهم يلبسون الأكفان، فهم خارجون للحرب التي يمكن أن تؤدي إلى الموت... بل إن الموت هذا هو أحلى أمانيهم، لأنه يعني لقاء المحبوب: الله عز وجل.

فيا له من جيش: جنده وقادته هم من عرفت من جند جيش النبي ﷺ، عددهم كبير، هيأتهم تخيف العدو، والأهم من هذا كله أنهم لا يهابون الموت بل يتوقون إليه.

٢- بعد أن أجاب على التهديد السخيف للباغي معاوية بتهديد عظيم بذلك الجيش الكبير الذي جنده يمثل لقاء الله لهم أحلى أمانيهم، صعّد عليه السلام الكلام إلى القسم الأخير بما ضرب به ذلك الغاوي ضربة نجلاء لا شك في أنها أثارت عنده الحزن والألم والمرارة...

وكيف لا وقد جمع له العناصر الثلاثة:

(١) بدر.

(٢) سيوف بني هاشم.

(٣) قتلى عائلته بالذات.

(١) الأنفال: ٦٢.

فهذا الجيش العظيم من المهاجرين والأنصار والتابعين، سيأتيك ومعه من ذراري البدريين المجاهدين، ومن سيوف الهاشميين...

فلو كانت هذه العناصر متناثرة ربما كان سيهون الخطب، ولكنها كانت متحدة متضافرة: ففي ذلك اليوم التاريخي الحاسم، ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾[1]، انطلقت الدعوة المحمدية لتصبح كياناً له دولة ووطن وجيش مظفر، لتصبح عقدة بني أمية (ومن أشرب حبهم في قلبه المنحرف إلى اليوم).

في نفس ذلك اليوم، كانت السيوف الهاشمية هي التي ترتفع عالياً لتنزل ضاربات قاتلات لا يفلت منها أحد، تنزل لتقتل عتاة المشركين كأبي جهل وأمية بن خلف، ولكن الأهم عند ذلك الغاوي هم رؤوس أسرته التي سقطت على أرض المعركة...

«قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدّك وأهلك»: فقد كان ذو الفقار بيد الإمام عليه السلام هو الذي قضى على «أخيك» حنظلة بن أبي سفيان؛ وكان ذو الفقار هو الذي قضى على «خالك» الوليد بن عتبة، أخي أمك هند؛ وكان سيف حمزة عليه السلام هو الذي قضى على «جدك» عتبة بن ربيعة، أبي أمك هند؛ وكان سيف عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه هو الذي جرح من هو من أقرب «أهلك» شيبة بن ربيعة، أخي جدك، ثم لينهيه قتيلاً علي وحمزة عليهما السلام...

(١) الأنفال: ٤١.

مقتلة عظيمة لتلك الأسرة من بني عبد شمس والتي لولا أن أبا سفيان كان في قافلة التجارة فلربما كان من القتلى؛ كذا ابنه معاوية؛ ولكن الله شاء أن يبقيه من أكبر أبواب الفتن لهذه الأمة «المكبوبة على وجهها مذ فقدوا نبيهم» حسب تعبير الصحابي الكبير أبي بن كعب رضي الله عنه.

ليتم الكلام الممض بإتمام التهديد «وما هي من الظالمين ببعيد» فهي ستكون موجهة نحوك ومن معك من الغاوين الباغين المنحرفين.

فيا لها من «قَفلة» علوية، وكأنها ضربات حيدرية، ربطت ماضي سيوف الهاشميين والبدريين المجاهدين بسيوف المهاجرين والأنصار والتابعين وذراري البدريين وسيوف الهاشميين مرة أخرى، ودائماً، تلك السيوف المسلطة على أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم...

إنتهت هذه اللقطات لكلام أمير المؤمنين وإمام البلغاء علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي يهدر بيانه في خطابه إلى الباغي الغاوي - دفعاً وجذباً، جِدّاً واستهزاء، عقيدة وشرعاً، إطاراً ومنهاجاً - بما لا يأتيك إلا ممن زُقّ العلم والبيان من الكتاب المعجز القرآن المبين ومن بيان سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم...

فهنيئاً لمن سمع من الأمير عليه السلام ما سمع، وأكثر منه لمن استمع وأنصت، وأعظم منه من استمع وأنصت فتعلّم، وطوبى لمن استمع وعمل بما سمع وتعلم... عبر الأجيال...

# الفصل الثالث

## كيف يحاسب الإمام علي عليه السلام عمّاله على الأقاليم

## رسالته إلى عثمان بن حنيف رضي الله عنه

## رسالته إلى عثمان بن حنيف رضي الله عنه

وجّه مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام رسالة إلى الصحابي الكبير عثمان بن حنيف الأنصاري رضي الله عنه، وكان عامله على البصرة، أي كان حاكم البصرة الأعلى.

في الرسالة، يقوم بتأنيبه على قضية لا نجدها اليوم تشكل أية مخالفة للطريق السوي، وهو أن بعض وجهاء أو أغنياء البصرة دعوه إلى وليمة فلبّاها!

فلو سأل سائل متعجب: وماذا في هذا؟

أجيبه بالقول: إنه علي عليه السلام، إمام الهدى، وكل ما يحيد شعرة عن الهدى يزعجه عليه السلام، فلا يسكت عنه متعللاً بتبريرات الحكام والمرجعيات السياسية والدينية والاجتماعية، أمس واليوم.

ولم يكن علي عليه السلام غافلاً عن الفارق بينه وبين غيره بحيث يطلب منهم ما يطلب من نفسه بالضبط كما وصف المتنبي سيف الدولة:

ويطلبُ عند الناسِ ما عندَ نفسِهِ وذلك ما لا تَدّعِيهِ الضَّراغِمُ!

بل كان ملتفتاً تماماً بما ستقرأ من قوله «ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك..»، ولكن حقوق الرعية كانت عنده فوق كل اعتبار، وإلا فما معنى إمام الهدى في الخلافة؟

## نبذة عن الصحابي الكبير عثمان بن حنيف الأنصاري ودفاعه عن الشرعية في البصرة

أولاً إن «عثمان بن حنيف» لم يكن ممن صدرت منه تجاوزات، أو كان من البعيدين عن علي عليه السلام، لنقول أنه كان في الأصل أهلاً للتقريع؛ على العكس من ذلك...

فأولاً هو من الأنصار، ونحن نعلم مدح القرآن للأنصار ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَائِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[1]؛ والمدح العظيم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم: «آية الإيمانِ حُبُّ الأنصار وآية النّفاقِ بُغضُ الأنصار»[2]، ومدحهم علي عليه السلام أعظم المدح بقوله: «هم والله ربَّوا الإسلام كما يُربّى الفلو! مع غنائهم بأيديهم السّباط، وألسنتهم السِّلاط»[3].

ثم أن الأنصار كانت غالبيتهم الساحقة مع علي عليه السلام؛ وكان «عثمان» قد شهد مشاهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من «أُحُد» فصاعداً؛ وحصل على إجماع الصحابة الذين استشارهم الخليفة «عمر» في فتح العراق.

---

(١) الحشر:٩.

(٢) البخاري، كتاب مناقب الأنصار رواية ٣٧٨٤.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٤٦٢.

ثم كان «عثمان» هذا بالذات مؤتمناً عند علي عليه السلام وإلا لا يمكن أنه يوليه البصرة وهي أول مدينة تمصّر في الإسلام، وأهميتها كرابط بين الحجاز والعراق وفارس والخليج فريدة متميزة.

كما أن عدم تمكن «عثمان بن حنيف» من منع الناكثين -طلحة والزبير- ومعهم السيدة عائشة وأتباعهم من السيطرة على بيت المال ودار الحكم في البصرة وقتل أكثر من ١٢٠ من أصحابه، لم يمنع الإمام عليه السلام من إعادة تعيينه في منصبه بعد حرب الجمل.

كان علي عليه السلام قد أرسل إليه أمره: «من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عثمان بن حنيف. أما بعد؛ فإن البغاة عاهدوا الله ثم نكثوا وتوجهوا إلى مصرك، وساقهم الشيطان لطلب ما لا يرضى الله به، والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً. فإذا قدموا عليك فادعهم للطاعة والرجوع إلى الوفاء بالعهد والميثاق الذي فارقونا عليه، فإن أجابوا فأحسن جوارهم ما داموا عندك، وإن أبوا إلا التمسك بحبل النكث والخلاف فناجزهم القتال حتى يحكم الله بينك وبينهم وهو خير الحاكمين، وكتبت كتابي هذا إليك من الربذة وأنا معجّل المسير إليك إن شاء الله».

أقبل طلحة والزبير من المعسكر وخرج عثمان بن حنيف في أصحابه فناشدهما الله والإسلام، وذكرهما بيعتهما علياً عليه السلام، فقالا: نطلب بدم عثمان، فقال لهما: «وما أنتما وذاك؟ أين بنوه؟ أين بنو عمّه الذين هم أحقّ به منكم؟! كلّا والله ولكنّكما

حسدتماه، حيث اجتمع الناس عليه، وكنتما ترجوان هذا الأمر، وتعملان له! وهل كان أحد أشدّ على عثمان قولاً منكما! فشتماه شتماً قبيحاً!».

ثمّ اقتتلوا قتالاً شديداً، ثمّ تحاجزوا واصطلحوا على أن يكتب بينهم كتاب صلح فكتب:

«هذا ما اصطلح عليه عثمان بن حنيف الأنصاري ومن معه من المؤمنين من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وطلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين من شيعتهما، أنّ لعثمان بن حنيف دار الإمارة والرحبة والمسجد وبيت المال والمنبر، وأنّ لطلحة والزبير ومن معهما أن ينزلوا حيث شاءوا من البصرة، ولا يضار بعضهم بعضاً في طريق ولا فرضة ولا سوق ولا شرعة ولا مرفق، حتّى يقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فإن أحبّوا دخلوا فيما دخلت فيه الأُمّة، وإن أحبّوا لحق كلّ قوم بهواهم، وما أحبّوا من قتال أو سلم أو خروج أو إقامة، وعلى الفريقين بما كتبوا عهد الله وميثاقه، وأشدّ ما أخذه على نبيّ من أنبيائه، من عهد وذمة».

ثمّ إنّ طلحة والزبير أرسلا إلى وجوه الناس وأهل الرياسة والشرف، يدعوانهم إلى الطلب بدم عثمان، وخلع علي، وإخراج ابن حنيف من البصرة، فبايعهم على ذلك الأزد وضبة وقيس بن عيلان.

فلمّا استوثق لطلحة والزبير أمرهما، خرجا في ليلة مظلمة إلى المسجد وقت صلاة الفجر، فلّما انصرف الزبير من صلاته، صاح بأصحابه المسلّحين: أن خذوا عثمان بن حنيف، فأخذوه بعد أن تضارب هو ومروان بن الحكم بسيفيهما، فلمّا أُسر ضرب ضرب الموت، ونتف حاجباه وأشفار عينيه، وكلّ شعرة في رأسه ووجهه، وأخذوا السبابجة (وهم شرطة وموظفو دار الحكم في البصرة)، فانطلقوا بهم وبعثمان بن حنيف إلى عائشة، فقالت لأبان بن عثمان بن عفّان: «أخرج إليه فاضرب عنقه، فإنّ الأنصار قتلت أباك وأعانت على قتله».

ولكن عثمان هددهم بالقول: «يا عائشة، ويا طلحة ويا زبير، إنّ أخي سهل بن حنيف خليفة علي بن أبي طالب على المدينة، وأقسم بالله إن قتلتموني ليضعن السيف في بني أبيكم وأهليكم ورهطكم، فلا يبقي أحداً منكم».

فكفّوا عنه، وخافوا أن يقع سهل بن حنيف بعيالاتهم وأهلهم بالمدينة، فتركوه.

وأرسلت عائشة إلى الزبير أن أقتل السبابجة، فذبحهم الزبير كما يذبح الغنم، وولي ذلك منهم عبد الله ابنه، وهم سبعون رجلاً، وبقيت منهم طائفة مستمسكين ببيت المال، قالوا: «لا ندفعه إليكم حتّى يقدم أمير المؤمنين»، فسار إليهم الزبير في جيش ليلاً، فأوقع بهم، وأخذ منهم خمسين أسيراً فقتلهم صبراً.

ثـمّ أنّهـم خيّـروا عثمـان بيـن أن يقيـم أو يلحـق بعلـي، فاختـار الرحيـل، فخلـوا سـبيله، فلحـق بعلـي عليه السلام، فلمّـا رآه بكـى، وقـال لـه: «فارقتـك شـيخاً، وجئتـك أمـرد»؛ فاسـترجع علـي عليه السلام ثلاثـاً.

(ذكرتـه مختصـراً قليـلاً مـن شـرح نهـج البلاغـة لابـن أبـي الحديـد، وذكـره ابـن سـعد فـي طبقاتـه مختصـراً علـى القـول «قتـل عثمـان، وفـارق ابـن كريـز البصـرة، فبعـث علـي عليهـا عثمـان بـن حنيـف والياً، فلـم يـزل حتـى قـدم عليـه طلحـة والزبيـر، فقاتلهمـا ومعـه حكيـم بـن جبلـة العبـدي. ثـم توادعـوا، حتـى يقـدم علـي. ثـم كانـت ليلـة ذات ريـح وظلمـة، فأقبـل أصحـاب طلحـة، فقتلـوا حـرس عثمـان بـن حنيـف ودخلـوا عليـه، فنتفـوا لحيتـه وجفـون عينيـه، وقالـوا: «لـولا العهـد لقتلنـاك»، فقـال: «إن أخـي والٍ لعلـي علـى المدينـة، ولـو قتلتمونـي لقتـل مـن بالمدينـة مـن أقـارب طلحـة والزبيـر». ثـم سـجن، وأخـذوا بيـت المـال».

توفي عثمان بن حنيف رضي الله عنه في أيام معاوية.

وفيمـا يلـي نـص رسـالة الإمـام عليه السلام لعثمـان بـن حنيـف، ثـم تعليقـات علـى أقسـامها المختلفـة بمـا يكشـف عـن الفـارق الهائـل بيـن النهـج الـذي يدعـو إليـه الإمـام علـي عليه السلام ومـا نجـد عليـه الساسـة اليـوم.

## نص الرسالة

روى السيد الشريف الرضي ﵀ في «نهج البلاغة» الرسالة رقم ٤٥، ما يلي:

إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وهو عامله على البصرة، وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها، فمضى إليهم، «أَمَّا بَعْدُ، يَابْنَ حُنَيْف، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إلى مَأْدُبَة، فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا، تُسْتَطَابُ لَكَ الأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلى طَعَامِ قَوْم، عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ. فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هذَا الْمَقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ، وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ.

– أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُوم إِمَاماً، يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ. أَلاَ وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ . أَلاَ وَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلَى ذلِكَ، وَلكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَع وَاجْتِهَاد، وَعِفَّة وَسَدَاد. فَوَاللهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً، وَلاَ ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً، وَلاَ أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً.

– بَلَى! كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْم، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ، وَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ. وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَك وَغَيْرِ فَدَك، وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَد جَدَثٌ، تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا، وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا، وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا،

وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا، لأَضْغَطَهَا الْحَجَرُ وَالْمَدَرُ، وَسَدَّ فُرَجَهَا التُّرَابُ الْمُتَرَاكِمُ، وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الأَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ.

- وَلَوْ شِئْتُ لاَهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هذَا الْعَسَلِ، وَلُبَابِ هذَا الْقَمْحِ، وَنَسَائِجِ هذَا الْقَزِّ، وَلكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ - وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوِ بِالْيَمَامَةِ مَنْ لاَطَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلاَ عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ - أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى وَأَكْبَادٌ حَرَّى، أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ  وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ

أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ: أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ، وَلاَ أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ!

فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ، كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا، أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقَمُّمُهَا، تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلاَفِهَا، وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا، أَوْ أُتْرَكَ سُدىً، أَوْ أُهْمَلَ عَابِثاً، أَوْ أَجُرَّ حَبْلَ الضَّلاَلَةِ، أَوْ أَعْتَسِفَ طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ! وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: إِذَا كَانَ هذَا قُوتُ ابْنِ أَبِي طَالِب، فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الأَقْرَانِ وَمُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ. أَلاَ وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً، وَالرَّوَائِعَ الْخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُوداً، وَالنَّابِتَاتِ الْعِذْيَةَ أَقْوَى وَقُوداً، وَأَبْطَأُ خُمُوداً، وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَالصِّنْوِ مِنَ الصِّنْوِ، وَالذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ. وَاللهِ لَوْ

تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا، سَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الأرض مِنْ هذَا الشَّخْص الْمَعْكُوسِ، وَالْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ، حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدَرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ .

- إِلَيْكَ عَنِّي يَا دُنْيَا، فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ، قَدِ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ، وَأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ، وَاجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاحِضِكِ . أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكَ؟! أَيْنَ الأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِكِ؟! هَا هُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ، وَمَضَامِينُ اللُّحُودِ . وَاللهِ لَوْ كُنْتِ شَخْصاً مَرْئِيّاً، وَقَالَباً حِسِّيّاً، لأَقَمْتُ عَلَيْكِ حُدُودَ اللهِ فِي عِبَادٍ غَرَرْتِهِمْ بِالأَمَانِي، وَأُمَمٍ أَلْقَيْتِهِمْ فِي الْمَهَاوِي، وَمُلُوكٍ أَسْلَمْتِهِمْ إِلَى التَّلَفِ، وَأَوْرَدْتِهِمْ مَوَارِدَ الْبَلاَءِ، إِذْ لاَ وِرْدَ وَلاَ صَدَرَ! هَيْهَاتَ! مَنْ وَطِىءَ دَحْضَكِ زَلِقَ، وَمَنْ رَكِبَ لُجَجَكِ غَرِقَ، وَمَنِ ازْوَرَّ عَنْ حَبَائِلِكِ وُفِّقَ، وَالسَّالِمُ مِنْكِ لاَيُبَالِي إِنْ ضَاقَ بِهِ مُنَاخُهُ، وَالدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمٍ حَانَ انْسِلاَخُهُ . أَعْزُبِي عَنِّي! فَوَاللهِ لاَ أَذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذِلِّينِي، وَلاَ أَسْلَسُ لَكِ فَتَقُودِينِي.

- وَأَيْمُ اللهِ - يَمِيناً أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللهِ عَزَّوَجَلّ - لأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهَشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرتْ عَلَيْهِ مَطْعُوماً، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً؛

وَلأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاء، نَضَبَ مَعِينُهَا، مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا. أَتَمْتَلِىءُ السَّائِمَةُ مِنْ رِعْيِهَا فَتَبْرُكَ؟ وَتَشْبَعُ الرَّبِيضَةُ مِنْ عُشْبِهَا

فَتَرْبِضَ؟ وَيَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعَ؟ قَرَّتْ إِذاً عَيْنُهُ إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ السِّنِينَ الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ، وَالسَّائِمَةِ الْمَرْعِيَّةِ!

- طُوبَى لِنَفْس أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرْضَهَا، وَعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا، وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمْضَهَا، حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا، فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، تَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ، وَهَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِم شِفَاهُهُمْ، وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِم ذُنُوبُهُمْ «أُولئِكَ حِزْبُ اللهِ، أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

- فَاتَّقِ اللهَ يَابْنَ حُنَيْف، وَلْتَكْفُفْ أَقْرَاصُكَ، لِيَكُونَ مِنْ النَّارِ خَلاَصُكَ».

انتهى نص الرسالة، وفيما يأتي التأمل في الأقسام التسعة - ماذا يقول علي عليه السلام وكيف نستفيد منها، حكاماً ومحكومين.

## القسم الأول:

## ما مشكلة الإمام علي عليه السلام مع تلك الوليمة؟

«أَمَّا بَعْدُ، يَابْنَ حُنَيْف، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَأْدُبَة، فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا، تُسْتَطَابُ لَكَ الأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْم، عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ. فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هذا الْمَقْضَم، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ، وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ».

أين المشكلة؟

ما مشكلة أمير المؤمنين عليه السلام مع تلك الوليمة؟

شخص من وجهاء البصرة يدعو واليها من قبل الخليفة دعوة غداء أو عشاء، فيحضرها،

أين المشكلة؟

المشكلة حسب موقف مولانا علي عليه السلام – فيما يلي:

١ – «تُسْتَطَابُ لَكَ الأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ»

جلست -يا بن حنيف- مجلساً يدار عليك فيه الطعام تلو الطعام؛ وهو طعام اختيرت فيه الأنواع المختلفة.

السؤال: أ ليست ولائمنا -نحن المحكومين المتخمين- على نفس الشاكلة؟

نعم، إذا كان الإمام عليه السلام يُشكل على واليه الاستجابة والجلوس إلى مثل هذه الوليمة/ المأدبة، ونحن لسنا ولاة وعليه فإن الإشكال لا يخصنا، فإن نبرة كلامه عليه السلام توحي بعدم محبته لمثل هذه الولائم المُتخِمَة، وولائمنا من هذا النوع - لا داعي للإنكار.

ولكن المؤكد هو أن الإمام عليه السلام لم يرض لواليه هذا؛ فهل كان هذا موقفاً بسبب شيوع الفقر وقتها مثلاً؟

لا نستطيع الحكم.

ولكن إذا كان مخصوصاً بسبب الفقر وقتها، فنحن اليوم نتعثر بالفقراء في كل مكان، فكيف يسوّغ الولاة اليوم - أي الذين في منصب محافظ في المحافظات العراقية والسورية والأردنية والمصرية والسعودية وغيرها - كيف يسوّغ لهم الانغماس في مثل هكذا ولائم؟

أسوأ منه، كيف يسوّغ لهم إقامة هذه الولائم هم أنفسهم؟!

الألوان والجفان المتنوعة وحولهم، ومن رعيتهم في مناطق

حكمهم المحلي من يتضورون جوعاً وعطشاً وعُرياً وتشرداً...

٢- «وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلى طَعَامِ قَوْمٍ، عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ».

مشكلة أخرى يشير إليها الإمام عليه السلام: المأدبة، دعوة الطعام تلك، كانت من قوم يدعون الأغنياء دون الفقراء.

مرة أخرى نسأل: أليست ولائمنا -نحن المحكومين المتخمين- على نفس الشاكلة؟

ولو فرضنا أننا لا نعرف فقراء، أو لا نريد أن نعرفهم، أو ليسوا في مناطقنا، أليس من الممكن حفظ نصيبهم من طعام الوليمة ليؤخذ إليهم في أماكنهم أو أي مكان يمكن أن يصلهم فيه؟

لا أتكلم عن ما تبقى إذا تبقى، وما لا نريد أن نرميه في المزبلة! أتكلم عن إحساس في الأصل بالواجب تجاه إخوة المجتمع والإنسانية...

وأما الحكام والولاة، فأي فقراء يشعرون بهم وهم يلهثون خلف الأغنياء وأصحاب النفوذ عند من يعملون عندهم -أجراء أو عملاء-؟!

بل هل يأتي فقير ببالهم وهم متحصنون خلف أسوار حكمهم المحمي من «إزعاجات» الحياة كلها ومنها فقراؤها وأيتامها

وأراملهـا ومهجروهـا ونازحوهـا؟!

٣- «أُنْظُـرْ إِلَـى مَـا تَقْضَمُـهُ مِـنْ هـذا الْمَقْضَـمِ، فَمَـا اشْـتبَهَ عَلَيْـكَ عِلْمُـهُ فَالْفِظْـهُ، وَمَـا أَيْقَنْـتَ بِطِيـبِ وُجُوهِـهِ فَنَـلْ مِنْـهُ»

ها، ها هنا تأتي علّة مهمة جداً لا مجال للتهرب منها:

يـا بـن حنيـف، هـذا الطعـام ربمـا فيـه شـبهة مـن حـرام، فـي الحصـول عليـه مـن قبـل صاحـب المأدبـة، أو عملـه وصناعتـه...

وعندها لا يجوز لك تناوله -

أنظر التعبير «فالفظه»، أي أبصقه بعيداً، بمعنى ألا تقرب منه أصلاً.

وأما إذا كان مما لا شبهة فيه، عندها لك أن تتناول منه.

على أن هذا هو الحكم العلوي عموماً، فإن علياً عليه السلام لا يحرم ويحلل كيف يشاء، لأنه والحق يدور معه كيفما دار، فلا يخرج منه إلا الحق.

لأنـه عليه السلام سـيفصل فـي ثنايـا الرسـالة كيفيـة التعامـل المنتظـر مـن الحاكـم عـن طريـق رسـم الصـورة المشـرقة السـامية التـي كان هـو عليهـا - بأبـي هـو أمـي ونفسـي...

## القسم الثاني:

## ضرورة الإمامة وواجب المأموم تجاه الإمام الحاكم

«أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَأمُومٍ إِمَاماً، يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ. أَلاَ وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ . أَلاَ وَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلَى ذلِكَ، وَلكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَع وَاجْتِهَاد، وَعِفَّة وَسَدَاد. فَوَاللهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً، وَلاَ ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً، وَلاَ أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً».

من المؤسف أشد الأسف أن مصطلح «الإمامة» تدهور كثيراً. ولعل استخدام هذا المصطلح في وظائف متعددة ساهم في هذا التدهور.

ولكن الفقه الإسلامي، ناهيك عن المنطق، وقبل ذلك كله كتاب الله الذي هو يؤسس للمصطلح من جانبه الشرعي، يفرّق بين «إمام الصلاة» و«إمام الحج» و«إمام الدين» و«إمام الحكم» وحتى «الإمام الداعي إلى النار» والعياذ بالله.

إن «الإمامة» -كما يقول الإمام الرضا عليه السلام- «زمام الدين ونظام المسلمين، إن الإمامة أس الإسلام النامي وفرعه السامي»[1]، أي أن:

(١) عيون أخبار الرضا، ص١٩٥.

الإمامة هي مِقْوَد الدين كله (أو كالزمام الذي تمسك به الفرس والناقة)، ونظام المجتمع المسلم أيضاً...

الإمامة هي أساس بناء الإسلام، والنبتة أو الشجرة المتصاعدة من ذلك الأساس... فكأن الإسلام «ينمو» من خلال «الإمامة»، وهذا لا يكون إلا من خلال تعاهد الأئمة، أئمة الهدى، للإسلام من نشأته الأولى بحيث يتم بث معارفه الحقة شيئاً فشيئاً وعبر أجيال في مدة زمنية كافية لترسيخه وترسيخ التحول الحضاري للدين.

هذه «الإمامة» تمثل «الفرع السامي» من الإسلام، فهو يعلو على غيره من الفروع، ولا عجب إذا كانت هي الزمام والنظام والأساس.

يثبت هذا الوصف لوظيفة الإمامة العظمى ما يقوله علي عليه السلام لعثمان بن حنيف: «أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً، يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ».

فالكلام ليس عن إمام صلاة أو رئيس حزب أو جماعة، ولا عن إمام يختاره الناس بالاصطفاف العشائري أو القومي أو الطائفي، ولكنه صاحب «علم» من النوع الذي «يستضاء بنوره».

فتشوا في المجتمع المسلم بعيد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم -أرواحنا فداه- هل تجدون هذا الوصف ينطبق بشكله المتكامل على غير علي والحسنين عليهما السلام؟

هناك صحابة كبار وصحابيات كبيرات، بكل ما للكلمة من معنى، جاهدوا أعظم الجهاد وبذلوا ما استطاعوا في سبيل الدين، ومدحهم الله ورسوله ﷺ أعظم المدح، ولكن هل ينطبق على أحد منهم هذا الوصف في جميع الأحوال؟

يكفينا قول الإمام أحمد بن حنبل الذي جمع بين الإمامة الفقهية والإمامة الحديثية، فكلامه كلام العارف الخبير، قال لابنه عبد الله: «عليٌّ من أهل البيت لا يقاس بهم أحد».

وإن أحببت، فإن قول سعد بن أبي وقاص جامع لجانبي الإمامة الدينية والدنيوية «الحكم» كتب إلى معاوية:

«أما بعد، فإن أهل الشورى ليس منهم [أحد] أحق بها من صاحبه، غير أن علياً كان [له] من السابقة، ولم يكن فينا ما فيه، فشاركنا في محاسننا، ولم نشاركه في محاسنه، وكان أحقنا كلنا بالخلافة. ولكن مقادير الله تعالى التي صرفتها عنه، حيث شاء لعلمه وقدره. وقد علمنا أنه أحق بها منا، ولكن لم يكن بد من الكلام في ذلك والتشاجر».

وعليه، فالذي يقول «لا أحتاج إلى إمام» إنما يسير وفق هواه وعقله المحدود، وهذا سيسقط في الأخطاء الكثيرة قطعاً.

وهو مسكين، لأنه يرفض لطف الله تعالى به إذ جعل له أئمة هدى يبينون له الطريق المستقيم.

ثم يقول عليه السلام: «وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ».

ويردف عليه السلام بما يعلمه من محدودية إمكانات الناس عموماً: «أَلاَ وَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلَى ذلِكَ»، فمن الذي يستطيع الاكتفاء بثوبين من الأطمار المتهالكة، وقرص من الخبز صباحاً وآخر مساء؟!

فما العمل؟

يدلنا عليه السلام إلى وظيفتنا تجاهه وتجاه أئمة الهدى عموماً: «وَلكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَع وَاجْتِهَاد، وَعِفَّة وَسَدَاد».

لا تقل أني لا أستطيع التأسي بعلي عليه السلام بهذا العيش الصعب جداً، وذلك لأمرين:

**الأول**: أن الله تعالى قد وضع لك سقفاً أعلى من علي عليه السلام للتأسي، وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حيث قال ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾[1]، وهي آية عظيمة في تفاصيلها، ولكن يكفي منها أن الله تعالى وضع لنا للقدوة سقفاً من المستحيل الوصول إلى مستواه، فلعل ذلك من أجل أن لا ينتهي الجهد في الصعود المستمر إلى درجات أعلى في طريق مرضاة الله تعالى.

(١) الأحزاب: ٢١.

**الثاني**: أن الإمام عليه السلام يضع لك المطلوب منك كمأموم ليس أن تكتفي بالطمرين والقرصين، ولكن أن تتخذ الطريق الذي معالمه هي:

**أ- الورع**: عن الحرام.

**ب- الاجتهاد**: في الطاعات، ما بين واجبات ومندوبات مستحبات.

**ج- العفّة**: عن مد اليد إلى الحرام بالسرقة والاختلاس وخلط الأمور والسقوط في رذائل الدنيا وصغائرها.

**د- السداد**: القصد السليم الصحيح في الاختيار والتوجه والعمل.

هذه ستعين الإمام عليه السلام على وظيفته في إدارة الأمة، لأن أتباعه يتقربون إلى الله تعالى بهذا النهج مما من شأنه أن ينزل عليهم البركات والرحمات، وأولها تثبيتهم على طاعة إمام الحق فلا ينازعونه ويشاغبون عليه ويلبدون الأجواء من حوله، وهو ما حصل مع أمير المؤمنين عليه السلام مع الأسف الشديد، وجرى ما جرى.

أخيراً، يلقي ضوءاً على واقعه عليه السلام: «فَوَاللهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً، وَلاَ ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً، وَلاَ أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً».

كأنه (سلام الله عليه) يقول: أعطيكم معلومة، وأنتم تعلمون أني صادق فيما أقول، مع ذلك أقسم بالله على قولي!

لـم أكنـز ذهبـاً، ولـم أدّخـر شـيئاً، ولـم أحتـط لثوبـي البالـي ثوبـاً آخـر فـي الخزانـة.

وعليـه، طالمـا أنـي كنـت أمينـاً معكـم وعليكـم إلـى هـذه الدرجـة التـي هـي أشـد أنـواع الكفـاف، فـإن عليكـم فـي المقابـل الطاعـة والاقتـداء الحسـن والاصطفـاف والتظاهـر معـي وخلفـي نصـرة للحـق ودفعـاً للباطـل.

## القسم الثالث:

## ذكر فَدَك، والتنبيه إلى القيمة المنتهية لأملاك الدنيا

«بَلَى! كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ، وَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ. وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَكَ وَغَيْرِ فَدَكَ، وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثٌ، تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا، وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا، وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا، وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا، لأَضْغَطَهَا الْحَجَرُ وَالْمَدَرُ، وَسَدَّ فُرَجَهَا التُّرَابُ الْمُتَرَاكِمُ، وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الأَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ».

بعد أن أعلن الإمام عليه السلام أنه لم يكنز شيئاً من الدنيا، استدرك بذكر «فَدَك»، وتقلّب أحوالها، باختصار معجز لا يستطيعه غيره.

«بَلَى! كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ، وَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ».

في الفصل السابع من كتابي «العودة إلى الأصل» الذي خصصته للزهراء سيدة النساء عليها السلام، مما ذكرت بخصوص فدك:

«أما نحلة الزهراء عليها السلام أي ما أعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليها في حياته، وهي فَدَك التي كانت قرية وهي جزء من المصالحة بين اليهود والنبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما فتح الله عليه خيبر فكان هذا النصف من هذه المصالحة مما حكم به القرآن لرسول الله خالصة له لأنها لم تكن مما أوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب، بمعنى أن المسلمين لم يحصلوا عليها نتيجة للقتال والتضحيات وبالتالي فهي بنص القرآن خالصة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو أعطاها إلى الزهراء في حياته الشريفة. وقد ثبّت أمير المؤمنين عائديتها إلى الزهراء عليها السلام، في كتابه إلى عامله في البصرة الصحابي عثمان بن حنيف، بالقول: «بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أضلّته السماء، فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قوم آخرين، ونعم الحكم الله..»[1].

فكان أن طلبت فاطمة عليها السلام أن تُسلّم إليها بعد أن انتزعت منها كما قد روى ذلك شرّاح آية الفيء كالفخر الرازي في تفسيره[2]، قال: «فلما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ادّعت فاطمة عليها السلام أنه كان ينحلها فدكاً، فقال لها أبو بكر: أنتِ أعزّ الناس عليّ فقراً وأحبهم إليّ غنى ولكني لا أعرف صحة قولك فلا يجوز أن أحكم لكِ، فشهدت لها أم أيمن ومولى لرسول الله، فطلب منها أبو بكر الشاهد الذي يجوز قبول شهادته في الشرع فلم يكن».

---

(١) نهج البلاغة ج٣ رسالة ٤٥.

(٢) مفاتح الغيب ج٨ سورة الحشر.

وعلّق السيد شرف الدين بأن «الشاهد الذي شهد لها مع أم أيمن كان علياً عليه السلام وهو مما لا خلاف فيه، فكأن الرازي استفظع رد شهادة علي عليه السلام فلم يصرّح باسمه احتراماً له ولأبي بكر معاً فكنّى عنه بمولى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

في آخر الكلام ذكرت كلام علي عليه السلام في الرسالة إلى عثمان بن حنيف، وذكرت ما نفهمه من كلامه عليه السلام:

**أولاً**: تأكيد على ملكية فدك لأهل البيت عليهم السلام، من خلال ملكية الزهراء عليها السلام لها.

**ثانياً**: تأكيد أن موقف الخليفة لم يكن مستنداً إلى الشرع وإلا لما وصفه بالشح «فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْم».

**ثالثاً**: أنهم عليهم السلام توقفوا عن النزاع حولها من باب الزهد، «وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ».

**رابعاً**: تحويل القضية إلى الحاكم العادل، وهو الحق تبارك وتعالى، ما يعني أن أهل البيت عليهم السلام لم يتنازلوا عن فدك مطلقاً وإنما كفّوا عن النزاع.

**خامساً**: قوله «وَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ» فيه إشارة إلى عدم التمادي في الخوض في الأمر لأنه إن كان بيد الله تعالى فما هي قيمة العباد[1].

---

(١) وهناك مناقشات لموقفي الزهراء عليها السلام والخليفة، راجعه في كتابي المشار إليه أعلاه، فإن فيه زيادة لمستزيد.

فهل كان عليه السلام يأسف على «فدك»؟

كلا!

يقول: «وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَكَ وَغَيْرِ فَدَكَ، وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَد جَدَثٌ، تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا، وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا، وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا، وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا، لأَضْغَطَهَا الْحَجَرُ وَالْمَدَرُ، وَسَدَّ فُرَجَهَا التُّرَابُ الْمُتَرَاكِمُ».

هذا هو علي عليه السلام - يترفع عن الدنيا وما فيها، حتى حقوقهم المغتصبة، لأن الدنيا عنده لا شيء مقارنة بالآخرة...

ألم نذكر كلامه عليه السلام -في فصل سابق- في وصف المتقين «عَظُم الخالقُ في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم»؟

وعلي عليه السلام إمام المتقين، كم هو عظيم الخالق تعالى في نفسه عليه السلام، فكم، إذاً، هي الدنيا صغيرة في عينه.

إذا كانت النتيجة هي القبر، وانقطاع لصلة النفس مع الدنيا، وغيبة لأخبارها، فيبدأ الناس ينسون ذلك الميت وحياته وما حصل فيها، فعلامَ الحسرة على ما فات وسيفوت منها؟

هذه الأجداث في حفر، حتى لو رغب الحافر في توسعتها، فإن الحجر سيضغط عليها لاحقاً ويسد هذه التوسعة، بما يتناثر منه من تراب يتراكم شيئاً فشيئاً...

فالنتيجة واحدة.

## تأكيد على الرياضة الروحية

«وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الأَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ».

هذه التقوى، التي ترد في القرآن الكريم كل حين، يستخدمها إمامنا ومولانا عليه السلام، لتكون هي الرياضة الروحية للنفس الأمارة بالسوء عند كل منّا، من أجل الهدف الأعظم:

«الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة، والثبات في مواقف الحشر والنشر وتطاير الكتب والصراط وسائر المواقف المهولة».

نسأل الله تعالى أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

هذا المقطع فيه توجيه لعثمان بن حنيف وسائر من يصله، أن الهدف هو الفوز في الآخرة، فلا قيمة للدنيا وما فيها، بأملاكها، عندما تكون تحت اليد وحتى عندما تغتصب، فكلها زائلة سينصرف عنها الإنسان في لحظة واحدة هي الضربة القاضية، فلا بد له أن يلتفت ولا يسقط في الغفلة مطلقاً، وأول ذلك الحكام على مختلف درجاتهم، فإن الألوان والجفان والترف كلها مما يسقط في الغفلة، فكن من كل ذلك على حذر، وكلما كانت مسؤوليتك أكبر كلما كان الحساب أشد، فالمطلوب منك أكثر..

## القسم الرابع:

## طريق الدنيا معروف، والمسؤولية تجاه الفقراء

«وَلَـوْ شِـئْتُ لاَهْتَدَيْـتُ الطَّرِيـقَ إِلَـى مُصَفَّـى هـذَا الْعَسَـلِ، وَلُبَـابِ هـذَا الْقَمْـحِ، وَنَسَـائِجِ هـذَا الْقَـزِّ، وَلكِـنْ هَيْهَـاتَ أَنْ يَغْلِبَنِـي هَـوَايَ، وَيَقُودَنِـي جَشَـعِي إِلَـى تَخَيُّـرِ الأَطْعِمَـةِ - وَلَعَـلَّ بِالْحِجَـازِ أَوِ بِالْـيَمَامَةِ مَـنْ لاَ طَمَـعَ لَـهُ فِـي الْقُـرْصِ، وَلاَ عَهْـدَ لَـهُ بِالشِّـبَعِ - أَوْ أَبِيـتَ مِبْطَانـاً وَحَوْلِـي بُطُـونٌ غَرْثَـى وَأَكْبَـادٌ حَـرَّى، أَوْ أَكُـونَ كَمَـا قَـالَ الْقَائِـلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ

أَأَقْنَـعُ مِـنْ نَفْسِـي بِـأَنْ يُقَـالَ: أَمِيـرُ الْمُؤْمِنِيـنَ، وَلاَ أُشَـارِكُهُمْ فِـي مَـكَارِهِ الدَّهْـرِ، أَوْ أَكُـونَ أُسْـوَةً لَهُـمْ فِـي جُشُـوبَةِ الْعَيْـشِ!»

يسـتمر نصيـر الفقـراء والمسـتضعفين عليه السلام فـي طـرح المنهـاج المثالـي للإنسـان المؤمـن الـذي لا يرتضـي بالله ورسـوله صلى الله عليه وآله وسلم بـدلاً مـن خـلال وصـف تفاعلـه هـو عليه السلام مـع الدنيـا.

فكأنـه يقـول: هكـذا أنـا، فمـن يعتقـد بإمامتـي فـإن عليـه الائتمـام بـي مـا وسـعه ذلـك.

يقول: لست جاهلاً بالطريق إلى العيش الرغيد الناعم...

وكم هو رائع دقة استخدامه للكناية في قوله «مُصَفًّى هذَا الْعَسَلِ، وَلُبَابِ هذَا الْقَمْحِ، وَنَسَائِجِ هذَا الْقَزِّ»:

العسل «المصفى» يشير إلى الحياة الخالية من الشوائب والتنغيصات.

«لباب» القمح هو ثمرة القمح، فجميع ما في السنبلة قد أزيل عنها، وبقيت ثمرتها المطلوبة.

«نسائج» الحرير هي الأكثر نعومة، وبالتالي الأكثر راحة في الملبس.

إذاً، علي عليه السلام يعرف الطريق إلى الحياة الرغيدة في ثمرات لذائذها، الخالية من الإزعاجات.

ولكن، ولكن هذا يعني إتباع الهوى!

«هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ»

بعيد جداً عن علي عليه السلام، بل هو المستحيل، أن يصبح مغلوباً من هواه، أو منقاداً بيد جشعه!

وهنا سؤال: كيف يقول هذا وهو الذي أذهب الله عنه الرجس وطهره تطهيراً؟!

ليس عسيراً:

علي عليه السلام بشر، والبشر فيهم الرغبات البشرية التي أودعها فيهم جميعهم دون استثناء، فهو عليه السلام عنده ميل طبعي فطري للذائذ...

ولكن هنا الفارق:

القوة التي في داخله -كمعصوم- نتيجة عدم تطرق الرجس «أذهب عنكم» وليس «منكم»، لأن الرجس لم يكن يوماً فيهم عليهم السلام حتى يذهبه منهم، ونتيجة التطهير الحقيقي (بدلالة المفعول المطلق «تطهيراً»)، تجعله عليه السلام ينتصر على هواه ورغباته، فلا يدعها تتحكم فيه مطلقاً.

ولو لم يكن أولياء الله، من الأنبياء والأئمة عليهم السلام من البشر، لانتفى المثال، ولقال الخلق: لا نستطيع التأسي بهم لأنهم ليسوا من البشر.

فالبشر المعصوم جمع الصفتين:

البشرية، والعصمة من السقوط فيما يؤثر سلباً على وظيفته في الدين والدنيا.

ثم ما المشكلة يا علي عليه السلام في أن تتخير الأطعمة؟

«وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوِ بِالْيَمَامَةِ مَنْ لاَ طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلاَ

عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ».

أ أتكلم أم أسكت؟

أ أتكلم فأذكر أسماء الذين كانوا يعظون الناس بمواعظ علي عليه السلام، ومنها هذه الموعظة، ثم لما صارت الدنيا بأيديهم أنستهم جدران الحكم «مَنْ لاَ طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلاَ عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ»؟!

هذا، مع أنه عليه السلام يضعه كاحتمال «لَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوِ بِالْيَمَامَةِ»، ونحن نعلم أن الحالة الاقتصادية للمجتمع المسلم في عهده عليه السلام كانت جيدة، فقد بدأت بالتحسن الكبير منذ الفتوحات الكبيرة في عهد عمر وما تبعها.

إذاً، لم يكن الفقر فاشياً على عهد أمير المؤمنين عليه السلام، ولكن مسؤوليته القيادية كإمام حق تحتم عليه أن يحتاط لسائر الاحتمالات، ومنها الفقر هنا وهناك.

والعجيب أنه عليه السلام لم يتعكز على البيانات الاقتصادية، فيقول أن الفقر قليل في دولته فيمكنه أن يأخذ من دنياه ولو قليلاً، بل جعل هذه الحياة القاسية التي يعيشها من أجل «احتمال» أن يكون هناك «شخص ما» على بعد مئات الكيلومترات عن حكمه في الكوفة، يبيت جائعاً!

فماذا تقول لمن بينهم وبين الجوعى من الأرامل والأيتام

والثكالى والعجزة بضعة كيلومترات؟

هؤلاء جوعى وأولئك يمنون عليهم إذا ما «وافقوا» على «تخفيض» رواتبهم الفاحشة؟!

أ رأيت كيف يكون أصحاب النهج العلوي موديل الألفية الثالثة؟!

ثم ينشر (سلام الله عليه) المبدأ إلى الحالة العامة لكل إنسان، ليس فقط الحاكم: «أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى وَأَكْبَادٌ حَرَّى، أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ».

نعم، هذا موجه لنا جميعاً، لي ولك، فلا مهرب منه.

كيف يبيت علي عليه السلام ممتلئ البطن من الطعام وعلى مقربة منه بطون طويت على الجوع؟

فكيف نبيت -نحن من ندعى موالاته عليه السلام- ممتلئي البطون وعلى مقربة منا الجوعى والمحتاجون؟

وكلمة «حولي» لا تعني القرب المكاني فقط، بل تشمل القرب الإنساني خصوصاً لمن يريد التأسي بعلي عليه السلام ذلك الإنسان المرهف الحس تجاه الخلق جميعاً.

وإذا كان ذلك ممكناً يومها، فإن اليوم صار مؤكداً بعد أن طويت

المسافات وصار إيصال العون إلى المحتاج في دقائق، فلم يعد هناك عذر لمعتذر.

ويتمثل عليه السلام ببيت الشاعر، الذي يصف حالة الأنانية أنها «داء»، أي «مرض»؛ أكيد أنها مرض، لأنه من الغباء أن يظن الإنسان أنه بمنأى عما يحصل من معاناة لغيره، فهذه قوى فاعلة في المجتمع، تفعل فعلها الملحوظ كما فعلها الغيبي، وكلها مما يطيح في النهاية بالمكتسبات الدنيوية وتنزل الكوارث بالجميع.

ويتساءل، موضحاً كيف يجب أن يكون عليه «الأمير»:

«أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلاَ أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ!»

كلمة من كلماته الخالدة التي تقرؤها فتعلم أنها خرجت من ذلك القلب الكبير، وليس من اللسان البليغ وحسب.

كيف يمكن أن أزهو بهذه الصفة العظيمة «أمير المؤمنين» عندما لا أكون قد شاركت «المؤمنين» في صعوبات الحياة، أو لا أكون «المثال» لهم في العيش الخشن؟

فلينظر أصحاب ما يسمونها «الشأنيّة» ممن يقولون أنه إمامهم، أو الذين يعتبرونه خليفة راشدي، كيف أن إمام الهدى الذي هو من النبي صلى الله عليه وآله وسلم كهارون من موسى عليه السلام، كيف أن صفة «أمير المؤمنين»

ذاتها لا تفلت من مراقبته الشديدة لنفسه ومسؤولياته.

ولا كرامة لغيرها -من حاسري الرؤوس- طالما كانوا على غير منهاجه عليه السلام، ولو ادعوا ما ادعوا.

فلا تخدعوا الناس لأن الناس لم تعد تُخدع، ولأن الله من فوق ذلك كله ﴿**يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۞ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾[1].

وأما الناس، الرعية، فنذكرهم بقوله هو عليه السلام: «لا تكن عبد غيرك وقد خلقك الله حرّاً»[2].

❁❁❁

(١) البقرة:٩-١٠.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب ٣١.

## القسم الخامس:

## عدم الوعي

«فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ، كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا، أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقَمُّمُهَا، تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلاَفِهَا، وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا، أَوْ أُتْرَكَ سُدىً، أَوْ أُهْمَلَ عَابِثاً، أَوْ أَجُرَّ حَبْلَ الضَّلاَلَةِ، أَوْ أَعْتَسِفَ طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ! وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: إِذَا كَانَ هَذَا قُوتُ ابْنِ أَبِي طَالِب، فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الأَقْرَانِ وَمُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ. أَلاَ وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً، وَالرَّوَائِعَ الْخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُوداً، وَالنَّابِتَاتِ العِذْيَةَ أَقْوَى وَقُوداً، وَأَبْطَأُ خُمُوداً، وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَالصِّنْوِ مِنَ الصِّنْوِ، وَالذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ. وَاللهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا،سَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الأرضَ مِنْ هَذَا الشَّخْص الْمَعْكُوسِ، وَالْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ، حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدَرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ».

**أولاً**: لا تكن عديم الوعي والمسؤولية:

يكمل الإمام علي عليه السلام موقفه من هوى النفس ورغباتها في

الأطعمة «دون أن ننسى أن سبب الرسالة هو مأدبة الطعام التي دعي إليها عثمان بن حنيف رضي الله عنه»، فيقول: «فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ، كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا، أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغُلُهَا تَقَمُّمُهَا، تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلاَفِهَا، وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا، أَوْ أُتْرَكَ سُدىً، أَوْ أُهْمَلَ عَابِثاً، أَوْ أَجُرَّ حَبْلَ الضَّلاَلَةِ، أَوْ أَعْتَسِفَ طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ!»

فهو عليه السلام يرتفع بالموضوع أكثر، ليؤكد أن القضية لا تتعلق بالمحرمات، فهذه من البديهيات؛ بل تتعلق حتى بـ«الطيبات»، الحلال دون شك، لأنها -وإن كانت حلالاً- لكن الانشغال بها ليس مما «خلق له» علي عليه السلام.

الذي ينهمك وينشغل بالمطعم والمشرب والملبس كأنه لم يرتفع إلى مستوى العقل الإنساني الذي به كرّم الله بني آدم على البهائم، فيصبح وكأنه بهيمة لا شغل لها غير العلف، وربما تختار القمامة في طريقها، لاهية عن الذبح الذي ينتظرها!

أي أن المسؤول في الدولة لا يكون لاهياً بالمطعم والمشرب، ولا ينشغل بأوساخ الدنيا، بينما المؤامرات والمكر يحاك هنا وهناك.

كما أنه عليه السلام لم يخلق ثم يترك سدى ﴿**أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى**﴾[1] - وهذه الآية شوهد عليه السلام يوماً يتلوها ودموعه على

(١) القيامة: ٣٦.

خديه الكريمين بينما يضرب المسحاة بالأرض في بستان.

ومؤكد أن إمام الهدى عليه السلام من المستحيل أن يشترك في تثبيت دعائم الضلالة، كيف، وهو سيد العترة الهادية التي قرنها صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن للأمن من الضلالة. ولا يسير في التيه كحال الذين لا تدري ماذا يريدون، لا في أفعالهم ولا في أقوالهم، ينقضون من حيث يريدون أن يثبتوا ويتناقضون مع أنفسهم.

**ثانياً**: فائدة صحّية:

«وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: إِذَا كَانَ هذَا قُوتُ ابْنِ أَبِي طَالِب، فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الأَقْرَانِ وَمُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ. أَلاَ وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً، وَالرَّوَائِعَ الْخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُوداً، وَالنَّابِتَاتِ العِذْيَةَ أَقْوَى وَقُوداً، وَأَبْطَأُ خُمُوداً».

يتوقع عليه السلام أن البعض سيتساءل عن قدرة علي عليه السلام على القتال وهو يرى كيف أن مطعمه بهذا الشكل - فيوضح مبدأً صحياً من المشاهدة على أرض الواقع: «أَلاَ وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً، وَالرَّوَائِعَ الْخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُوداً، وَالنَّابِتَاتِ العِذْيَةَ أَقْوَى وَقُوداً، وَأَبْطَأُ خُمُوداً».

أنتم ترون كيف أن الأشجار والشجيرات في المناطق قليلة الماء قاسية الظروف، عودها أصلب - سواء خشونة خشبها المحيط بجذوعها أو وقوفها شامخة باسقة؛ بينما ترون النباتات

التي تتألف في معظمها من أوراق خضراء جلودها الخارجية رقيقة؛ والزرع الذي يعتمد على المطر له طاقة اشتعال كبيرة، ولكنها سريعة أيضاً.

وعليه: من يقتصد في المأكل يعتاد جسمه على الاستفادة القصوى مما دخل فيه، وفي نفس الوقت لا يتحمل أعباء إضافية نتيجة الطعام الزائد في حالة الشره وتخير الأطعمة الثقيلة.

ويمكن القول أيضاً أن الشجرة البرية قد عرّكتها الظروف حالها حال الإنسان الذي تصنع شخصيته الظروف الصعبة والحياة الخشنة فيصبح أقوى على تحمل المسؤولية.

**ثالثاً**: موقعه عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم كَالصِّنْوِ مِنَ الصِّنْوِ، وَالذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ».

يا الله، يا الله، ما أروع هذا التعبير، وكل كلامك رائع سيدي يا أمير المؤمنين!

علي عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم كنخلتين أصلهما واحد؛ فالأصل النَّسَبي لا خلاف في أنهما من عبد المطلب...

والأصل الولايتي واحد لأنه عليه السلام: جعله الله كـ «نفس» النبي صلى الله عليه وآله وسلم في آية المباهلة، فصار عليه السلام هو الذي يجب أن تأتيه إذا أردت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم

تجده جعل الله له عليه السلام ولاية النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المؤمنين، التي هي أولى بهم من أنفسهم، بتقليد النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية علي عليه السلام يوم الغدير.

العضُد هو أصل الذراع، لأن الذراع لا يمكن أن توجد دون عضد، وعليه، فإن علياً عليه السلام ناشئ من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا شك في هذا لجهة التعليم والتنشئة ثم التزكية إلى الخلق طيلة حياته صلى الله عليه وآله وسلم الشريفة وصولاً إلى يوم الغدير.

**رابعاً:**

أ- وضوح الرؤية في التعامل مع الضلال:

«وَاللهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا».

سواء فهمناها استكمالاً لوصف حاله عليه السلام من الصلابة الجسمانية، أو فهمناها استثماراً للفرصة من أجل إعلان موقفه من الفتنة التي كان عليه السلام يمر فيها والأمة، فإنه عليه السلام يعلن أن الأعداء لو صاروا جميع قبائل العرب، فإنه عليه السلام لن يتزحزح عن موقفه الثابت النابع من مسؤوليته الشرعية في جانبيها:

وضوح الرؤية كونه الإمام المُعَلَّم العالم

وجود الناصرين من باقي الصحابة الذين كانت غالبيتهم العظمى معه، مع الكثير من التابعين.

بل سيسرع عليه السلام إلى وضع حد لتمردها على خلافته إذا ما سنحت له الفرصة.

ب - وضوح الرؤية في الباغي معاوية وحزبه:

«سَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الأرضَ مِنْ هذَا الشَّخْص الْمَعْكُوسِ، وَالْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ، حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدَرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ».

يعلن أنه عليه السلام سيعمل جاهداً من أجل القضاء على معاوية وفتنته؛ ولكن فلينظر الغافلون إلى تعبيره عليه السلام عن هذا الباغي: القضاء عليه يعني «طهارة الأرض» منه، فهو يدنس الأرض!

شخصية معاوية هي شخصية «معكوسة»، فكأنها مخالفة للفطرة!

جسم معاوية هو جسم «مركوس»، فكأنه مقلوب، خطأ، حتى في بدنه!

معالجة دقيقة شاملة هي إخراج الطين اليابس من سنابل الحبوب.

فهل هذا التعبير أبقى كرامة لهذا الرجل الباغي الذي يعلم الله وحده مقدار ما سببه لهذه الأمة من دمار في كل شيء؟

هل هذا التعبير يتناسب مع التعبير بـ «صحابي جليل»؟!

احترموا عقولكم.

## القسم السادس:

## علي بن أبي طالب عليه السلام والدنيا

«إِلَيْكَ عَنِّي يَا دُنْيَا، فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ، قَدِ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ، وَأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ، وَاجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاحِضِكِ . أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكِ؟! أَيْنَ الأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِكِ؟! هَا هُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ، وَمَضَامِينُ اللُّحُودِ . وَاللهِ لَوْ كُنْتِ شَخْصاً مَرْئِيّاً، وَقَالَباً حِسِّيّاً، لأَقَمْتُ عَلَيْكِ حُدُودَ اللهِ فِي عِبَادٍ غَرَرْتِهِمْ بِالأَمَانِي، وَأُمَمٍ أَلْقَيْتِهِمْ فِي الْمَهَاوِي، وَمُلُوكٍ أَسْلَمْتِهِمْ إِلَى التَّلَفِ، وَأَوْرَدْتِهِمْ مَوَارِدَ الْبَلاَءِ، إِذْ لاَ وِرْدَ وَلاَ صَدَرَ! هَيْهَاتَ! مَنْ وَطِىءَ دَحْضَكِ زَلِقَ، وَمَنْ رَكِبَ لُجَجَكِ غَرِقَ، وَمَنِ ازْوَرَّ عَنْ حَبَائِلِكِ وُفِّقَ، وَالسَّالِمُ مِنْكِ لاَيُبَالِي إِنْ ضَاقَ بِهِ مُنَاخُهُ، وَالدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمٍ حَانَ انْسِلاَخُهُ . أُعْزُبِي عَنِّي! فَوَاللهِ لاَ أَذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذِلِّينِي، وَلاَ أَسْلَسُ لَكِ فَتَقُودِينِي».

يقول عليه السلام: «إِلَيْكَ عَنِّي يَا دُنْيَا، فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ، قَدِ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ، وَأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ، وَاجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاحِضِكِ».

اذهبي عني بعيداً!

كما يترك صاحب الدابة حبلها الذي يقودها به حرّاً على ظهرها فإني أتعامل معك يا دنيا هكذا.

(وهذا التعبير مما كانت العرب تقوله كناية عن تطليق المرأة، فيقول لها الرجل «حبلك على غاربك» أي صرت حرة، أو يقول «إلحقي بأهلك»).

والتصوير التالي جميل، أنه عليه السلام انسلّ من بين مخالب الدنيا، وأفلت من فخاخها؛ ونحن نعلم كم هي مخالب قوية كثيرة كبيرة، وهذه كناية عن الشهوات التي تمسك بالإنسان؛ وكم هي أفخاخ كثيرة محكمة، وهي كناية عن السقوط في الضعف أمام الكيد والتفاعل مع الآخرين.

كما تجنب المواضع التي تسقطه في المرديات من الأفعال والأحوال.

«أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكِ؟! أَيْنَ الأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِم بِزَخَارِفِكِ؟! هَاهُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ، وَمَضَامِينُ اللُّحُود».

خبروني: أين الناس الذين خدعتهم الدنيا بلعبها وزهوها؟

أين الأقوام الذين أمعنوا في الزخرف والرياش والترف؟

حالهم حال غيرهم – سجناء القبور وما تحتويه اللحود!

«وَاللهِ لَوْ كُنْتِ شَخْصاً مَرْئِيّاً، وَقَالَباً حِسِّيّاً، لأَقَمْتُ عَلَيْكِ

حُـدُودَ اللـهِ فِـي عِبَـاد غَرَرْتِهِـمْ بِالأَمَانِـي، وَأُمَـم أَلْقَيْتِهِـمْ فِـي الْمَهَـاوِي، وَمُلُـوك أَسْـلَمْتِهِمْ إِلَـى التَّلَـفِ، وَأَوْرَدْتِهِـمْ مَـوَارِدَ الْبَـلاَءِ، إِذْ لاَ وِرْدَ وَلاَ صَـدَرَ!»

سبحان الله!

يقسـم الإمـام عليه السلام أن الدنيـا لـو كانـت كائنـاً مرئيـاً ماديـاً محـدداً، لعاقبهـا بحـدود اللـه تعالـى!

وهـي تسـتحق ذلـك، لمـا خدعـت النـاس بالأمانـي - عسـى ولعـل، وربمـا سـيأتي، دعنـا ننتظـر، لا يهـم التسـويف فـي بعـض حقـوق اللـه وحقـوق العبـاد ريثمـا يحصـل المـراد... الـخ...

ولِمـا أدى المنهـاج الدنيـوي المـادي للأمـم إلـى سـقوطها وهلاكهـا...

والذيـن كانـوا يتحكمـون فيهـا مـن ملـوك وغيرهـم انتهـت بهـم الدنيـا إلـى التلـف - تلـف الشـخص وتلـف الحكـم وتلـف الرعيـة...

وحل البلاء بالجميع؛ وأي بلاء هذا؟

مـا لا مخـرج منـه - فـ «لا وِرْدَ وَلاَ صَـدَرَ»؛ فـلا ذهـاب إلـى المـاء للشـرب مـن شـدة العطـش، ولا عـودة منـه وقـد ارتويـت!

«هَيْهَـاتَ! مَـنْ وَطِـىءَ دَحْضَـكِ زَلِـقَ، وَمَـنْ رَكِـبَ لُجَجَـكِ غَـرِقَ، وَمَـنِ ازْوَرَّ عَـنْ حَبَائِلِـكِ وُفِّـقَ، وَالسَّـالِمُ مِنْـكِ لاَيُبَالِـي إِنْ ضَـاقَ بِـهِ

مُنَاخُـهُ، وَالدُّنْيَـا عِنْـدَهُ كَيَـوْم حَـانَ انْسِـلاَخُهُ».

يفرّق عليه السلام بين من يسقط فيها ومن ينجو منها:

**الأول**: مشى في مواقع السقوط والهلكة، فبالتأكيد ستزلق قدمه ويسقط؛ أو أمعن في الدخول في أمواجها الهائجة ومياهه العاتية، فبالتأكيد سيغرق.

**الثاني**: ابتعد عن فخاخها ومكائدها فحالفه التوفيق إلى الحق والسلامة. هذا الثاني -الذي سلم من حبائلها ومكائدها- لن يهتم إذا وجد ما تبقى له من فسحة في الدنيا يقيم فيها صارت ضيقة.

لماذا؟ لأنه إنسان يعي أن الدنيا ليست إلا بمقدار يوم واحد وقد شارف على الانتهاء.

«أُعْزُبِـي عَنِّـي! فَوَاللـهِ لاَ أَذِلُّ لَـكِ فَتَسْـتَذِلِّينِي، وَلاَ أَسْـلَسُ لَـكِ فَتَقُودِينِـي».

اذهبي عني بعيداً! لا تتعبي نفسك معي...

فإني أقسم بالله أن لا أذل أمام زخرفك وترفك وصغائرك، لأن نتيجة ذلك هو الذل الذي لا أرضاه لنفسي؛ ولا أجعلك تجدينني سهل القياد تحركيني كيف شئت، فتقودينني إلى الهلكة.

فهل يقرأ هذا من يريد اتباع نهج علي عليه السلام حقاً؟

هل يقرأ هذا ويطبقه في حياته من اتخذ علياً عليه السلام هادياً إلى الصراط المستقيم؟

هل يتذكر هذا - ولا أقول يقرؤه لأنهم ما شاء الله قرؤوه وقرؤوه، ثم قرؤوه على الناس وصاروا يعظونهم به وبأمثاله، وربما كانوا يقرؤونه وهم يبكون مهتزّين من عظمة أمير المؤمنين عليه السلام -

بل أقول «يتذكر»، فيرجع إلى الله؟

ولكن: هل من انغمس في الدنيا -بمكائدها وحبائلها وزخرفها ومزالقها ولججها- له أن يتذكر؟

يمكن إذا كانت القضية لم تتجاوز الحلال، بل ينتظر من الله أن يعيده إلى الصواب.

ولكن من انغمس في الدنيا بحرامها، فهل يعود؟

أيضاً ممكن، شريطة أن لا تكون هناك حقوق للعباد قد ضيعت؛ فإن كانت، عندها لا بد من:

«إعادتها إليهم، والاعتذار منهم، والعمل على تعويضهم على المعاناة التي أحلّوها بهم، والاستغفار وسائر القربات عسى الله يغفر لهم»...

قضية طويلة صعبة؟!

أكيـد، ولكن يوم الحسـاب ثـم النار قضيـة أطول وأصعـب أكثر وأكثر بمـا لا يقاس!

هـذه النـار التـي أعـدت للظالميـن - وكيـف أعـدت ﴿**إِنَّـا أَعْتَدْنَـا لِلظَّالِمِيـنَ نَـارًا أَحَـاطَ بِهِـمْ سُـرَادِقُهَا**﴾[1].

نعوذ بالله وبه نستجير.

❁❁❁

(١) الكهف:٢٩.

## القسم السابع:

## رياضة النفس أو الاقتداء بالبهائم!

«وَأَيْمُ اللهِ -يَمِيناً أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلّ- لأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرتْ عَلَيْهِ مَطْعُوماً، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً؛ وَلأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاء، نَضَبَ مَعِينُهَا، مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا. أَتَمْتَلِىءُ السَّائِمَةُ مِنْ رِعْيِهَا فَتَبْرُكَ؟ وَتَشْبَعُ الرَّبِيضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ؟ وَيَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعَ؟ قَرَّتْ إِذاً عَيْنُهُ إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ السِّنِينَ الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ، وَالسَّائِمَةِ الْمَرْعِيَّةِ!»

«وَأَيْمُ اللهِ -يَمِيناً أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلّ- لأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرتْ عَلَيْهِ مَطْعُوماً، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً؛ وَلأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاء، نَضَبَ مَعِينُهَا، مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا».

لقد عزم علي عليه السلام عزيمة مؤكدة بحيث يقسم بالله تعالى

عزم على ماذا؟

يروض نفسه بحال من الجوع إلى الطعام بحيث إذا حضر رغيف الخبز فإن نفسه تفرح به وتتطلع إلى طمأنة جوعها به -

وهـو رغيـف خبـز ليـس إلا، فتصبـح النفـس راضيـة بـالإدام -أي مـا يضـاف إلـى الطعـام لتحسـين طعمـه- تصبـح راضيـة بـإدام الملـح وحسـب يبكـي مـن خشـية اللـه ومـن الشـوق إلـى اللـه ومـن الشـعور بالتقصيـر فـي جنـب اللـه إلـى درجـة تسـتفرغ العيـن دموعهـا؛ أو، أنـه سـينام مـن ليلـه شـيئاً قليـلاً بحيـث تتعـب العيـن فتبـدو وكأنهـا قـد جفّـت مـن الدمـوع.

نحـن اليـوم لـم نعـد نقنـع بالطعـم الطبيعـي للأطعمـة كلهـا، لأننـا صرنـا معتاديـن علـى إضافـة الإدام المتنـوع مـن ملـح وحامـض وزيـت وتوابـل وسـكر ومـا شـئت ممـا هـو موجـود، وبالتالـي صرنـا فـي الدّعـة نائميـن، غيـر مسـتعدين - نتيجـة لذلـك - للأحـوال الصعبـة إذا نزلـت بنـا فجـأة (وهـي اليـوم تنـزل بالملاييـن فـي أسـابيع قليلـة)، وفـي نفـس الوقـت غيـر قانعيـن بأنـواع النعـم التـي نتقلـب فيهـا، بـل نغضـب إذا كان الطعـام الكثيـر المتنـوع فيـه نقـص قليـل مـن الإدام!

«أَتَمْتَلِـىءُ السَّـائِمَةُ مِـنْ رِعْيِهَـا فَتَبْـرُكَ؟ وَتَشْـبَعُ الرَّبِيضَـةُ مِـنْ عُشْـبِهَا فَتَرْبِـضَ؟ وَيَـأْكُلُ عَلِـيٌّ مِـنْ زَادِهِ فَيَهْجَـعَ؟ قَـرَّتْ إِذاً عَيْنُـهُ إِذَا اقْتَـدَى بَعْـدَ السِّـنِينَ الْمُتَطَاوِلَـةِ بِالْبَهِيمَـةِ الْهَامِلَـةِ، وَالسَّـائِمَةِ الْمَرْعِيَّـةِ!»

هنا رابط بين الفقرة الأولى وهذه الفقرة:

إذا لـم يقـم الإمـام عليه السلام بترويـض نفسـه كمـا وصـف، فإنـه - حسـب المقاييـس الشـديدة جـداً التـي وضعهـا هـو لنفسـه - يشـعر وكأنـه يمتلـئ

طعاماً حتى الشبع؛ ومن يفعل ذلك من البهائم، فإنها تجلس للراحة بعد أن تعبت من الرعي وثقلت من الطعام، وتربض في حظائرها بعد أن امتلأت من العشب الذي أكلته...

فإذا لم يفعل ما عزم عليه السلام عليه، فإنه سيأكل ويثقل فينام!

وعندها، يستهزئ بنفسه -لو فعلت هذا بعد العمر الطويل الشريف- أنها قد سقطت إلى مستوى البهائم في المراعي!

وفي هذا تنبيهان:

**الأول مادي**: ما يصنعه الإكثار من الطعام في الجسم، ما هو بالضد من النشاط والنباهة والاستعداد

**الثاني معنوي**: أن الإنسان أكرم -كمخلوق- من البهائم، فلا يحسن به أن يعيش بشكل مشابه لها من البلادة التي لا يجد معها نفسه إلا مهتمة بالطعام والشراب واللذائذ.

إنه لمما يفخر به المسلم أن يجد في علماء الأمة الكبار هذه الحالة العلوية، يتشبهون بعلي عليه السلام في الزهد في المأكل والملبس وسائر تفاصيل الدنيا، وهو ما نجده في معظم مراجع الدين إن لم نقل جميعهم.

ولكن ما يخيب الأمل أننا لا نجد هذه الحالة في الكثير من القريبين منهم، ما يعكس صورة متناقضة غريبة.

كما لا نجده في أولي الأمر من الإداريين في السلطة الزمنية

من السياسيين في الحكم، بل هم أبعد ما يكونون عنه.

هذا عموماً، أما في بعض بلدان المسلمين اليوم، فإنه ليس أقل من كارثة!

وإنه لمما يشيع الأمل في الإنسان عموماً ولكن يؤلم في حال المسلمين في نفس الوقت، أنك تجد بعض الحكام خارج الإطار المسلم من يعيش حياة الزهد، الشديد أو الملحوظ على الأقل، بينما تجد حكام المسلمين منغمسين في الملذات كلها إلى درجة المرض.

ولا نريد تكرار الحال المتناقض ١٨٠ درجة لمن يدعي ولاية علي عليه السلام من الحكام هذه الأيام بالخصوص، لأن هذا صار -مع الأسف الشديد- من البديهيات وكأنك تقول بغداد عاصمة العراق والقاهرة عاصمة مصر!

هؤلاء، كما أن البعد ما بينهم وبين علي عليه السلام بُعدَ المشرقين في أحوالهم الدنيوية، فإنهم سيكونون أبعد وأبعد عنه عليه السلام يوم سيطول وقوفهم بين يدي الله عز وجل يحاسبهم حساباً دقيقاً عما جنت أيديهم بحق المظلومين.

## القسم الثامن بعض أحوال حزب الله

«طُوبَى لِنَفْس أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرْضَهَا، وَعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا، وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمْضَهَا، حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا، فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، تَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ، وَهَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِم شِفَاهُهُمْ، وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِم ذُنُوبُهُمْ «أُولئِكَ حِزْبُ الله، أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»

في المقطع قبل الأخير، يشير مولانا الإمام علي عليه السلام إلى حالة الذين تعلقت قلوبهم بالله تعالى، بحيث ملك عليهم أنفسهم فصاروا يتحركون في حالة من الزهد الكلي في الدنيا، وكيف لا ونفوسهم هذه تغالب النوم الذي غلب الجميع!

يذكرنا هؤلاء بالمتقين الذين وصفهم الإمام عليه السلام أنهم «عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دون ذلك في أعينهم» (والتي تدبرنا في جوانب متعددة من تطبيقاتها العملية في حياتنا في فصل سابق)...

كيف ذلك؟

**أولاً**: الإمام عليه السلام يثني عليهم بكلمة «طُوبى»

«طُوبَى لِنَفْس..».

ونحن نعلم قوله تعالى ﴿**طُوبى لَهُم وحُسْنُ مَآب**﴾[١]، والذي من حسن الاتفاق أن المفسرين من أهل السنة ذكروا عدة تفسيرات بشأن «طوبى» منها:

قول ابن عباس «طوبى شجرة في الجنة أصلها في دار علي، وفي دار كل مؤمن منها غصن»[٢].

ومنها «قول أبي جعفر محمد بن علي (أي الإمام الباقر عليه السلام) «سئل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن قوله تعالى «طوبى لهم وحسن مآب» قال: «شجرة أصلها في داري وفروعها في الجنة»، ثم سئل عنها مرة أخرى فقال: «شجرة أصلها في دار علي وفروعها في الجنة»، فقيل له: يا رسول الله! سئلت عنها فقلت: أصلها في داري وفروعها في الجنة ثم سئلت عنها فقلت: أصلها في دار علي وفروعها في الجنة، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إن داري ودار علي غداً في الجنة واحدة في مكان واحد»)[٣].

ومن روايات أهل البيت عليهم السلام روايات تذكر أنها شجرة في الجنة، بعض المؤمنين يتعلقون بغصن وبعضهم أكثر من ذلك، وأن زيد بن حارثة رضي الله عنه متعلق بمعظم أغصانها (روي في كتاب

(١) الرعد: ٢٩

(٢) تفسير الميزان للطباطبائي، ج١١ ص٣٦٨، وفي بحار الأنوار عن الثعلبي والحاكم الحسكاني وغيرهم.

(٣) تفسير الميزان للطباطبائي، ج١١ ص٣٦٨، عن تفسير القرطبي.

الأدعية مفاتيح الجنان ضمن أعمال اليوم الأول من شهر شعبان).

**ثانياً**: موضع الثناء من الإمام عليه السلام هو أن هؤلاء: «... أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرْضَهَا، وَعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا»

أدّوا الواجبات المفروضة، وتعاملوا بحزم مع المصاعب، فإنهم «عركوا» البأساء وتغلبوا عليها بالصبر.

**ثالثاً**: وزادوا على الواجبات وعلى تحمل الصعاب:

«وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمْضَهَا، حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا»

تركت الاستسلام للنوم - فكأنهم هم المعنيون بقوله تعالى ﴿**كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ**﴾[1].

ولكن النوم غالب حتماً، فإذا ما ألقى بثقله عليهم، كان فراشهم الأرض، ووسائدهم الكفوف! إما كناية عن تخففهم من عاريات الدنيا، فقد تخففوا من المتاع، أو كناية على أنهم كانوا يداوون «مرض» النوم بقسوة الفراش والوسادة كي لا يطيل نومهم.

كانوا في جماعة يصفهم عليه السلام: «فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، تَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ، وَهَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِم شِفَاهُهُمْ»

(١) الذاريات: ١٧.

مغالبة النوم هذه، بعضها نتيجة خوف يوم القيامة، فصارت جنوبهم تهجر مضاجعهم (بغض النظر عن كونها قاسية أو وثيرة)؛ وشفاههم يسمع منها همهمتهم بذكر ربهم عز وجل، الله... لا إله إلا الله... سبحان الله... لا حول ولا قوة إلا بالله... الحمد لله... الله أكبر... وسائر الذكر القولي...

ثم الاستغفار: «وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِم ذُنُوبُهُمْ»

تعبير جميل بليغ، أن طول الاستغفار آتى أُكُله بأن جعل الذنوب التي يستغفرون منها تتقشع عنهم كما يتقشع الغيم من السماء!

الغيوم ملبدة مطبقة على الأرض، كذلك الذنوب ملبدة مطبقة على النفس، يأتي الاستغفار، والإلحاح فيه، ليطرد الذنوب، فيحرر النفس...

فمن هم هؤلاء؟

«أُولئِكَ حِزْبُ الله، أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»

الله الله الله - حزب الله، ما أجمل هذه الكلمة، ما أجمل هذه الصفة، ما أجمل هذه النسبة!

«حزب الله»...

فهناك حزبان: «حزب الله» و«حزب الشيطان»

هـذا مولانـا أميـر المؤمنيـن عليه السلام يرسـم لنـا صـورة لبعـض أحـوال «حـزب اللـه»...

فقـد تعلقـت قلوبهـم باللـه تعالـى، فكانـوا كمـا وصفهـم عليه السلام، فلـم يجعلـوا للشـيطان إليهـم سـبيلاً، فامتنعـوا عـن السـقوط فـي «حـزب الشـيطان»، وصـاروا فـي «حـزب اللـه»...

ولا شك في أن «حزب الله هم المفلحون».

## القسم التاسع:

## أيها الحاكم: إذا أردت ضمانة النجاة فعليك بأقل من الكفاف!

«فَاتَّقِ اللهَ يَابْنَ حُنَيْف، وَلْتَكْفُفْ أَقْرَاصُكَ، لِيَكُونَ مِنْ النَّارِ خَلاَصُكَ».

في المقطع الأخير يوجه الإمام علي عليه السلام واليه على البصرة عثمان بن حنيف رضي الله عنه بطريقة خطاب فنية، ربما فيها شيء من الطريقة القرآنية في الخطاب.

مثلاً، قوله تعالى ﴿**فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ**﴾[1]، كأنه يأمر «نفس» النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن لا تذهب حسرات، مع أن الخطاب هو للنبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه.

هنا يخاطب الإمام عليه السلام عثمان بن حنيف، ولكن من خلال خطابه لـ«الأقراص»!

**أولاً**: ينهي الإمام عليه السلام هذه الموعظة البليغة بالأمر التوجيهي بالتقوى: «فَاتَّقِ اللهَ يَا بْنَ حُنَيْف».

(١) فاطر:٨.

فإنه دون تقوى الله لا يمكن للمرء أن يضمن عدم التجاوز والتعدي على حدود الله، في العلاقة المباشرة بالله كما في العلاقة به تعالى من خلال العلاقة بالناس وحقوقهم.

ثم يقول عليه السلام: «وَلْتَكْفُفْ أَقْرَاصُكَ»، فلم يقل له «ولِتَكُفَّ عن أقراصِك» مثلاً، أي «تمتنع يا بن حنيف عن أرغفة الخبز»، ولكنه يخاطب الأرغفة نفسها أن تمتنع عن ابن حنيف: «كُفِّي عنه»!

وهذا من بلاغته عليه السلام من جانب ومحبته وحنوّه على عثمان بن حنيف من جانب آخر، فإنه عليه السلام أراد أن يجنبه الحساب، ولكن كأنه يخشى أن يضعف أمام الدنيا، فيقوم عليه السلام هو بالكلام المباشر مع الدنيا كي تترك عثمان وشأنه!

ولكن لماذا؟

الجواب في كلمته الأخيرة: «لِيَكُونَ مِنْ النَّارِ خَلاَصُكَ».

أ لستَ تريد الخلاص يوم القيامة والنجاة من النار؟

هذا هو الطريق - طريق الوالي، الحاكم، المسؤول على الرعية: طريق الكفاف من الدنيا، في مطعمها ومشربها وملبسها وزينتها وسائر ما فيها.

ولكن الإمام عليه السلام يدعو إلى أن الأرغفة تمتنع عن عثمان، فهل يتوقف عن الطعام؟!

طبعاً لا؛ ولكنها المبالغة في التعبير، بحيث أن عليك يا عثمان أن تعي أن أرغفة الخبز لولا الحاجة إليها لقوتك وحياتك لكان ينبغي عليك اجتنابها...

**ثانياً**: هذه الموعظة العلوية، والرسالة الحيدرية، ينبغي أن تعيها آذان واعية، وقلوب خاشعة، ونفوس عالية...

إنها ﴿**تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ**﴾[1]، تبصّره بالدنيا وقيمتها وخدعها ومكرها، وتبصّره بمآلها وأحوال الخاضعين لها مقابل أحوال التاركين لها؛ وهي ذكرى، تعيد العباد إلى الطريق الصحيح.

ولكن: أيّ عباد؟

العباد المنيبون التائبون الراجعون إلى الله.

فهل يوفّق الحاكم الذي انغمس في أموال الناس التي تم تعيينه أميناً عليها، هل يوفّق إلى الإنابة والتوبة؟

هل يوفّق المسؤول الحكومي الذي نبذ العهد مع الله ومع الناس وصار سارقاً لأموالهم منتهكاً لحقوقهم متناسياً لواجباته تجاههم، هل يوفّق إلى الإنابة والتوبة؟

وإذا كان هذا الحاكم أو ذلك المسؤول الحكومي الذي لم

(١) ق:٨.

يعش في أجواء المواعظ العلوية والرسائل الحيدرية نجد له عذراً في سقوطه أمام الدنيا، فهل نجد العذر لمن كان يعيش في تلك الأجواء، فنتوقع منه الإنابة والتوبة؟

وإذا وجدنا العذر لهؤلاء بتبرير ضعف الإنسان ونحوه، هل يمكن أن نجد العذر لمن كان هو الذي ينقل هذه المواعظ والرسائل إلى الناس، وكان يهاجم الحكام السابقين لأنهم كانوا يسيرون بعيدين عن نهج علي عليه السلام، فنتوقع منه، ونقبل منه، الإنابة والتوبة؟

إن الإنابة والتوبة لا تكفيان وحدهما، بل يجب أن يعيد السارق أموال الناس وحقوقهم، ويحاسب على الخسائر التي حلّت بهم نتيجة ما جنت يداه؛ أما إنابته وتوبته إلى الله فبينه وبينه، ولا علاقة لها بالحقوق التي يجب ردها.

ثم، لا ننسى الموعظة والنصيحة: «لا يُلدغُ المؤمن من جُحرٍ مرتين»[1].

(١) البخاري رواية ٦١٣٣، ومسلم رواية ٢٩٩٨.

# تعزية وشكوى عند دفن سيدة النساء عليها السلام

## تعزية وشكوى عند دفن سيدة النساء عليها السلام

في هذا الفصل نستمع إلى أمير البيان علي عليه السلام وهو يتحدث بصوت باكٍ شجيّ، صوت ثاكل صاحب يشتكي إلى صاحب المرجعية التي فرضها الله تعالى على المسلمين - النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم -...

صاحب المرجعية صلى الله عليه وآله وسلم، هو في ذات الوقت يمثل ولي المظلومة عليها السلام، فهو صلى الله عليه وآله وسلم أقرب الخلق إليها نسباً، وأقرب الخلق إليها مرجعية، وأقرب الخلق إليها في تلك الظلامة إذ كان هو الذي أعطاها ما اغتصب منها، وأقرب الخلق إليها إذ كان هو التارك لها ميراثها منه، وأقرب الخلق إليها وإلى الشاكي - علي عليه السلام - إذ كان هو المؤدي عن ربه أحكام الميراث التي منعت هي عليها السلام منها...

فيا لها من علاقة محيطة بالأمر من كل جوانبه!

فكيف سيتحدث الإمام عليه السلام مع سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم ووالد سيدة نساء العالمين عليها السلام؟

روى الشريف الرضي رحمه الله في الكتاب الجامع التاريخي «نهج البلاغة» - وهو ما اختاره هو من خطب أمير المؤمنين عليه السلام ورسائله وكلماته القصار -، الخطبة رقم ٢٠٢، كيف جلس الإمام عليه السلام عند دفن الزهراء عليها السلام وتحدث مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، معزياً، شاكياً،

مخبـراً، طالبـاً، ثـم مودعـاً...

أورد الـكلام، ثـم أعلـق علـى فقراتـه واحـدة واحـدة (وقـد قسـمته إلـى خمـس فقـرات)، بمـا يوضحـه ويرسـم صـورة ملخصـة للـذي جـرى علـى مولاتنـا الزهـراء عليها السلام وجعـل زوجهـا عليه السلام يبـث شـكواه إلـى أبيهـا صلى الله عليه وآله وسلم بهـذا الشـكل الحزيـن...

## نص الحديث

قـال أميـر المؤمنيـن عليه السلام: «السَّـلَامُ عَلَيـكَ يَـا رَسُـولَ اللَّـهِ عَنِّـي وَعَـنِ ابنَتِـكَ النَّازِلَـةِ فِـي جِـوَارِكَ وَالسَّـرِيعَةِ اللَّحَـاقِ بِـكَ.

قَـلَّ يَـا رَسُـولَ اللَّـهِ عَـن صَفِيَّتِـكَ صَبـرِي وَرَقَّ عَنهَـا تَجَلُّـدِي؛ إِلَّا أَنَّ فِـي التَّأَسِّـي لِـي بِعَظِيـمِ فُرقَتِـكَ وَفَـادِحِ مُصِيبَتِـكَ مَوضِـعَ تَعَـزٍّ: فَلَقَـد وَسَّـدتُكَ فِـي مَلْحُـودَةِ قَبـرِكَ وَفَاضَـتْ بَيـنَ نَحـرِي وَصَـدرِي نَفسُـكَ، فَـ «إِنَّـا لِلَّـهِ وَإِنَّـا إِلَيْـهِ راجِعُـونَ».

فَلَقَـدِ اسـتُرجِعَتِ الوَدِيعَـةُ وَأُخِـذَتِ الرَّهِينَـةُ؛ أَمَّـا حُزنِـي فَسَـرمَدٌ وَأَمَّـا لَيلِـي فَمُسَـهَّدٌ، إِلَـى أَنْ يَختَـارَ اللَّـهُ لِـي دَارَكَ الَّتِـي أَنـتَ بِهَـا مُقِيـمٌ.

وَسَـتُنَبِّئُكَ ابْنَتُـكَ بِتَضَافُـرِ أُمَّتِـكَ عَلَـى هَضْمِهَـا، فَأَحفِهَـا السُّـؤَالَ وَاسـتَخبِرهَا الحَـالَ؛ هَـذَا وَلَـم يَطُـلِ العَهـدُ وَلَـم يَخـلُ مِنـكَ الذِّكْـرُ.

وَالسَّـلَامُ عَلَيكُمَـا سَـلَامَ مُـوَدِّعٍ لَا قَـالٍ وَلَا سَـئِمٍ؛ فَـإِنْ أَنصَـرِفْ فَـلَا عَـن مَلَالَـةٍ وَإِنْ أُقِـم فَـلَا عَـن سُـوءِ ظَـنٍّ بِمَـا وَعَـدَ اللَّـهُ الصَّابِرِيـن».

## الفقرة (١) مكان دفن الزهراء عليها السلام

«السَّلَامُ عَلَيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي وَعَنِ ابنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ».

يبدأ الإمام عليه السلام بالسلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، يوجهه أصالة عن نفسه وبالنيابة عن الزهراء عليها السلام... وهذا غير واضح: هل أنه عليه السلام يشرك الزهراء عليها السلام معه في كل شيء فيشركها في هذا، أم هو يقول للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أنها وصلتك تواً؟

ولكن ما معنى «النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ»؟ إننا نعلم أنها عليها السلام أوصت أن تدفن سراً وأن لا يحضر دفنها من ظلمها، كل ذلك من أجل أن يبقى موقفها صرخة مدوية عبر العصور عسى أن تستفيق هذه الأمة الغافلة، وبالتالي لا يمكن أن يكون عليه السلام قد دفنها بجانب أبيها صلى الله عليه وآله وسلم لأن ذلك كان سيعرف مباشرة - فما معنى هذه الكلمات؟

فهمي لكلمات الأمير عليه السلام «النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ» يأتي من جانبين:

**الأول**: أن الزهراء عليها السلام تحررت من عالم الأبدان وضيقه إلى عالم الأرواح ورحابته، فستنطلق -كأي روح- في بُعد آخر يتسامى على المكان في هذه البقعة من الأرض أو تلك، وبالتالي وكأنها نزلت إلى جوار أبيها صلى الله عليه وآله وسلم.

**الثاني**: أن الزهراء عليها السلام لم تغادر أبيها صلى الله عليه وآله وسلم في حياتها كلها إلا عندما كان يخرج في سفر، فإذا سافر فإن آخر عهده في المدينة هو الزهراء عليها السلام يودعها، وما أن يعود إلا ويذهب إلى بيت الزهراء عليها السلام ليسلم عليها، قبل أن يدخل المسجد ويعتلي المنبر ويخبر الناس بما حصل في سفره، وبالتالي فإن حالها عليها السلام بعد الموت لا يمكن أن ينفك عن حالها قبل الموت في شدة القرب من أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، فكأنها نزلت في جواره.

وأما «السَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ» فنحن نعلم أنها كانت أول أهله صلى الله عليه وآله وسلم لحوقاً به، فقد توفيت ما بين ٤٥ يوماً بعده، أو ٧٥ يوماً بعده، أو ٩٠ يوماً بعده (وحتى على رواية المخالفين في كتاب البخاري فإنها توفيت بعد ٦ أشهر)...

هذا وإنني أكاد أشعر بالشجى في كلمات الإمام عليه السلام وقد غادرته رفيقة حياته وأم أولاده وابنة حبيبه صلى الله عليه وآله وسلم بهذه السرعة بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، فصارت المصيبة مصيبتين، والوجع وجعين، ولهذا نسب إليه القول شعراً:

لكلِّ اجتماعٍ من خليلَينِ فرقةٌ    وكلُّ الذي دونَ الفراقِ قليلُ

وإنَّ افتقادي فاطماً بعد أحمدٍ    دليلٌ على أنْ لا يدومَ خليلُ

## الفقرة (٢) توجُّع، وسلوان

«قَلَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَن صَفِيَّتِكَ صَبرِي وَرَقَّ عَنهَا تَجَلُّدِي؛ إِلَّا أَنَّ فِي التَّأَسِّي لِي بِعَظِيمِ فُرقَتِكَ وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ مَوضِعَ تَعَزٍّ: فَلَقَد وَسَّدتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبرِكَ وَفَاضَتْ بَينَ نَحرِي وَصَدرِي نَفسُكَ، فَـ«إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ»».

يشكو الإمام عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله حاله من الحزن الذي لم ينفع معه ما عنده من الصبر - وهو من هو في الصبر -، والذي لا ينفع له التصبّر العصي على الأذى النازل من المصيبة - وهو من هو في الجَلَد على النوازل والحوادث والمواقف الصعبة -...

في هذه الشكوى، نجده يصف الزهراء عليها السلام أنها «صفيّة» النبي صلى الله عليه وآله، أي هي الإنسان الذي اصطفاه النبي صلى الله عليه وآله من بين الناس. بوجود علي عليه السلام سيكون من الصعب أن ينافسه أحد مكانته عند النبي صلى الله عليه وآله، ولكن للزهراء عليها السلام خصوصية من عدة نواح، فهي:

بضعته الوحيدة، وابنة سيدة النساء خديجة عليها السلام، وأم سيدي شباب أهل الجنة عليهما السلام واللذين منهما انطلقت ذريته المباركة، وهي ذاتها سيدة نساء العالمين، وبعدُ فهي التي كانت تحوطه بعنايتها إلى الدرجة التي وصفها بكلمته الكبيرة «فاطمة أُمّ أبيها».

هـذا الحـزن الشـديد، الـذي لا ينفـع معـه الصبـر والتجلّـد، وجـد بعـض السـلوان فـي قضيـة لا يوجـد غيرهـا مـا يمكـن أن يؤثـر أثرهـا: مصيبـة مـوت النبـي صلى الله عليه وآله وسلم؛ تلـك المصيبـة التـي عبـر عنهـا الإمـام عليه السلام بالقـول شـعراً:

كنتَ السّوادَ لناظِـري فبكى عليكَ الناظِرُ

مَنْ شاء بعدكَ فَلْيَمُتْ فعليكَ كنتُ أُحاذِرُ[1]

فما الذي وفر للإمام عليه السلام بعض العزاء؟

«لَقَـد وَسَّـدتُكَ فِـي مَلْحُـودَةِ قَبـرِكَ وَفَاضَـتْ بَيـنَ نَحـرِي وَصَـدرِي نَفسُـكَ» - كونـي أنـا الـذي أنزلتـك فـي اللحـد، وكونـي - قبـل ذلـك - أنـا الـذي أسندتك علـى صـدري فـي آخـر سـاعات الاحتضـار حتـى غـادرت روحـك جسـدك، هـذا يعطينـي بعـض العـزاء والسـلوان عـن مصيبتـي فـي ابنتـك فاطمـة عليها السلام[2].

وينتهـي عليه السلام فـي هـذه الفقـرة بالاسـترجاع، عمـلاً بالتوجيـه القرآنـي **﴿الَّذِيـنَ إِذَا أَصَابَتْهُـم مُّصِيبَـةٌ قَالُـوا إِنَّـا لِلَّـهِ وَإِنَّـا إِلَيْـهِ رَاجِعُـونَ﴾**[3]؛ هـذا ليـس غريبـاً لقولـه صلى الله عليه وآله وسلم «علـيّ مـع القـرآن، والقـرآن مـع علـي، لـن

---

(١) ديوان علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) إن هـذا القـول منـه عليه السلام يكـذّب الروايـة القائلـة أن النبـي صلى الله عليه وآله وسلم كـان يتـم تمريضـه في احتضـاره في دار السيدة عائشـة، ويكـذّب الروايـة عنهـا أنهـا كـان تسـنده إليهـا حتـى تـوفي..

(٣) البقرة:١٥٦.

يتفرقا حتى يردا علي الحوض»[١] أو «عليّ مع القرآن، والقرآن معه، لا يفترقان حتى يردا علي الحوض»[٢].

❁❁❁

(١) مستدرك الحاكم رواية ٤٦٨٥.
(٢) بحار الأنوار ج٢٢ ص٢٢٢.

## الفقرة (٣) الحزن الطويل

«فَلَقَدِ استُرجِعَتِ الوَدِيعَةُ وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ؛ أَمَّا حُزنِي فَسَرمَدٌ وَأَمَّا لَيلِي فَمُسَهَّدٌ، إِلَى أَنْ يَختَارَ اللَّهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنتَ بِهَا مُقِيمٌ».

روي أنه في يوم زفاف علي وفاطمة عليهما السلام، قبل أن يدخلا الدار صار النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعو لهما، وقال مما قاله لعلي: «يا عليّ، هذه فاطمة وديعتي عندك»[1].

وها هي الوديعة قد تركت علياً عليه السلام في دار الدنيا، والتحقت بأبيها صلى الله عليه وآله وسلم، فكأنه قد استرجعها من علي عليه السلام.

وأما «الرهينة»، فلأنها ملتزمة بعقد الزواج من علي عليه السلام بسائر مسؤوليات الزوجة الصالحة؛ والآن فقدها علي عليه السلام حيث أخذها الموت منه.

بقي عليه السلام وحده! فكيف حزنه؟

«أَمَّا حُزنِي فَسَرمَدٌ وَأَمَّا لَيلِي فَمُسَهَّدٌ»، حزن دائم لا ينقضي... وإذا كانت الأيام ستشغله بمسؤولياتها وأحداثها، فأنّى له التعامل مع هذا الحزن الدائم في الليل؟ سيكون السهاد حليفه، يقلق

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ص١٣٢.

جفونه ويمنعه من النوم المريح.

هذا لن ينقضي إلا بالاجتماع مع هذين الحبيبين في دار النبي ﷺ التي أعدها الله تعالى له في مستقر رحمته.

هل نستطيع تصور حال الإمام عليه السلام طيلة تلك السنوات الثلاثين؟ إذا كان فقدان النبي ﷺ وفاطمة عليها السلام يجعلان الحزن الدائم مطبقاً عليه، والسهاد يصارع جفنيه، كيف مع شدة المحنة وطول المدة مما فعلوه معه من الصد عنه والتضييق عليه وعلى أتباعه من الصحابة الأبرار والتابعين الأخيار، وهو يجد هذا كله نتيجة غياب الذي كان الحصن والمانع - أعني رسول الله ﷺ... ولنعم ما قال أحد العلويين يخاطب الذي هجم على بيت الزهراء عليها السلام مهدداً بالتحريق:

يا أبا حفص الهُوينا فما كنتَ مليّاً بذاك لولا الحِمامُ

لولا موت النبي ﷺ هل كان أحد يتجرأ على صنع ما صنعوا!

## الفقرة (٤) ظلامة، وطلب

«وَسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا، فَأَحفِهَا السُّؤَالَ وَاستَخبِرهَا الحَالَ؛ هَذَا وَلَم يَطُلِ العَهدُ وَلَم يَخلُ مِنكَ الذِّكْرُ».

الإمام علي عليه السلام يؤكد لنا معلومة أن الأموات يتحدث بعضهم إلى بعض في عالم الأرواح التي تحررت من سجون الأبدان...

هنا، الابنة عليها السلام الوديعة التي استرجعت إلى أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، ستبث شكواها إليه صلى الله عليه وآله وسلم مما جرى عليها - وكم هو فادح ما جرى عليها:

«تَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا»!

الأمة، كلها، أو ما يمكن إجماله أنها كلها، قد اصطفت ضد حقوق الزهراء عليها السلام، ساند بعضهم بعضها في هضمها حقوقها...

فما هي هذه الحقوق التي هضمت؟

وكيف تضافرت الأمة على هضمها؟

الموضوع كبير وخطير، ليس لأنه يخص الزهراء عليها السلام، ومن يتعلق بها فيما يخص هذه الحقوق - أي زوجها علي عليه السلام وأولادها الحسن والحسين وزينب عليهم السلام -، ولكن لأنه في واقع الأمر يتعلق

بإمامة أهل البيت عليهم السلام، كما سأشير أدناه. فبحثه ليس ممكناً في هذا الكتاب الذي يلقي أضواء خاطفة على بيان أمير البيان عليه السلام، ولكن نشير إليه بما يوضح شكوى الزهراء عليها السلام بما ستقوله لأبيها صلى الله عليه وآله وسلم بعد التحاقها به.

أما الحقوق التي هضمت فهي:

**أولاً**: ميراثها الشرعي من أبيها صلى الله عليه وآله وسلم.

**ثانياً**: ملكيتها في بساتين «فدك».

أما «ميراثها الشرعي» فإنه من البديهي أنها هي الوارثة من أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، (بل الوارثة الوحيدة، لأنها كانت الوحيدة التي نازعت في ذلك، وهذا يؤكد أن زينب ورقية وأم كلثوم رضي الله عنهن لم يكُنّ بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما يقولون، ولكن بنات هالة أخت خديجة عليها السلام، وربما ربيبات هالة من زواج سابق لزوجها، أي أنهن كنّ ربيبات أخت زوجته خديجة عليها السلام - فلا علاقة نسبية له بهن). ولكن الخليفة زعم أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول «نحن معاشر الأنبياء لا نُورَث/ نُـوَرِّث؛ ما تركناه (فهو) صدقة».

كذبت الزهراء عليها السلام هذا الزعم، مستندة إلى أمرين:

أن القرآن يقطع بتوريث الأنبياء عليهم السلام، حيث جاءت بقوله

تعالى ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[١]، وبقوله تعالى بلسان زكريا عليه السلام وهو يدعو ربه ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۞ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[٢] وهذا يكذب الزعم «نحن معاشر الأنبياء» لأن هذا القول لم يقل مثلاً «أنا محمد لا أورث» بل زعم أن الأنبياء عليهم السلام جميعاً لا يورثون.

كما استندت إلى آية ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[٣]، وقوله ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾[٤]، وقوله ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[٥]، وهي آيات عامة تشمل الجميع، ولا مخصص لها من قرآن أو سنة.

أن أباها صلى الله عليه وآله وسلم وزوجها عليه السلام هما أعلم بعموم القرآن وخصوصه من الآخرين، فلو كان هناك مخصص للآيات أعلاه لكانا قد أخبراها به. كما أنه من غير المعقول أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمضي إلى ربه تاركاً ابنته عليها السلام لا تعلم حقوقها الشرعية ليتركها تخرج تنازع الناس ما ليس هو حقاً لها - هذا مستحيل. ناهيك عن أن الزهراء عليها السلام نفسها لها من العلم الشرعي الكامل ما لا يمكن لأحد من الناس أن يطعن في أنها لا تعلم ذلك - فهل كان الخليفة يطعن في

(١) النمل:١٦.
(٢) مريم:٥-٦.
(٣) الأنفال:٧٥.
(٤) النساء:١١.
(٥) البقرة:١٨٠.

صدقها؟! كلا، لأنه لم يقل ذلك... ولكنه بقي مصرّاً...

المؤسف هو أنه على الرغم من أن الخليفة لم يجد غير صاحبه عمر بن الخطاب يصدّقه في زعمه فإن الآخرين سكتوا ولم يقوموا ليردوه عن زعمه ويعلنوا تأييدهم لها عليها السلام...

سكتوا وكأن الأمر لا يعنيهم، أو قد سحرتهم عصا الخليفة!

وإذا كانوا يحتاجون إلى حض على الاعتراض والوقوف إلى جانبها عليها السلام فقد فعلت عندما توجهت صوب الأنصار بالخطاب:

«أيْها بَنِي قَيْلَةَ! أأُهْضَمُ تُراثَ أبِي وَأنْتُمْ بِمَرْأى مِنّي وَمَسْمَعٍ، ومُبْتَدأٍ وَمَجْمَعٍ؟! تَلْبَسُكُمُ الدَّعْوَةُ، وتَشْمُلُكُمُ الْخَبْرَةُ، وَأنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَالأَداةِ وَالْقُوَّةِ، وَعِنْدَكُمُ السِّلاحُ وَالْجُنَّةُ؛ تُوافيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلا تُجِيبُونَ، وَتَأْتيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلا تُغيثُونَ، وَأنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكِفاحِ، مَعْرُفُونَ بِالْخَيْرِ وَالصَّلاحِ، وَالنُّجَبَةُ الَّتي انْتُجِبَتْ، وَالْخِيَرَةُ الَّتِي اخْتيرَتْ! قاتَلْتُمُ الْعَرَبَ، وَتَحَمَّلْتُمُ الْكَدَّ وَالتَّعَبَ، وَناطَحْتُمُ الأُمَمَ، وَكافَحْتُمً الْبُهَمَ، فَلا نَبْرَحُ أو تَبْرَحُونَ، نَأْمُرُكُمْ فَتَأْتَمِرُونَ حَتَّى دَارَتْ بِنا رَحَى الإِسْلامِ، وَدَرَّ حَلَبُ الأَيّامِ، وَخَضَعَتْ نُعَرَةُ الشِّرْكِ، وَسَكَنَتْ فَوْرَةُ الإِفْكِ، وَخَمَدَتْ نيرانُ الْكُفْرِ، وهَدَأتْ دَعْوَةُ الْهَرْجِ، وَاسْتَوْسَقَ نِظامُ الدِّينِ؛ فَأَنّى جُرْتُمْ بَعْدَ الْبَيانِ، وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الإِعْلانِ، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الإِقْدامِ، وَأَشْرَكْتُم بُعْدَ الإِيمانِ؟»

فإذا كان هذا حال الأنصار الذين كانوا الأقرب إلى علي عليه السلام

وأهل البيت عليهم السلام، فما بالك بغيرهم؟ وعندها: أفلا يحق أن يقول الإمام عليه السلام «تضافر أمتك» جميع الأمة إلا الشاذ النادر؟

وأما «فدك»، فقد كانت بساتين حازها النبي صلى الله عليه وآله وسلم دون قتال، فهي مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب وبالتالي فهي خالصة له يتصرف فيها كما يشاء، فوهبها صلى الله عليه وآله وسلم بضعته الزهراء عليها السلام في حياته، وكانت تديرها من خلال الموظفين. وبالتالي، فليس من حق الخليفة أن ينتزعها منها أصلاً... ولكنه فعل...

هنا لم يكن للخليفة أن يأتي بحديث معارض، فطالبها بالبينة على ما تقول، فجاءت بالشهود: علي عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام وأم أيمن رضي الله عنها.

يا لهم من مجموعة من الشهود لا يمكن لقاض في الدنيا أن يردهم، ولا يمكن للخليفة نفسه أن يكذبهم..

ولكنه كان متمسكاً جداً بالشريعة (!)، فقال لها أن الحسنين عليهما السلام صغيران لا يقومان بالشهادة، والباقي علي عليه السلام وأم أيمن رضي الله عنها رجل وامرأة، فتحتاج الزهراء عليها السلام إما أن تأتي بشاهد رجل آخر أو امرأة أخرى!

(وقد روي أن الخليفة بعد ذلك أعلن للناس أنه أيما شخص كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أوعده موعدة فليأت، فكان الرجل يأتي ويزعم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعده المبلغ من المال أو غيره فكان الخليفة يستجيب دون أية بينة!)

## الخلافة وليس الميراث

ثم وجدتهم على حال ميؤوس منها:

«أَلا قَدْ أرى أنْ قَدْ أَخْلَدْتُمْ إلَى الْخَفْضِ، وَأَبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ، وَخَلَوْتُمْ بِالدَّعَةِ، وَنَجَوْتُمْ مِنَ الضِّيقِ بِالسَّعَةِ، فَمَجَجْتُمْ ما وَعَيْتُمْ، وَدَسَعْتُمُ الَّذِي تَسَوَّغْتُمْ، «فَإنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً فَإنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ» [إبراهيم:٨]».

وتضيف آسفة حزينة:

«ألا وَقَدْ قُلْتُ ما قُلْتُ عَلى مَعْرِفَةٍ مِنّي بِالْخَذْلَةِ الَّتِي خامَرَتْكُمْ، وَالغَدْرَةِ التِي اسْتَشْعَرَتْها قُلُوبُكُمْ، وَلكِنَّها فَيْضَةُ النَّفْسِ، وَنَفْثَةُ الْغَيْظِ، وَخَوَرُ الْقَنا، وَبَثَّةُ الصُّدُورِ، وَتَقْدِمَةُ الْحُجَّةِ».

وقالت -فيما قالت- في كلامها مع نساء المهاجرين والأنصار إذ زرنها بعد ذلك وقد مرضت:

«وَيْحَهُم أَنَّى زَحْزَحُوهَا عَن رَواسِي الرِّسَالَة، وقَوَاعِد النبُوَّةِ، ومَهْبِطَ الوَحْيِ الأمِينِ، والطبين بِأمْرِ الدُّنيَا والدِّينِ: «أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ» [الزمر:١٥]. وَمَا نَقمُوا مِنْ أبِي الحَسَن؟! نَقمُوا وَاللهِ مِنْهُ نَكِيرَ سَيْفِهِ وَشِدَّةَ وَطْئِهِ ونكَالَ وَقْعَتِهِ وتَنَمُّرَهُ فِي ذَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

وقالت -فيما قالت لهم-:

«اسْتَبْدَلُوا وَاللهِ الذُّنَابَى بالقَوَادِمِ، والعَجُز بِالكَاهِلِ.فَرَغْماً لِمَعَاطِسِ قَومٍ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً «أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ» [البقرة:١٢]. «أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» [يونس:٣٥]».

إذاً القضية ليست الميراث، لأن الزهراء عليها السلام من أهل بيت اختار الله لهم الآخرة فما لهم والدنيا، حيث أنهم «خُلِقوا للآخرة» حسب وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن الميراث كان مؤشراً واضحاً للناس على انحراف السلطة القائمة حيث تم ضرب آيات القرآن والأحكام الشرعية القطعية التي يعرفها الجميع ومارسوها من خلال أحكام الميراث عند الوفيات على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلم تكن خافية على أحد مطلقاً...

القضية تزامنت مع دفع علي عليه السلام عن موقعيته في الدين والدنيا، ببسط اليد في خلافة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والذي وصل الأمر فيه إلى الهجوم على داره وهو دار فاطمة عليها السلام والتهديد بحرقه على من فيه! كل هذا:

والمسلمونَ بمنظَرٍ وبمسمَعٍ لا مُنكرٌ منهم ولا مُتَوَجِّعُ

وبالتالي فإن القضية أخطر بكثير من الميراث والنحلة الفدكية.

ولو كان الأمر أمر ميراث دنيوي وحسب لكانت الزهراء عليها السلام أزهد الناس فيه، ولكانت تجاوزت عن المسلمين سكوتهم وخذلانهم، ولكن لأن الأمر يتعلق بالأمة كلها، بالدين كله، وبالتالي بالبشرية كلها، فإنه ما لا يمكن تجاوزه - ولهذا قالت لهم، واصفة حال موقفهم، ومحذرة لهم من النتائج:

«فَدُونَكُمُوها فَاحْتَقِبُوها دَبِرَةَ الظَّهْرِ، نَقِبَةَ الْخُفِّ، باقِيَةَ الْعارِ، مَوْسُومَةً بِغَضَبِ اللهِ وَشَنارِ الْأَبَدِ، مَوْصُولَةً بِنارِ اللهِ الْمُوقَدَةِ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ. فَبَعَيْنِ اللهِ ما تَفْعَلُونَ «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» (الشعراء:٢٢٧)، وَأَنَا ابْنَةُ نَذِيرٍ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ، «فَاعْمَلُوا (على مكانتكم) إِنَّا عامِلُونَ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ» [هود:١٢١-١٢٢]».

كما تقول مبينة لهم الذي سيحصل:

«أَمَا لَعَمْرِي، لَقَدْ لقحَتْ، فَنَظِرَة رَيْثُمَا تُنْتِج، ثم احْتَبَلُوا مِلْءَ القَعْبِ دَماً عَبيطاً، وَذعَافاً مُبِيداً، هُنالِكَ يَخسَرُ المُبْطِلُونَ، وَيُعْرَفُ التَّالُونَ غبَّ مَا سَنَّ الأَوَّلُونَ؛ ثُمَّ طِيبُوا عَن دُنْيَاكُم أَنْفُساً، وَاطْمَئِنُّوا للفِتْنَةِ جَأْشاً، وأَبْشِرُوا بِسَيفٍ صَارِمٍ، وَسَطْوَةِ مُعْتَدٍ غَاشِمٍ، وَهَرَجٍ شَامِلٍ، وَاسْتِبْدَادٍ مِنَ الظَّالِمِينَ يَدَعُ فَيْئَكُمْ زَهِيداً وَزَرْعَكُم حَصِيداً؛ فَيَا حَسْرَتي لَكُمْ! وَأَنَّى بِكُمْ «فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا

كَارِهُونَ؟» [هود:٢٨]»[١].

«فَأَحفِهَا السُّؤَالَ وَاستَخبِرهَا الحَالَ»

يطلب عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يلح في السؤال من ابنته عليها السلام عن ذلك، وأن يطلب منها أن تخبره على الحال الذي وجدت نفسها عليها السلام -بأبي وأمي- فيه، من هذا الرد والصد والتكذيب الضمني والإصرار على المنع من الحقوق الشرعية التي لجميع الناس والغصب لملكيتها في ما وهبها النبي صلى الله عليه وآله وسلم...

ويضيف جملة فيها من التعجب والتأسف «هَذَا وَلَم يَطُلِ العَهدُ وَلَم يَخلُ مِنكَ الذِّكْرُ»، لو كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد توفي قبل زمان طويل، أو قد انتهى ذكره في الذاكرين، لكان الخطب أيسر، أما وأنه للتو قد غادرهم، وأن ذكره ملء السمع في كل أذان للصلاة وفي كل جلسة ذكر للدين وفي كل تذكر لموقف على عهده، فإن هذا التجاوز على الزهراء عليها السلام أشد وأشد وأشد...

---

(١) رويت خطبة مولاتنا الزهراء عليها السلام في مصادر عديدة، منها «بلاغات النساء» لابن طيفور من ج١١ من كتاب «المنثور والمنظوم»، و«علل الشرائع» للشيخ الصدوق ج١ ص٢٤٨، و«الشافي في الإمامة» للسيد المرتضى ج٤ ص٧٢، و«الاحتجاج» للطبرسي ج١ ص١٤٧، وأوردها ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» تعليقاً لرسالة الإمام علي عليه السلام إلى عثمان بن حنيف التي يذكر فيها فدكاً ج١٦ ص٢٥٢، ويرويها عن كتاب «السقيفة» لأحمد بن عبد العزيز الجوهري بعدة طرق، ورواها ابن طاووس في «الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف»، وعلي بن عيسى الأربلي في «كشف الغمة» عن «السقيفة» لعبد العزيز الجوهري ج١ ص٤٧٩؛ وهناك إشارات إلى الخطبة أو بعضها في مصادر عديدة مثل «مروج الذهب ومعادن الجوهر» للمسعودي ج٢ ص٣١١، و«لسان العرب» لابن منظور في مادة لمّ (في صدر الرواية خرجت عليها السلام في «لمّة» من حفدتها)، و«أعلام النساء» لعمر كحالة ج٤ ص١١٥.

## الفقرة (٥) وداع، وتوضيح

«وَالسَّلَامُ عَلَيكُمَا سَلَامَ مُوَدِّعٍ لَا قَالٍ وَلَا سَئِمٍ؛ فَإِنْ أَنصَرِفْ فَلَا عَن مَلَالَةٍ وَإِنْ أُقِم فَلَا عَن سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ الصَّابِرِينَ».

بعد بثه هذه الشكوى لرسول الله ﷺ، والطلب منه أن يستخبر الزهراء عليها السلام عن الذي جرى عليها، لا بد من وداع... ولكن...

ولكن هل هو وداع من يريد ترك المَزور رغبة عنه أو حتى بغضاً فيه؟ هل هو وداع من ملّ من الوقوف على قبره؟

كلا! وداعه عليه السلام ليس كذلك، وكيف يكون كذلك وهو لولا الدنيا وضروراتها لأقام عند قبر النبي ﷺ أبد الدهر، فهو لا يريد تركه ولا يمل من الحديث معه.

فهو بين أمرين: إما أن يذهب إلى شأنه، وعندها يؤكد أن ذلك لن يكون عن ملل من الوقوف عنده والحديث معه؛ أو أن يبقى عنده، وعندها ليس زهداً بالأجر الذي وعد الله عليه الصابرين على المصائب.

## الشيخ الشعراوي يستثمر الفقرة الأخيرة

في إحدى محاضراته القرآنية المتميزة (في مسجد الشيخ سليمان في منطقة الهرم، الجيزة، مصر)، إستثمر الشيخ «محمد متولي الشعراوي» رحمه الله الفقرة الأخيرة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، وهو في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿**تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾[1]، ليعطي مثالاً على كيفية تفاعل الأحبة فيما بينهم بحيث أنهم لا يستقرون حتى أثناء النوم ﴿**تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ**﴾.

أورد كلام الإمام عليه السلام بتمامه، ولكن دون أي تعليق، على اعتبار أن الكلام واضح...

ولكنه ليس واضحاً ولا سيما بخصوص قوله عليه السلام «وَسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا، فَأَحفِهَا السُّؤَالَ وَاستَخبِرهَا الحَالَ؛ هَذَا وَلَم يَطُلِ العَهدُ وَلَم يَخلُ مِنكَ الذِّكْرُ» لأن الحضور أتوقع أن جميعهم لم يكونوا قد سمعوا بالظلم الذي وقع على الزهراء عليها السلام، ولا سيما من الخليفة الأول نفسه الذي هضمها حقوقها...

مع ذلك، كانوا يطلقون أصوات التفاعل الحزين...

فما الفائدة؟

---

(١) السجدة:١٦.

على أية حال، الذي تحقق أن أحد أكبر مفسري القرآن من أهل السنة في عصرنا قد اعترف وأعلن مظلومية الزهراء عليها السلام، ولمن يريد الاستزادة إما أن يسأل الشيخ بعد ذلك أو يقوم هو بالبحث والتنقيب خلف جدران الكتمان الشديد على تلك القضية.

ورب سائل يسأل:

كيف يمكن أن يقوم الشيخ الشعراوي - وهو من هو في العالم السني الأزهري - بفضح المكتوم، وأي مكتوم ذاك الذي يتعلق بالخليفة الأول والزهراء عليها السلام؟

الجواب سهل، بل سهل للغاية:

إنه الله عز وجل الذي يريد أن يوصل الحقيقة إلى الناس، على الرغم من أنف الذين كتموها عن أتباعهم عبر القرون، لأن ﴿**اللهَ غالِبٌ عَلى أَمْرِهِ، وَلكِنَّ أكثَرَ النّاسِ لا يَعلَمُون**﴾[1].

وإلا فإن العلاقة بين الآية قيد التفسير، آية ﴿**تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ**﴾ ليس فيها رابط مباشر يقفز إلى الذهن مع قضية الزهراء عليها السلام - ولكن هكذا كان[2]...

❁❁❁

(١) يوسف:٢١.

(٢) لمن يحب الاطلاع، فإن المحاضرة موجودة على يوتيوب، بل ويوجد هذا الجزء لوحده https://www.youtube.com/watch?v=A-sqBd5JXGU.

نسخة أخرى:

وقد رويت نسخة أخرى لكلام الإمام علي عليه السلام أذكرها كما هي، وأؤشر بخط مواضع الاختلاف أو الزيادة المهمة، ثم أعلق على بعض هذه الاختلافات.

فقد روى الكليني في الكافي ج١ ص٤٥٩ عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال:

«لَمَّا قُبِضَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام دَفَنَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ سِرّاً وَعَفَا عَلَى مَوْضِعِ قَبْرِهَا، ثُمَّ قَامَ فَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ عَنِ ابْنَتِكَ وَزَائِرَتِكَ وَالْبَائِتَةِ فِي الثَّرَى بِبُقْعَتِكَ، وَالْمُخْتَارِ اللَّهُ لَهَا سُرْعَةَ اللِّحَاقِ بِكَ. قَلَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، وَعَفَا عَنْ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ تَجَلُّدِي، إِلَّا أَنَّ لِي فِي التَّأَسِّي بِسُنَّتِكَ فِي فُرْقَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزٍّ، فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ، وَفَاضَتْ نَفْسُكَ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي، بَلَى وَفِي كِتَابِ اللَّهِ لِي أَنْعَمُ الْقَبُولِ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. قَدِ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ، وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ، وَأُخْلِسَتِ الزَّهْرَاءُ، فَمَا أَقْبَحَ الْخَضْرَاءَ وَالْغَبْرَاءَ. يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ، وَهَمٌّ لَا يَبْرَحُ مِنْ قَلْبِي أَوْ يَخْتَارَ اللَّهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا مُقِيمٌ؛ كَمَدٌ مُقَيِّحٌ، وَهَمٌّ مُهَيِّجٌ، سَرْعَانَ مَا فَرَّقَ بَيْنَنَا، وَإِلَى اللَّهِ أَشْكُو.

وَسَتُنْبِئُكَ ابْنَتُكَ بِتَظَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا، فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ، وَاسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ، فَكَمْ مِنْ غَلِيلٍ مُعْتَلِجٍ بِصَدْرِهَا لَمْ تَجِدْ إِلَى بَثِّهِ سَبِيلًا، وَسَتَقُولُ وَيَحْكُمُ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ. سَلَامَ مُوَدِّعٍ لَا قَالٍ وَلَا سَئِمٍ، فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ، وَإِنْ أُقِمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ الصَّابِرِينَ؛ وَاهَ وَاهاً وَالصَّبْرُ أَيْمَنُ وَأَجْمَلُ.

وَلَوْلَا غَلَبَةُ الْمُسْتَوْلِينَ لَجَعَلْتُ الْمُقَامَ وَاللَّبْثَ لِزَاماً مَعْكُوفاً، وَلَأَعْوَلْتُ إِعْوَالَ الثَّكْلَى عَلَى جَلِيلِ الرَّزِيَّةِ: فَبِعَيْنِ اللَّهِ تُدْفَنُ ابْنَتُكَ سِرّاً، وَتُهْضَمُ حَقَّهَا، وَتُمْنَعُ إِرْثَهَا، وَلَمْ يَتَبَاعَدِ الْعَهْدُ، وَلَمْ يَخْلَقْ مِنْكَ الذِّكْرُ، وَإِلَى اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ الْمُشْتَكَى، وَفِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْسَنُ الْعَزَاءِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْهَا السَّلَامُ وَالرِّضْوَانُ».

## تعليقات:

عندي إشكال حول «وَالْبَائِتَةِ فِي الثَّرَى بِبُقْعَتِكَ»، لأننا فهمنا معنى «النازلة في جوارك» في نسخة نهج البلاغة، ولكن التخصيص أنها تبيت في نفس بقعة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهذا غير ما ورد في النهج، أو نَكِلُهُ إلى علم الإمام عليه السلام فيما إذا كان النص صحيحاً.

وعندي ظن بخصوص «وَعَفَا عَنْ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ تَجَلُّدِي»، فكأن الوصف «سيدة نساء العالمين» متكلف، إذ ربما قرأنا في النصوص «سيدة النساء» فقط؛ لا أنها ليست سيدة نساء

العالميـن، فهـذا مفـروغ منـه، ولكننـي أتكلـم عـن التعبيـر.

مـا أجمـل التعبيـر «وَأُخْلِسَـتِ الزَّهْـرَاءُ، فَمَـا أَقْبَـحَ الْخَضْـرَاءَ وَالْغَبْـرَاءَ» مـع مـا فيـه مـن الأسـى، فقـد اختطفـت الزهـراء عليها السلام منـه اختطافـاً سـريعاً وكأن ذلـك حصـل خلسـةً؛ وهـا قـد وجـد نفسـه وحـده فقـد انقلـب جمـال السـماء والأرض قبحـاً.

وتسـاؤل حـول «وَهَـمٌّ لَا يَبْـرَحُ مِـنْ قَلْبِي»، لأن الهـم يسـكن العقـل وليـس القلـب، ولكـن ربمـا أراد عليه السلام بالقلـب العقـل.

«كَمَـدٌ مُقَيِّـحٌ، وَهَـمٌّ مُهَيِّـجٌ، سَـرْعَانَ مَـا فَـرَّقَ بَيْنَنَـا، وَإِلَـى اللَّـهِ أَشْـكُو» إضافـة لمـا وصـف عليه السلام بـه حالـه مـن الحـزن السـرمد والليـل المسـهد؛ وتأكيـد علـى سـرعة الفـراق.

أمـا قولـه واصفـاً حالهـا عليها السلام «فَكَـمْ مِـنْ غَلِيـلٍ مُعْتَلِـجٍ بِصَدْرِهَـا لَـمْ تَجِـدْ إِلَـى بَثِّـهِ سَـبِيلًا، وَسَـتَقُولُ وَيَحْكُـمُ اللَّـهُ وَهُـوَ خَيْـرُ الْحَاكِمِيـنَ» فهـو ممـا يبكـي كل مـوالٍ للزهـراء عليها السلام وهـو يقـرأ شـهادة العالـم بالأمـور تمامـاً - كأن الزهـراء عليها السلام أمامـك وهـي صامتـة قـد نالـت منهـا الكآبـة مـا نالـت وأخـذ الحـزن منهـا مـا أخـذ، دون تنفيـس لمـا فيهـا؛ ولكنهـا سـتقول لـك يـا رسـول اللـه وللـه تعالـى يـوم يحكـم بيـن الزهـراء عليها السلام والظالميـن.

وأمـا إضافـة «وَاهَ وَاهـاً وَالصَّبْـرُ أَيْمَـنُ وَأَجْمَـلُ» إلـى سـلامه التوديعـي فهـي زفـرة حسـرة علـى ذلـك العهـد الجميـل تحـت رعايـة

النبي ﷺ؛ ولا يملك لهذه الحسرة غير الصبر.

وأما الفقرة الأخيرة ففيها ما يؤيد قولي الآنف أنه عليه السلام كان يود لو أنه يستقر عند قبر النبي ﷺ، بل ويجعله واجباً لازماً، بل وكان سينوح كما تنوح النساء الثكالى، ولكنه لا يفعل بتفسير آخر، ليس بسبب ضروريات الدنيا -وهو مؤكد-، ولكن بسبب «غَلَبَةُ الْمُسْتَوْلِينَ» لأنهم كانوا سيخشون من ردة فعل الناس.

ثم هناك المزيد من الشكوى إلى الله ورسوله ﷺ مما جرى على بضعته الزهراء عليها السلام «فَبِعَيْنِ اللَّهِ تُدْفَنُ ابْنَتُكَ سِرّاً، وَتُهْضَمُ حَقَّهَا، وَتُمْنَعُ إِرْثَهَا» - فيها الشكوى من الدفن سرّاً وليس كما يليق بها من الدفن العلني بمشاركة المسلمين جميعاً، كما أن فيها التأكيد على هضم الحقوق، ولكن مع إضافة تفصيل منع الإرث.

ونجد فارقاً صغيراً في قوله «وَلَمْ يَتَبَاعَدِ الْعَهْدُ، وَلَمْ يَخْلَقْ مِنْكَ الذِّكْرُ»، فالعهد غير بعيد، والذكر لم «يخلق» أي لم يصبح ضعيفاً كالثوب الخلق الذي مضت عليه السنون من الاستخدام، وليس لم «يخلُ» كما في نسخة النهج أي لم يعد موجوداً.

وفي هذه النسخة، يختم عليه السلام بالتفريق بين جهة الشكوى وجهة العزاء: شكواه إلى الله تعالى، وعزاؤه في النبي ﷺ.

# شعر

قال مهيار الديلمي (ت ٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م):

يا ابنةَ الطاهرِ كـمْ تُقـ شَرُ بالظُّلمِ عَصـاكِ
شَرَعَ الغـدرَ أخـو غِـ لٍّ عن الإرثِ زَواكِ
واقتدى مِن بعـدِهِ النا سُ فأُردِي وَلَـدَاكِ

وتابعه غيره:

لَهْفَ نفسي فعلى مِثْـ لِكِ فَلتَبْكِ البَواكي
فرحـوا يـومَ أهانـو كِ بما ساءَ أبـاكِ
ولقـد أخبرهُـمْ أ نَّ رِضاهُ في رضـاكِ
دَفَعا النَّصَّ علـى إر ثِـكِ لمّا دَفَعـاكِ

وقلتُ متابعاً:

وَرَّثَتْ رُسْلُ السَّما أجمعُها إلّا أباكِ؟!

ما عدا مما بدا حتى يقولوا قد عَداكِ؟!

لا وحاشى سيِّدَ الرُّسْلِ فَما كانَ رآكِ

تجهلينَ الفَرْضَ من إرثِكِ، ظُلماً جَبَهاكِ

تجهلين الحقَّ في «فَدْكٍ» بما ضَمَّتْ يداكِ

ليتَ شعري أيَّ فِقْهٍ مارسا إذ غَصَباكِ؟

# من كلمات الإمام علي عليه السلام في العلاقة بالله

# وكتابه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم

## «مَنْ عَرَفَ نفسَه فقد عَرَفَ رَبَّه»[١].

كم انتشرت كلمة سقراط «إعرف نفسك» حتى صارت إحدى الكلمات الذائعة التي يقولها الناس على نحو الإرشاد المثمر الذي لا نقاش فيه... وهي كذلك، لأن معرفة النفس على مستوى السطح تعني معرفة نقاط قوتها وضعفها، وهذا من أهم ما يحتاجه الإنسان وهو يواجه المتغيرات في معترك الحياة...

ولكنها تقصر قصوراً شديداً عن الانفتاح على الآفاق العليا، بل على أساس وجود الإنسان، هذا وهو المولى تبارك وتعالى...

إنه بمعرفة الإنسان نفسه فإنه يعرف نقاط قوته ونقاط ضعفه، ما يعينه ليس فقط في تدبير أمور حياته، ولكنه سيعرف أيضاً عظمة الخالق الذي برأ هذه النفس بهذه القدرات العظيمة وهي تطمح وتنطلق لتحقيق ما يبدو مستحيلاً على الجسد التي أسكنت فيه - أي نقاط قوتها -؛ كما يدرك تعالي هذا الخالق المقتدر على هذا الكون، الذي خلقه، وهيمن عليه، ولا تعزب عنه مثقال ذرة

(١) عوالي اللآلي لابن جمهور الإحسائي ج٤ ص١٠٢، التفسير الكبير للفخر الرازي ج١ ص٩١ وج٣٠ ص٧٢١، ومصباح الشريعة المنسوب إلى الإمام الصادق عليه السلام ص١٣، وذكره الطباطبائي في تفسير الميزان ج٦ ص١٦٩، وكتاب مطلوب كل طالب للجاحظ ص٧١، وغرر الحكم ودرر الكلم للآمدي ص٥٨٨، وعيون الحكم والمواعظ للواسطي ص٤٣٠، والتوحيد في القرآن للآملي ص١٨١.

أو أصغر من ذلك فيه، ولا للحظة واحدة أو أقل، تعاليه على هذه النفس الخائفة القلقة التي تجد نفسها بحاجة دائمة إلى المدد الإلهي وإلا لانتهى وجودها...

فلا تعود النفس، بذلك، ذاهلة عن تلك الصلة الدائمة بينها وبين من خلقها، وأدام بقاءها وحاجاتها، ولذلك فقد عبر الإمام عليه السلام بأنها معرفة «الرب» وليس «الإله»، لأن الربوبية عنوان عطاء الله لخلقه بينما الألوهية مستقلة بذاتها... الصلة التي سميت «الفطرة»، أو هي نتاج الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

## «وينطِقُ بعضُهُ ببَعض»[١]

روى الشريف الرضي قول أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«كتاب الله تبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ولا يختلف في الله»...

وهو وصف لكتاب الله بأنه البصر واللسان والسمع، بمعنى أن ننزله بمنزلة السمع والبصر واللسان... ولكن كيف؟

كأنه يقول: إن الكتاب العزيز ينير لنا طريق العلم والمعرفة والحقيقة والتمييز بين المختلف والحذر من الشبهات... وأنه يسمعنا كلام الله الهادي إلى ذلك كله، كما يسمعنا تبيان الكتاب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أيضاً نجعله كالمرشّح (الفلتر) لما نسمع كي نتبين الحق والباطل... وأنه يجعلنا ننطق بالحق والصدق إذا ما دعونا الناس به إليه، أي دعوناهم إلى القرآن بالقرآن، كما ينبغي لنا أن نجعله المنهج العام لما نقول ونتواصل به مع الآخرين.

هذا الكتاب الذي أنصحكم وأحثكم على التبصر والسمع والنطق به -يقول علي عليه السلام- لأنكم ستكونون في أمان من الخطأ في ذلك كله، وذلك لأنه يحوي في ذاته دليل صدقه، فهو «يشهد

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٣٣.

بعضه على بعض»... فما من كلمة أو آية أو سورة صيرتموها لكم أداة بصر أو سمع أو نطق إلا وجدتموها تامة في ذاتها كما ستجدونها تتصاعد في آفاق أخرى في كلمات وآيات وسور أخرى... لماذا؟

لأنه «ينطق بعضه ببعض»:

فتوحيد «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار» تنطق به سورة التوحيد، والعدل الإلهي المطلق «ولا يظلم ربك أحداً» تعضده «وهديناه النجدين»، وعصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم «وما ينطق عن الهوى» نتيجتها «وما آتاكم الرسول فخذوه»، وآية التطهير جعلت من راوي الحديث عليه السلام في آية المباهلة «وأنفسنا وأنفسكم»، ورد شبهة الدهريين «نموت ونحيا ولا يهلكنا إلا الدهر» في «كما بدأنا أول خلق نعيده»...

فأنى لنا تقدير هذه النعمة الكبرى في كتاب حجمه صغير، محتواه ومضمونه أكبر من الدنيا وما فيها، نجده عندنا على طاولة أو رف مكتبة، جعله الله تعالى في متناول أيدينا، يسيراً ميسراً...

## «ولَقد قَرَنَ اللهُ بهِ مِنْ لَدُن أنْ كان فَطيماً»[١]

«ولقد قَرَنَ اللهُ بهِ مِنْ لَدُن أنْ كانَ فَطِيماً أعظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلائِكَتِهِ يَسلُكُ بهِ طَرِيقَ المَكارِمِ، ومَحاسِنَ أخلاقِ العالَم، لَيلَهُ ونَهارَه».

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام (الخطبة المعروفة بالقاصعة ومطلعها: «الحَمدُ لله الَّذِي لَبِسَ العِزَّ وَالكِبرِياءَ، وَاختَارَهُما لنَفسِهِ دُونَ خَلْقِهِ») ذكرٌ للعناية العظمى التي أولاها الله تعالى لنبيه وصفيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم...

فيها يقول:

«وَلَقَد قَرَنَ اللهُ تَعالى بِهِ صلى الله عليه وآله وسلم مِنْ لَدُنْ أَنْ كانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَتِهِ»، فهي عناية خاصة مركزة بدأت منذ وصوله صلى الله عليه وآله وسلم سن الفطام -ولعله سنتان-، وهذه غير العناية التي بدأت منذ انعقاده صلى الله عليه وآله وسلم نطفة في رحم أمه عليها السلام، ما يدلّك عليه ما كانت عليها السلام تشعر به وتراه مما لا يعرف للمرأة الحامل؛ وساعة نزل إلى الدنيا إذا بالمعاجز النبوية تبدأ كما روى المؤرخون؛ وهكذا حتى سن الفطام.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

إلا أن علياً عليه السلام يخبرنا أن العناية الإلهية اتخذت شكلاً آخر عندما بلغ ذلك السن، فقد أوكل الله تعالى مسؤولية التربية ليس لأحد الملائكة، ولا لأحد الملائكة المقربين، ولكن لأعظم الملائكة. هذه المسؤولية هي التربية المباشرة، وإلا فإن الأصل هو العناية الإلهية، وذلك ما روي من قوله صلى الله عليه وآله وسلم «أدّبَني ربّي فأحسَنَ تأدِيبي» (الجامع الصغير للسيوطي وغيره).

وينبغي الانتباه إلى كلمة «قرن به»، فإن الملك العظيم هذا لم يكن يعطي دروسه -لو أردنا أن نعبر بلغة التربية المعروفة عندنا- في أوقات ما من اليوم، بل كان «قريناً به» ملازماً له في كل لحظة من حياته صلى الله عليه وآله وسلم. وذلك من أجل أن...

«يَسلُكُ بِهِ طَرِيقَ المَكارِمِ»، طريق الشمائل الكريمة في حركاته وسكناته وجميع طريقته...

«وَمَحاسِنَ أَخلاقِ العالَمِ»، الأخلاق الحسنة مما تعارف عليه الناس، من الصدق والوفاء والكرم والحلم والمحبة والإنصاف والعطف وجميع الأخلاق الحسنة التي ستفيض من شخصيته المقدسة في حياته كلها...

«لَيلَهُ وَنَهارَهُ»، بمعنى في كل وقت من الليل والنهار - لأن التعبير يدل على الاستمرارية.

ولا شك أن هذه العناية العظمى أوصلت النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى

الكمال الإنساني.

فهل أن هذا له وحده بحيث لا ينبغي التفكير في محاولة اتباعه في ذلك؟

لا شك في أن المستوى الأكمل للكمال الإنساني الذي وصله النبي ﷺ كان متفرداً، كما أكد أئمة الهدى من آل محمد ﷺ في أحاديثهم الصحيحة، ناهيك عن اختياره من بين الخلق لتبليغ الشريعة الخاتمة بكتابها المبين وبالحكمة التي آتاها معه، ذلك التنزيل الهائل ﴿**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيكَ قَولاً ثَقِيلاً**﴾[1]. إلا أن محاولة اتباعه حث عليها الكتاب نفسها ﴿**لقد كانَ لَكُم في رَسولِ اللهِ أُسوَةٌ حَسَنَة**﴾[2]، ثم حث عليها النبي ﷺ نفسه، وأول ذلك في عنايته لربيبه ووصيه وخليفته من بعده علي عليه السلام...

فقد نبه علي عليه السلام بعد ذكره عناية الله بنبيه ﷺ إلى مسألة الاتباع، لا الاكتفاء بذكر تلك السيرة العطرة، فيقول (بعد الكلام موضع البحث):

«وَلَقَد كُنتُ أَتَّبِعُهُ اتِّباعَ الفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرفَعُ لي فِي كُلِّ يَوم عَلَماً مِن أخلاقِهِ، وَيَأْمُرُني بِالاقتِداءِ بِه»، فهو اتباع وصل الغاية في التزام طريق التأسي بسيد البشر ﷺ - كما يتبع ولد الناقة أمه... في تعاهد من النبي ﷺ بحيث أنه يُري علياً عليه السلام كل يوم

(١) المزمل:٤.
(٢) الأحزاب:٢١.

شيئاً من أخلاقه وشمائله، ثم يأمره بالاقتداء، أي السير وفقاً لذلك الخلق.

ولا شك في أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سيفرح أشد الفرح يوم أن يلقى المسلم المؤمن من أهل دينه في الآخرة وقد ملئت صحيفته من العمل وفقاً لشمائله وأخلاقه صلى الله عليه وآله وسلم رغبة في اتباعه صلى الله عليه وآله وسلم، وانتظاراً للدخول في مرضاة الله وعطائه من باب الخلق النبوي العظيم.

## «إنَّ وَلِيَّ محمّدٍ مَنْ أطاعَ الله»[١]

«إِنَّ وَلِـيَّ مُحَمَّـدٍ مَـنْ أَطـاعَ اللـهَ وإِنْ بَعُـدَتْ لُحمَـتُهُ، وإِنَّ عَـدُوَّ مُحَمَّـدٍ مَـنْ عَصَـى اللـهَ وإِنْ قَرُبَـتْ قَرابَـتُهُ»

كلمـة أخـرى مـن أميـر البيـان والبلاغـة مولانـا أميـر المؤمنيـن عليه السلام هـي صـدى للآيـة الكريمـة ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُـم عِنْـدَ اللـهِ أَتْقاكُـم**﴾[٢]، وصـدى للحديـث الشـريف «مـن أبطـأَ بـه عملُـه لـم يُسـرِع بـه نَسَـبُه»[٣].

يعطـي الإمـام علـي عليه السلام تعريفـاً واضحـاً لولايـة النبـي صلى الله عليه وآله وسلم، وهـو طاعـة اللـه تعالـى؛ كمـا يعطـي عليه السلام تعريفـاً واضحـاً لعـداوة النبـي صلى الله عليه وآله وسلم، وهـو معصيـة اللـه تعالـى.

أمـا «الولايـة» فهـي الصفة التي يدعيها المسـلم بمعنى أنـه يناصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويتبعـه ويجلّـه «فَالَّذِيـنَ آمَنُـوا بِـهِ وَعَـزَّرُوهُ» أي احترمـوه وأنزلـوه فـي أنفسـهم وعقيدتهـم وتعاملهـم مكانتـه اللائقـة بـه ﴿**وَنَصَـرُوهُ وَاتَّبَعُـوا النُّـورَ الَّـذِي أُنـزِلَ مَعَـهُ أُولَٰئِـكَ هُـمُ الْمُفْلِحُـونَ**﴾[٤]؛ وأمـا «العـداوة» فهـي الصفـة المتحققـة فـي الإنسـان الـذي يقـف بالضـد مـن النبـي صلى الله عليه وآله وسلم ولا يتبعه.

---

(١) نهج البلاغة، ج٤ الحكمة ٩٦.
(٢) الحجرات:١٣.
(٣) سنن أبي داود رواية ٣٦٤٣، وسنن الدارمي رواية ٣٤٤، وصحيح إبن حبان رواية ٨٤.
(٤) الأعراف:١٥٧.

إلا أن التعريف لم يقصده الإمام عليه السلام لذاته فيما يبدو، ولكن المقصود ربطه بمسألة مدى الارتباط النَّسَبِيّ للإنسان بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم:

ولاية النبي صلى الله عليه وآله وسلم تتحقق في الإنسان إذا أطاع الله حتى وإن كان بعيد النسب عنه صلى الله عليه وآله وسلم؛ عداوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تتحقق في الإنسان إذا عصى الله حتى وإن كان قريب النسب منه صلى الله عليه وآله وسلم.

لذا، نستطيع أن نفهم من كلام أمير المؤمنين عليه السلام أنه:

١- بشارة لبعيدي النسب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (في زماننا هم جميع من لا ينتسبون إلى فاطمة عليها السلام ممن يسمونهم السادة أو الأشراف) أن طاعتهم لله تعالى تضفي عليهم صفة ولاية النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا هو الإطار الذي لا بد منه للفوز في الآخرة

٢- تحذير لقريبي النسب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم «في زماننا هم المنتسبون إلى فاطمة عليها السلام» أن لا يتكئوا على النسب لأنهم إذا عصوا فإن صفة العداوة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم -نعوذ بالله وبه نستجير- ستتحقق فيهم، وهذا هو الخسران المبين.

## «هَمَجُ رَعاعُ أتباعُ كلِّ ناعِق»[١]

ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام تصنيف للناس بحسب قابليتهم للاستفادة من العلم والحكمة والتوجيه، وهو ما جمعه الإمام عليه السلام بكلمة «الخير». قال عليه السلام لصاحبه كميل بن زياد النخعي:

«القلوب أوعية فخيرها أوعاها للخير. احفظ عني ما أقول لك:

الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق».

فإذا كان «القلب» هنا هو «العقل»، وأن العقل ينبغي أن يستثمر في «التّفكّر» - في جلسة منفردة مع النفس أو جلسة ثنائية مع صديق راجح العقل مأمون النفس معين على التفكر راغب فيه (حسب توجيهات القرآن) لأن «التفكّر حياة قلب البصير»[٢] كما أوضح النبي صلى الله عليه وآله وسلم - فإن المنتظر من الإنسان المتفكر المتبصر أن ينظر أين يقف وهو يرى حوله الطرق المتشعبة والتيارات المختلفة والرؤى المتناقضة والصراعات المستمرة... إذا كان ليس غير الهدى

(١) نهج البلاغة، ج٤ الحكمة ١٤٧، وعيون الحكم والمواعظ للواسطي، ص٦٤، تاريخ دمشق لابن عساكر ص٢٥١ رواية ٥٠.
(٢) بحار الأنوار، ج٩٢، رواية ١٧.

إلا الضلال أفلا يجب على المرء أن يدخل في حالة قلق إيجابي دائمة كي لا يحيد عن طريق الهدى فيسقط في الضلال؟

ولكن، إذا كان من الممكن أن يتصاعد الإنسان في أخذه بسبل الأخلاق حتى جعل السقف هو سيد البشر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1]، فإن هناك حدوداً سيقف عندها في نطاق العقل نتيجة محدودية القدرات الذهنية التي يتمتع بها هذا الإنسان مقارنة مع غيره. على أن هذا لا يضيره طالما هو يقوم بما ينبغي له.

فمن تمتع بقدرات عقلية كبيرة، وكان ممن وصل إلى القمم العليا في الخلق والمنهج، فسوف ينال من العلم حتى يصل إلى صفة «عالم ربّانيّ» فهو عالم، وهو في إطار العلم الأسمى، وهو يسير على المنهج الهادي المهدي.

أما من لم ينل من القدرات الذهنية إلا قدراً محدوداً لا يوصله إلى درجة العلماء، لكنه دأب على التعلّم بنية صادقة وبرغبة أكيدة في اتباع طريق الهدى، فأخذ ينهل العلم من أهله، فهو «متعلّم على سبيل نجاة» لأنه يأخذ العلم الصحيح الذي ينجي من طرق الضلال.

وأما من لم يحترم عقله ولم يتوقف دقائق يفكر في الذين يتبعهم وفي الذي يردده من قولهم وفعلهم، فكأنه خرج من

(١) الأحزاب: ٢١.

القالب الإنساني المحترم فصار يوصف بأنه ممن يوصفون بأنهم «همج رعاع»، الذين يتبعون «كل ناعق» بغض النظر عما يقول أو ما يدعو إليه.

وعلّة هؤلاء أنهم لم يتوصلوا إلى العلم الصحيح وبذا فإنهم لم يجدوا النور الذي ينير طريق الهدى من بين طرق الضلال الكثيرة، والسبب هو لجوءهم إلى هذا وذاك، لا إلى المعين الصافي والقناة الطاهرة المطهرة التي يمكن الركون إليها بثقة تامة «ركن وثيق»... فهؤلاء يميلون مع كل ريح، لأن أقدامهم ليست مستقرة في الأرض الثابتة التي سقتها ينابيع العلم من أهله وغذتها أيادي الحكمة التي اصطفاها الله تعالى العليم بخلقه...

هذه الكلمة «همج رعاع أتباع كل ناعق» لعلها من الكلمات التي صارت مثلاً سائراً تستخدم كثيراً لأنها معاشة بشكل مستمر، في كل زمان ومكان... والمؤسف أن هؤلاء هم الكثرة الكاثرة التي يستعين بها الظالمون والضالون المضلّون من أجل استمرار التجهيل والتعتيم والكتمان والافتراء على الحق وأهله... والمؤسف أكثر أن هؤلاء هم أول من يسقط في هذا الفخ، بل أن اتّباعهم كل ناعق هو السقوط بعينه، فساهموا في محاصرة طريق الحق ولم ينتفعوا من الباطل شيئاً...

فلينظر الناظر، وليتفكر المرء، أن يكون من أحد الصنفين الأوليين: العالم الرباني أو المتعلم على سبيل نجاة، وليحذر أيما

حـذر أن يكـون مـن الصنـف الثالـث، الـذي لا يحتـرم عقلـه أولاً، ويشـارك فـي التجهيـل ثانيـاً، ثـم لا ينـال منـه إلا مـا يكـره ثالثـاً.

## «صَلِّ الصّلاةَ لوقتِها... ولا تُؤخِّرْها عن وقتِها لاشْتِغال»[١]

«صَلّ الصلاةَ لوقتِها المؤقَّت لها، ولا تُعَجّلْ وَقْتَها لفراغ، ولا تُؤَخّرها عن وقتِها لاشتِغال»

في آخر وصية له بعد أن ضربه عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله، أوصى أمير المؤمنين عليه السلام بعدة أمور، كان في بعضها يستخدم لفظة «الله الله»، أي «راقبوا الله في هذا» أو «أنبهكم إلى مسؤوليتكم تجاه الله في هذا»؛ فكان منها مثلاً «الله الله في بيت ربكم..». أو «الله الله في الأيتام..»، ومنها «والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم»[٢].

كون الصلاة عمود الدين مما عرفه المسلمون من حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإن الواجب الواضح هو عدم الغفلة عنها. من هذا هو وقت الصلاة، وبالذات صلاة الفريضة اليومية.

في هذه الكلمة «صَلِّ الصَّلاةَ لوقتِها المؤقَّت لها، ولا تُعَجّلْ وَقْتَها لفراغ، ولا تُؤَخّرها عن وقتِها لاشتِغال» يوصي الإمام عليه السلام

(١) نهج البلاغة، الرسالة ٢٧ إلى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر، وتحف العقول لابن شعبة ص١٧٨، وأمالي الشيخ المفيد ص٢٦٠ رواية ٣.
(٢) نهج البلاغة الكتاب/ الوصية ٤٧.

بتعاهد أمر الصلاة في جانب التوقيت: أن يقوم المصلي بإقامة الصلاة في وقتها؛ وهذا يستتبع عدم الصلاة قبل الوقت عندما يجد نفسه في فراغ يريد أن يسده بعمل شيء، وعدم تأخير الصلاة عن الوقت عندما يكون منشغلاً.

ولعلنا لا نجد من المسلمين من يصلي قبل دخول وقت الصلاة علماً من الجميع أن ذلك مبطل للصلاة، ولكننا نجد الكثيرين، إن لم نقل الأكثرية، من يؤخرون الصلاة عن وقتها بسبب انشغالهم بالدنيا وما فيها.

وهنا أمران ربما يبدوان متناقضين:

**الأول**: أن نصيحة أمير المؤمنين عليه السلام مطلقة، فكأنها تقول أترك ما بيدك من أي عمل واذهب إلى الصلاة.

**الثاني**: أن التكليف الشرعي هو الإتيان بالأهم ثم المهم، وعليه فإن هناك حالات كثيرة يجد المسلم نفسه فيها ملتزماً بأداء واجب لا يسعه التخلي عنه من أجل إقامة الصلاة. مثال ذلك الذين يعملون على خطوط إنتاجية لا يمكن إيقافها إلا بعد تمام دورة الإنتاج في هذا الجزء أو ذاك؛ أو الذين يشتركون في فعاليات اجتماعية أو غيرها ويدخل وقت الصلاة ومن المستحيل ترك ما في أيديهم؛ أو -بالطبع- الذين يقفون على المرابض في ثغور المسلمين وجبهات صراعهم مع أعدائهم.

إذاً، ما قصده الإمام عليه السلام بقوله «ولا تُؤَخّرها عن وقتِها لاشتِغال» إما جميع وقتها ما بين دخول وقتها ودخول وقت الصلاة التالية بحيث تصبح الصلاة قضاء، أو هو يعني أول وقت الصلاة (ما يسمى بوقت الفضيلة) ولكن باستثناء الحالات التي لا يمكن ترك العمل فيها كالتي ذكرناها أعلاه، عندها الأمر حسب الظروف.

المهم هو الغاية من هذا التشديد على قضية الوقت وعدم إهماله في إقامة الصلاة - الإمام عليه السلام يريدك أن تتوجه إلى ربك بأسرع ما يمكن -طالما دخل وقت الصلاة- كي تخرج من ضيق الدنيا وهمومها ومحاصرتها لك بقضاياها، وكم منها قضايا ثانوية تافهة في الواقع، إلى المولى عز وجل ورحابة ذلك الوجود الحي الدائم الرحيم الكريم... أنت تقف على نفس البقعة، ولكن بمجرد أن اتجهت ذاتك إلى الله تعالى فإن هذه البقعة تتحول من قطعة أرض يقف عليها إنسان قد أهمته الدنيا وزلزلت تفكيره وحاله إلى إنسان ارتبط بما هو أعلى من كل شيء، فكأنه يطير فوق هذه البقعة - أو قل: جسمه هناك وروحه في الملأ الأعلى...

لو نظرنا إلى المسألة بهذا الشكل ربما لم نتماهل يوماً في الوثوب إلى الصلاة بمجرد دخول وقتها، وهذا سينقلنا إلى الحالة التي ننتظر فيها دخول الوقت كي لا نضيع الفرصة في لحظة توفرها، ثم نبدأ بالتخطيط (البسيط) للتخفف من المشاغل ولو لدقائق قبل دخول الوقت كي نكون على أتم الاستعداد لذلك الانطلاق.

# الفصل السادس

## من قصار كلمات الإمام علي عليه السلام في الإنسان والحياة

## ١- «الناسُ نِيامٌ فإذا ماتوا انْتَبَهوا»[١]

هذه الكلمة العلوية العالية تستخدم المجاز في التعبير بأجمل ما يكون، حيث تقلب ما ترسخ في عقول الناس من مخالفة الحقيقة إلى الحقيقة التي يجب عليهم أن يدركوها، لا إدراك فهم وحسب، ولكن إدراك معايشة في العقل والنفس، وكلما كانت هذه المعايشة مستغرقة لمدة أطول خلال اليوم والليلة كلما كانوا أقرب إلى الحقيقة.

أما المفردات، فواضحة بمعانيها المتعارف عليها:

الناس: بنو آدم، أو البشر.

نيام: من النوم المعاكس لليقظة.

ماتوا: انتهت حياتهم في الدنيا، أو توفاهم الله تعالى.

انتبهوا: التفتوا إلى ما كانوا غير ملتفتين إليه.

---

(١) مائة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام لعبد الوهاب، الفصل ١ الكلمة رقم ٢، كذلك رقم ٢ في مخطوطة الجاحظ.

## المعنى الحرفي والمجاز:

لو اعتمدنا المعنى الحرفي للكلام فإنه لا يستقيم، وذلك لأن الناس ليسوا في حالة نوم دائم أولاً، ولأن الموت يجعلهم مفارقين للدنيا فكيف ينتبهون لها!

وعليه، فإن المجاز هو الذي يجعل الكلام يؤدي غرض الإمام عليه السلام منه.

يصف عليه السلام حال الناس بالنوم، وهذا لا بد وأنه يعني غير النوم المتعارف عليه، عندما يذهب الإنسان إلى فراشه ويسترخي إلى أن يغلب عليه النوم بمعنى خروجه من الإحساس بالحواس الخمس، وانفتاحه إلى عالم مختلف، لعل منه ما يحصل له عندما يرى رؤيا حسنة أو سيئة أو كابوس وما إلى ذلك.

ويؤكد هذا باقي الكلمة «فإذا ماتوا انتبهوا»، لأن هذا يعني أن «الناس نيام» عكس الانتباه «بعد» الموت، في حين أن النوم المعتاد لا يجعلهم منتبهين إلى ما غفلوا عنه في حالة اليقظة.

فالمعنى هو أنهم «نيام عن الذي سيلتفتون إليه بعد الموت»...

وهذا هو العالم الآخر، الذي يبدأ من خروج الروح من الجسد بشكل نهائي (لأنها تتحرك بشكل أرحب في حالة النوم كما نصت الآية المباركة **﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي**

**قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[1])، ثم القبر، والبرزخ، وإلى القيام ليوم الدين، وما فيه من حساب وصراط وغير ذلك، ثم إلى النعيم أو العذاب -نعوذ باللّه وبه نستجير-.

فالإنسان في حياته الدنيا أثناء ساعات اليقظة و«كأنه نائم» نتيجة الغفلة الناتجة عن حجب المادة التي تباعد بينه وبين العوالم الأخرى، وما فيها من حقائق عظيمة، مرتبطة بالأرواح ولا تكتفي بالأجساد المادية التي تبلى بعد الموت، بل التي -في الواقع- تضعف شيئاً فشيئاً قبل الموت، ومنذ ما بعد عمر الشباب بقليل ليس إلا.

بعد الموت «إنتبهوا»، لأنهم «تحرروا» من سجن الجسد المادي الذي ساعد نفوسهم على أن تبقى أسيرة الماديات، فكأنها نائمة عن الانتباه إلى ما حولها.

## النصيحة ضمناً:

ولا شك في أن هذه الكلمة تنطوي على نصيحة ضمناً: أن يا بني آدم «إنتبهوا من الآن» لهذه الحقيقة أولاً، ثم «انتبهوا من الآن» إلى ما يمكن أن تنفتحوا عليه من تلك الحقائق ما بعد الموت حسب الإمكان، وهو ما لا يكون إلا بالرياضات الروحية أو بالتوفيق الإلهي

(١) الزمر:٤٢.

لمن يشـاء، أو بالاثنتيـن معاً. وأقل درجـة في هذا ما هو متـاح للأفهام من السـعي للسـير حسـب الأخلاق السـامية التي يريدها الحق تعالى، إضافـة إلـى ما هو مفروغ منـه مـن أداء الواجبات وتـرك المعاصي، ثم الاسـتزادة من المسـتحبات والابتعاد عن المكروهات، مـا كله في إطار التقوى، وحسـب الممكن ﴿**فَاتَّقُـوا اللَّهَ مَا اسْـتَطَعْتُمْ**﴾[1].

❁❁❁

(١) التغابن: ١٦.

## ٢- «قِيمةُ كُلِّ أمرِءٍ ما يُحسِنُه»[١]

من أجمل كلماته عليه السلام وأشدها تشجيعاً للإنسان كي يقوم بالتقييم - لنفسه وغيره - بالشكل الصحيح.

ذلك أن المجتمع درج على تقييم الناس من خلال جوانب متنوعة فيهم:

- النسب.
- الوجاهة العائلية في المجتمع.
- الجمال التكويني في الوجه والجسم.
- الأناقة في الملبس والمظهر والهيئة عموماً.
- المهن.
- المناصب الوظيفية.
- القدرات المالية.
- الكثرة العددية الداعمة، من عشيرة في المجتمعات

(١) مائة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام لعبد الوهاب، الفصل ١ الكلمة رقم ٦ ، رقم ٥ في مخطوطة الجاحظ.

العشائرية، أو من عائلة كبيرة وتفرعاتها في المجتمعات المدينية، أو حتى عدد الأولاد المباشرين.

◆ القدرات الذهنية، من ذكاء وقوة حافظة وإمكانيات في البحث والنظر.

◆ الأخلاقيات - الأخلاق العامة كما أخلاقيات التعامل مع الآخرين.

◆ الالتزام الديني.

◆ ما يتمكن منه الإنسان من صنعة أو مهنة أو قدرات متميزة، بدرجة أو أخرى.

فما هو تفسير الكلمة على ضوء ذلك؟

## التفسير الأول:

في هذا الوجه، هناك -مما عددناه أعلاه- أحد عشر جانباً لا تندرج تحت هذه الكلمة العلوية، وجانب واحد فقط هو الذي يندرج تحتها، وهو الأخير.

فإن ما يتمكن منه الإنسان من صنعة أو مهنة أو قدرات متميزة هو الذي «يحسنه» في الذي يقوم به في حياته من أفعال وأقوال.

فهل أن أمير المؤمنين عليه السلام يهمل هذه الجوانب الأحد عشر

الأخرى، أو هو يبالغ في الجانب الثاني عشر لأهميته بما يفوق تلك الجوانب التسعة - فرادى أو مجتمعة؟

إن «حُسن» العمل في صنعة تأتي بتقييم اجتماعي من قبيل «فلان نجار ممتاز»، و«فلانة مهندسة ماهرة»، و«فلان محام يعرف مداخل القانون ومخارجه»، و«فلانة خياطة مبدعة»؛ وهكذا في النقيض: «فلان مدرس فاشل»، أو «فلانة طبيبة ضعيفة الخبرة»... هناك ربط بين ما يقوم به المرء من صنعة أو مهنة ومستوى ذلك القيام.

إن هذا العمل لا يخرج عن أنه عطاء للنفس والآخرين والمجتمع ككل، والذي يمكن أن يصل إلى فتوحات على مستوى العالم عندما يتمكن عالم ما من اختراع آلة أو اكتشاف قانون طبيعي يكون له آثار كبيرة تغييرية للبشرية جمعاء.

## التفسير الثاني: إطار أبعد:

هنا ستندرج، مع ما يتمكن منه الإنسان في صنعته، الأخلاقيات والالتزام الديني - وذلك لأن هذين التاليين يتعلقان بما هو أعلى من العطاء في الصنعة والعمل، وهو الآخرة.

صحيح أن العطاء في الصنعة والعمل، وهو «ما يحسنه» في مهارات الصناعة والعمل على أنواعه مما أشرت إليه أعلاه، يمكن أن يكون الطريق إلى رضوان الله تعالى والسعادة الأخروية، ولكنه يمكن أن يكون على النقيض، بحيث أن قيمته تنقص كثيراً

اعتماداً على النية في العمل كما على الأمور الأخرى التي تدخل في دعمه لعمله، وبعضها مما يسخط الله عز وجل، كما في النتائج المترتبة على ما يحسنه مما قد يكون مضراً أو حتى كارثياً للمجتمع بل والبشرية عموماً.

في حين أن حسن الأخلاق مع الناس، والالتزام الديني، مما يوصل إلى رضوان الله تعالى...

هذا ونحن نتحدث عن الأخلاق في إطار محبة الآخر وإطار الرغبة في مرضاة الله، وليس الأخلاق التي تستهدف الربح الدنيوي أو حتى النيل من الآخرين بشكل ملتوٍ..

كذلك الالتزام الديني، لأن منه ما هو مخدوش في هذا الجانب أو ذاك من الأخلاقيات أو الأوامر والنواهي الشرعية، بل منه ما هو رياء للناس بشكل كامل أو شبه كامل، حتى يتوصل من خلاله إلى الربح الدنيوي المجرد.

ولكن:

هل يمكن أن توصف «الأخلاقيات» أو «الالتزام الديني» بكلمة «ما يحسنه»؟

نعم، يمكن في إطار أنه يحسن تلبية متطلباتها، من صدق النية - ما لا يعلمه حقاً إلا الله تعالى - وحسن السمت والطريقة، والأهم

فيما هو ظاهر للناس التعامل الحسن الرفيق والمحبة، وبذل الجهد في مساعدة الناس، وإصلاح ذات البين، والصبر على الناس وعلى مشاكل الحياة، وغيرها من الأخلاق المجتمعية النبيلة.

## أخيراً، إلفات:

لو تأملنا الجوانب الأحد عشر التي ذكرتها أول الكلام لوجدنا أن نحو نصفها ليست من صنع الإنسان نفسه، بل هو عطية من الله تعالى، له مباشرة (مثلاً: جمال الصورة والذكاء)، أو من خلال آخرين (مثلاً: الكثرة العددية الداعمة)، وهذا يستدعي أن ينتبه الإنسان إلى هذه النعم فيشكرها من المنعم تعالى، كما من الذين جعلهم تعالى سبباً في حصول المرء عليها. كما يستدعي من المجتمع أن يقيّموا الناس على الأساس المتوازن الواعي. فإننا نجد مثلاً المديح الكبير للفتاة الجميلة والتعاطف مع تلك غير الجميلة، مع أن الجميلة لم تصنع جمالها، ولكن المديح يجعلها تفخر بذلك وربما تركز تفكيرها فيه دون غيره. أو مثلاً نجد في المقارنة بين طالب عالي الذكاء وطالب آخر ذكاؤه محدود يعوضه بالاجتهاد، نجد أن الناس يثنون على الأول ويذكرون الثاني أنه يدرس دون انقطاع - وكأنها مثلبة - ليس كالأول الذكي! وهكذا الدنيا وتقييماتها.

## ٣- «المرءُ مَخبُوءٌ تحتَ لِسانِه»[١]

على الرغم من أن الكلمة واضحة -كما أفهمها- في أن اللسان هو العضو الذي في الفم، فيكون المعنى:

أن الإنسان يختفي في ما يضمره من عواطف أو ما يعتقده من أفكار وآراء، فلا نعرف ما يضمره ولا ما يفكر فيه، ولكن عندما تنطلق هذه العواطف والأفكار، مترجمة على شكل كلمات، من لسانه (وسائر الآلات التي تجعل النطق ممكناً - عضلات الفم والوجه، والأسنان، والحبال الصوتية الخ)، فإن خفاءه ينتهي ويصبح مكشوفاً -في عواطفه وأفكاره- للآخرين...

على الرغم من هذا الوضوح، فإنه ينبغي الالتفات إلى أنه يشير إلى الشخصية في ذات الشخص وكيف أنها ربما تنجح في إظهار صورة مغايرة -قليلاً أو كثيراً- عن حقيقتها الداخلية، وأن الله تعالى كما أنعم عليه بهذه النعمة الكبرى - نعمة النطق باللغة التعبيرية المعقدة والمتنوعة - فإنه أنعم على غيره من خلال انكشاف حقيقة الأول للثاني، ما يمنح فرصة التأكد من الإخلاص والصدق والمحبة والشجاعة والذكاء وغير ذلك من صفات نفسية وعقلية لن تكون واضحة دون الكلام.

(١) مائة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام لعبد الوهاب، الفصل ١ الكلمة رقم ٨، رقم ٧ في مخطوطة الجاحظ.

## كلمة مماثلة:

هذه المعاني تقويها كلمة مماثلة له عليه السلام: «**ما أضمَرَ أحدُكم شيئاً إلاَ أظهرَهُ اللهُ في فَلَتاتِ لِسانِه وصَفَحاتِ وَجهِه**»(١).

فهي واضحة في أن إظهار الله تعالى لما أضمره المرء إنما كان بالظاهر من وجهه ولسانه. فهي تلفت النظر إلى «انفلات» الكلمات بالنطق، و«انفلات» المشاعر -وحدها أو بما تصاحب الكلمات- بتعبيرات الوجه، من عبوس وكلوح واحتقان وغضون وزمّ على الشفاه وغير ذلك أو بعكسها من انطلاق الأسارير وارتخاء العضلات والنظر بإقبال إلى الآخر.

## التعليم القرآني:

يقول الحق تعالى عن «الذين في قلوبهم مرض»: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ. وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ**﴾(٢).

فهناك أمران يمكن أن يشيا بما في قلوب «الذين في قلوبهم مرض»:

---

(١) نهج البلاغة، ج٤ الحكمة ٢٦، رواه أيضاً صاحب مائة كلمة الفصل ٣ الكلمة رقم ٤٥، رقم ٨٨ في مخطوطة الجاحظ.
(٢) محمد:٢٩-٣٠.

**الأول:** سيماهم، أي ما تبدو عليه وجوههم.

**الثاني:** عندما يتحدثون فإنهم يظهرون انحرافاً في البيان.

فهذه هي «صفحات الوجه» و«فلتات اللسان»(١).

❁❁❁

---

(١) هاتان الآيتان حرف المفسر «ابن كثير الدمشقي» المقصود منها «الذين في قلوبهم مرض» إلى «المنافقين»، مع أن القرآن واضح في التفريق بينهما ﴿**وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا**﴾، حيث يقول في تفسير آيتي سورة محمد أعلاه: «يقول تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ**﴾ أي: اعتقد المنافقون أن الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين؟ بل سيوضح أمرهم ويجليه حتى يفهمهم ذوو البصائر» إلى آخر كلامه؛ فالقرآن يقول شيء وهو يقول غيره!

ولا أدري ما السبب؛ ولكن لعله ما قبله من الآيات المباركات:

﴿**إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۞ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**﴾.

فإن ﴿**الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى**﴾ **إنما ارتدوا لأنهم** ﴿**قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ**﴾ وهؤلاء ليسوا الكافرين وإلا لسماهم الكافرين، ولكنهم من المسلمين الذين كرهوا بعض ما أنزل الله، قالوا لهم ﴿**سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۞ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**﴾ والآية الأخيرة قاطعة في أنهم من المسلمين، لأنهم لو كانوا كافرين لما قال ﴿**فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**﴾ لأن حبط العمل إنما هو العمل من المؤمن لأن الكافر لا يحتسب له العمل لأن شرطي الإيمان بالله واليوم الآخر غير موجودين.

فلك أن تفكر فيها عسى تتبين من هؤلاء...

## ٤- «المَرءُ عَدوُّ ما جَهِلَه»[١]

كلمة من أصدق الكلمات، نجد صدقها في كل مكان وكل يوم.

فهل أن ذلك لأن قدرات الإنسان الذهنية تقصر عن الذي يجهله فيضيق بذلك ذرعاً فيعاديه؟ أم أن نفسه لا تحتمل أن تجد صاحبها لا يعلم شيئاً ما؟ أم أن نفسه تضيق بكل جديد، فإن جاءه ما يجهله فهو جديد؟

إن المعلومات تنقسم إلى قسمين: ما هو مما يدرك بالعقل، وما هو مما يدرك بالحواس الخمس، والأخيرة تقع ضمن نطاق التجربة التي تنتج استنتاجات تصبح معلومات يتم الأخذ بها بعد إثباتها.

ما يدرك بالحواس الخمس ربما لا يمكن للجاهل به أن يعاديه إلى آخر الدهر، إذ يمكن أن يضيق به أول الأمر ثم لما يأتيه الإثبات الحسي فإنه يخضع له. وإن كان البعض يشتد بالعداوة بحيث يعادي حتى هذا!

وأما ما يدرك بالعقل فإن العداوة معه يمكن أن تستمر إلى ما لا نهاية حتى لو جاءه الإثبات بالدليل القطعي، والسبب فيه هذا هو أن العقل لا يتحكم بذات الشخص، بل إنه خاضع للنفس -

(١) مائة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام لعبد الوهاب، الفصل ١ الكلمة رقم ١٩ (رقم ٣٤ في مخطوطة الجاحظ).

كما قال الإمام علي عليه السلام نفسه: «كم من عقلٍ أسير تحتَ هوىً أمير»(١). وبما أن الدليل القطعي قد قام على تلك المعلومة، ولا يستطيع أن ينفيه ويصرّح أنه لا يريده، لا يحبه، يبغضه، فإنه يذهب إلى أنواع التأويلات الفاسدة، والتي تصل إلى حد المهزلة الفكرية، من أجل أن تسوّغ له نفسه ما اختارت.

هذه العداوة يمكن أن تخرج إلى نطاق الفعل، بحيث تؤسس خطوات عملية باتجاه العدو - وهو ما جهله، فيحاصره ويكتمه ويمنعه من التداول، أو تجاه من يحمل ما جهله وينادي به، فيحاصره وينكل به ويفتري عليه.

## كلمات علوية في نفس الباب:

وللأمير عليه السلام كلمات مشابهة، بعضها مطابقة، كقوله عليه السلام: «الناس أعداء ما جهلوه»(٢)...

ولكن منها ما هو في نفس إطار معاداة ما يجهله المرء، ولكن بإضافة الفعل - كقوله عليه السلام: «من جهل شيئاً عابه»(٣). والخدش من المعلومة بإطلاق صفات سلبية عليها هو في إطار المحاصرة بالاستهزاء والافتراء والتسقيط بأنواعه.

---

(١) موسوعة أحاديث أهل البيت، الشيخ هادي النجفي، ج٧ رواية ٨٦٢٢.

(٢) مطالب السؤول ٥٧.

(٣) كشف الغمة ج٣، ص١٣٧.

ومنها ما يخبرنا عليه السلام بموافقة الكتاب المبين له، قال: «قلت أربعاً أنزل الله تعالى تصديقي بها في كتابه.». ثم ذكر «قلت: من جهل شيئاً عاداه، فأنزل الله: «بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه»[١].

ومنها ما فيه تعليم لنا لحقيقة، إضافة إلى نصيحة بالذي يتوجب فعله: «لا تعادوا ما تجهلون فإن أكثر العلم فيما لا تعرفون»[٢].

ومطابق لها قوله ضمن إحدى خطبه: «فلا تقولوا بما لا تعرفون فإن أكثر الحق فيما تنكرون»[٣].

تصوروا: أكثر العلم فيما لا نعرف، وأكثر الحق فيما ننكر!

ولهذا، يجب أن نتواضع لله تعالى، فلا ننكر شيئاً لأننا نجهله، فكأننا نقول أننا نعلم كل شيء وبما أن هذا لا نعلمه فهو غير موجود! أو بما أننا لا نؤمن به فهو خطأ! فإن كل شيء خاضع للبحث والنظر والدليل...

وكم هي جميلة جليلة كلمة ابن سينا: «كل ما طرق سمعك من الغرائب ذره في عالم الإمكان ما لم يذدك عنه قائم البرهان».

❁❁❁

(١) أمالي الطوسي ٤٩٤/ ١٠٨٢.
(٢) غرر الحكم ١٠٢٤٦.
(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٨٧.

## ٥- «البُخلُ جامعُ لمَساوي العُيوب»[١]

هذه الكلمة: أهي طعن في البخل والبخلاء؟

أ هي نصيحة للناس؟

أ هي حافز للتفكر في ضعف النفس في شحّها وسوء ظنها بالله تعالى؟

أ هي توصيف لهذه الخصلة الذميمة يجمع كل هذا؟

## لماذا يبخل البخيل؟

ما الذي يجعل الإنسان بخيلاً؟

يمكننا أن نفكر في عدة أسباب:

**الأول**: حب المادة وحب التملّك الطاغي، الذي يجعل الإنسان لا يتمكن من الانفصال عما يملكه، فيبخل به عن العطاء.

**الثاني**: غياب محبة الآخرين أو ضعفها بحيث يفشل الإنسان المقتدر في مواساة المحتاجين ببعض ما عنده إذ يبخل به عنهم.

(١) مائة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام لعبد الوهاب، الفصل ٢ الكلمة رقم ٢٥ (الكلمة رقم ٦٧ في مخطوطة الجاحظ نصها «الشّرّ جامع للمساوي والعيوب»).

**الثالث**: الخوف من المستقبل، الخوف من الفقر، أن يعطي مما عنده فينقص ثم يصبح يوماً ما في حالة حاجة لم تكن لتكون لو أنه منع العطاء في الماضي.

فهل من جامع لهذا؟

## العلاقة بالله تعالى هي موضع المشكلة:

لو تناولنا الأسباب الثلاثة أعلاه لوجدنا بينها رابطاً مهماً، بل هو الأهم في حياة الإنسان، وهو العلاقة بالله تعالى. وذلك...

لأن الأول -حب المادة والتملك- إنما يكون بسبب الارتباط الشديد بالدنيا وما فيها، وهذا لا يكون إلا على حساب العلاقة بالله تعالى. فكلما كان الإنسان أقرب إلى الله كلما كانت الدنيا أصغر عنده، والعكس بالعكس.

ألم يقل الإمام علي عليه السلام في وصف المتقين (راجع الفصل الأول): «عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم»[1]؟ هكذا حالتا الكرم والبخل - تنطلقان من درجة الانهماك في الدنيا، إن قلّت زادت مساحة العلاقة بالله فصارت النفس سمحة في العطاء، لأنها تعطي ما لا تجده كثير الأهمية، بعكسه يحصل العكس.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٣.

وأما الثاني -محبة الآخرين- فإن الإنسان المؤمن يكون أشد إيماناً كلما ازداد حباً بالآخرين بما يحب لنفسه، لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[1] بمعنى «لا يؤمن أحدكم الإيمان الأعلى» لأن الإيمان درجات كثيرة وتفاوتها كبير.

فإن إيمانه الأعلى يدفعه تلقائياً للتفاعل مع حاجات المحتاجين، فيندفع للاصطفاف معهم بالعطاء، وهو عكس حالة البخيل الذي لضعف إيمانه فإنه لا يحب الناس كالأول، وبالتالي لا يشعر بالقوة الداخلية للعطاء.

وأما الثالث -خوف الفقر- فهو مرتبط في الحالة المؤسفة من سوء الظن بالله تعالى ووعده بإعانة الخلائق على معايشها، سواء بالرزق من غير احتساب أو بالرزق الذي يأتي عن طريق العمل في الوظائف والمهن والتجارة أو الذي يأتي نتيجة اللجأ إليه سبحانه بالدعاء والتوسل والنذور من أجل الإعانة على سد الخلّة وتفريج هم الحاجة... فهو الوهاب الرزاق... روي عن الأئمة عليهم السلام أنهم كانوا إذا ما احتاجوا إلى المال فإنهم، على العكس من البخل بما عندهم، يتصدقون ببعض ما عندهم من أجل أن يفتح الله لهم أبواب رزقه شكراً منه على ما فعلوه من دعم عباده المحتاجين. البخيل لا يعرف هذا ولا يلتفت إليه.

---

(١) حديث شهير أخرجه البخاري ومسلم.

## ما السبب من وراء هذا الضعف؟

ربما يسأل السائل: ولكن لماذا هذا الضعف في الإيمان أو في الخوف من المستقبل أو في حب الدنيا والتملك؟

يمكن القول أن ضعف النفس يكون حالة أصيلة فيها ﴿**وخُلِقَ الإنسانُ ضعيفاً**﴾[1]، فتأتي ظروف الحياة لتساعدها على الخروج من هذا الضعف بدرجة أو أخرى، أو على السقوط أكثر فأكثر في الضعف.

ظروف الحياة هذه تتضمن عدة أمور:

صعوبات الحياة في النشأة في الفقر أو العيش الرغيد أو ما بينهما؛ الجهل بجوانب العلاقة بالله تعالى، في الثقة بوعده بالرزق، وعدم محبة الآخرين، وعدم الانفتاح على الملذات الروحانية؛ وهذا الجهل سيصبح أشد وطأة إذا ما لم يعده صاحبه جهلاً بل على العكس صار يعده ذكاء أو احتساباً للمستقبل أو اهتماماً صحيحاً بالذات والعائلة مثلاً مهما كانت أحوال المحتاجين؛ التجارب المريرة مع الناس، إذا أحياناً يشعر الإنسان الكريم أنه قد أعطى لمن لا يستحقون، أو أنه قد عومل فيما بعد على عكس ما عاملهم به؛ وهذا ينطوي أيضاً على عدم وصوله في درجة «عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم» إلى ما يجعله محصناً من أن يندم على عطاء أو يتغير إلى البخل.

---

(١) النساء:٢٨.

هل هناك من عيوب أخرى؟

إن البخل يجمع عيوباً أخرى بكل تأكيد.

منها ما هو واضح: الكذب!

فإن البخيل كم يسأل عن مساعدة من محتاج فلا يعطي وهو يصرح أنه لا يريد العطاء، ولكن يدعي عدم التمكن من العطاء.

أو أنه يتوصل إلى المزيد من التملك - نتيجة الجشع المنطلق من الخوف من المستقبل أو من حب التملك - عن طريق الادعاءات الكاذبة بالحاجة بينما هو غني عنها.

ومن العيوب السقوط في ما هو أسوأ: إيذاء الآخرين.

فربما صار البخيل يطعن في الذين يريدون منه المساعدة أنهم كذابون مدعون، أو أنهم يريدون السيطرة على ما عنده.

بل ربما أبعد من هذا - إن البخيل الذي صار يخشى على ما عنده ربما يعمل لدى الظالمين على إيذاء الناس لأنه لا يستطيع رفض ذلك خشية أن يصادروا ما عنده أو أن يمنعوا عنه العطاء.

ولو دققنا في أحوال الناس والنفس فمن المؤكد أننا سنجد المزيد، ولكن في هذا الكفاية.

## ٦- «كثرةُ الوِفاقِ نِفاقٌ وكثرةُ الخِلافِ شِقاقٌ»[١]

الوفاق هو موافقة البعض للبعض الآخر على فكرة أو رأي أو موقف أو مبادرة أو أي فعل أو قول يمكن أن تحصل حوله الموافقة أو المخالفة...

النفاق هو الحالة المعروفة من إظهار شيء يختلف عن الباطن...

وأما الخلاف فهو الحالة المتعارضة بين شخصين أو جماعتين والتي نشأت من «اختلاف» حول فكرة أو موقف أو أي فعل أو قول، فتطور الاختلاف إلى خلاف...

والشقاق هو الابتعاد أو الانفصال بين الشخصين أو الجماعتين نتيجة حدّة الخلاف.

### الوفاق و«كثرة» الوفاق:

الإمام عليه السلام لا يطعن في الوفاق ولكن في كثرة الوفاق، وذلك لأن الوفاق أمر يحصل قطعاً بين أي شخصين أو جماعتين، إذ من غير المعقول أنهما لا يتوافقان على أي شيء، هذا أولاً.

---

(١) مائة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام لعبد الوهاب، الفصل ٢ الكلمة رقم ٢٦ (رقم ٦٨ في مخطوطة الجاحظ).

ثانياً، إن الوفاق مطلوب جداً في الأمور الصحيحة، سواء الأفكار، أو تطبيقاتها على أرض الواقع، أو الطريقة التي تدار بها، أو التفاعل بين الطرفين حول ذلك كله، وإلا فلن يكون هناك وفاق حول البديهيات ولا الأخلاقيات ولا العقائد الحقة ولا الأفكار الإيجابية بكل تأكيد.

فلماذا الطعن في «كثرة» الوفاق؟

لأنه طالما اختلف الناس في أفكارهم، وآرائهم حول هذه القضية أو تلك، وطالما تدخلت أمزجتهم وأذواقهم في القضايا (حيث لا يتخذون المواقف بناء على النظر العقلي وحسب، بل أن الهوى يتدخل، وربما نجد - بالخبرة - أن له اليد العليا)، فإن المتوقع أن يكون الوفاق بقدر معين لا يمكن أن يصل إلى درجة يمكن وصفها بكلمة «كثرة». ذلك أنك إذا وافقت الآخر على الفكرة عموماً فإنه من الممكن، بل المتوقع، أنك ستختلف معه حول بعض التفاصيل؛ إذا وافقته حول مبادرة فإنك يمكن أن تختلف معه حول التوقيت؛ إذا وافقته على التصريح بقول ما فإن الاختلاف يمكن أن ينشأ من الطريقة أو القالب... وهكذا.

وكلما دخلت في الجوانب المختلفة أكثر، ثم في تفاصيلها أكثر، كلما كان من غير المتوقع، بل من شبه المستحيل، أن تحصل حالة «كثرة الوفاق».. وبالتالي ينطلق السؤال:

إذاً كيف حصلت هذه الحالة؟

## «كثرة» الوفاق والنفاق:

لا بد إذاً أن أحد الطرفين لا يظهر ما في داخله من مخالفات للطرف الآخر، كلياً أو جزئياً، ويظهر خلاف ذلك من الموافقة، فيتخذ الموقف النفاقي: إظهار ما ليس في الداخل/ الباطن.

ولكن: لماذا ينافق الشخص شخصاً آخر؟

هل لأنه يخشى سطوة الآخر - وهي الحالة التي يمكن أن تنشأ إذا كان الآخر متسلطاً؟

هل لأنه يحب أن يرضي الآخرين عموماً؟

هل لأنه بطبيعته ميّال إلى السلامة، فلا يحب إظهار المخالفة التي يمكن أن تقود إلى الاختلاف والمشاكل؟

هل لأنه يتزلف إلى الآخر لنيل ما عنده من حظوة تنفعه في مال أو منصب أو حتى لتقوية ثقته بنفسه؟

أسباب متعددة، ينبغي على الطرفين الاهتمام بها، لأن الأول إنما يفعل ذلك ربما لضعف في داخله، والثاني أن لا يفرح بموافقة تنطلق من نفاق، لأن الشخص الأول لا ينفعه بكلمة توجيه أو اعتراض على قول أو فعل يمكن أن يكون فيه ضرر كبير له ولغيره.

## الخلاف و«كثرة» الخلاف:

مرة أخرى، لا مشكلة في تقبل وجود الخلاف، لأن هذا من طبيعة الأشياء، فإن الاختلاف يمكن أن يؤدي إلى خلاف طالما أن الطرفين لم يستطيعا أن يصلا إلى اتفاق، إما بسبب الاختلاف العميق في الرؤى أو بسبب النعرات الشخصية التي تؤثر على التعامل بعقل بارد مع الاختلاف.

ولكن «كثرة» الخلاف يعني الفشل في تحييد الكثير من موارد الاختلاف بحيث يصبح الخلاف «كثيراً» - في موارد كثيرة، في تفاصيل كثيرة، في الآليات، في النظرة إلى الأمور، في طريقة التعامل مع الاختلاف الذي سبب الخلاف.

## خطورة الشقاق:

من المؤكد أن «الوفاق النفاقي» مذموم، ومن الممكن أن يؤدي إلى نتائج سلبية، مثلاً زيادة الخضوع للمستبد، أو ضعف النقد البناء، أو غير ذلك من نتائج النفاق، ولكنه ليس بمستوى خطورة الشقاق. ذلك أن الشقاق يعني الانفصال بين الطرفين إلى درجة ذهاب إمكانية التفاهم، أو حتى ذهاب المودة، بل وحتى الوصول إلى العداوة.

أنظر إلى خطورته في قوله تعالى ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ**

**اللَّـهُ بَيْنَهُمَـا إِنَّ اللَّـهَ كَانَ عَلِيمًـا خَبِيـرًا﴾**[1]، فـإن «الخـوف مـن حصـول الشـقاق»، أي «قبـل» حصولـه، يجـب أن يضـع الطرفيـن فـي حالـة طـوارئ بحيـث يسـتعينان بمـن يمكنهـم أن يلملمـوا الخـلاف.

فالشـقاق يدمـر العلاقـات بيـن النـاس، وهـذا يعنـي تخريـب نسـيج المجتمـع، سـواء داخـل العائلـة الواحـدة أو أبعـد مـن ذلـك. فيجـب الانتبـاه إلـى هـذا التسلسـل فـي المشـكلة:

**أولاً**: تبدأ بـ «اختلاف» في وجهات النظر.

**ثانيـاً**: إن لـم يتـم التوصـل إلـى صيغـة تفاهـم حولـه، فإنـه يتحـول إلـى «خـلاف».

**ثالثـاً**: إن لـم يتـم التوصـل إلـى صيغـة تطـوق الخـلاف فـي حـدود ضيقـة، وجـاء مـورد آخـر مـن الخـلاف، وثالـث، وربمـا أكثـر، فقـد دخـل الطرفـان -ربمـا دون أن يعيـا- فـي حالـة «كثـرة» الخـلاف.

**رابعـاً**: هنـا دخـل الطرفـان -أيضـاً ربمـا دون أن يعيـا- فـي حالـة الـ«شقاق».

**خامسـاً**: وهـذا يمكـن أن ينفجـر إلـى العـداوة الكاملـة، بنـاء علـى الظـروف النفسـية وغيرهـا للطرفيـن.

---

(١) النساء:٣٥.

## «كثرة» الخلاف:

إذاً، وحسب ما يعلمنا الإمام عليه السلام، إذا وصلنا إلى حالة «كثرة» الخلاف فقد دخلنا في حالة «الشقاق»، ربما لأن هذه الكثرة تشير إلى مشكلة في النظر إلى الأمور، وربما تشير إلى مشكلة في التعامل بين الطرفين، بمعنى أنها أبعد من أصل القضية ووجهات النظر حولها.

علماً أن حالة الشقاق إذا وصلت إلى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فإن الأمر يدخل في دائرة الخطر العظيم: ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[1].

❁❁❁

(١) الحشر: ٤.

## ٧- «الجَزَعُ عندَ البلاءِ تَمامُ المِحنة»[١]

هذه الكلمة العلوية الرائعة هي الأخرى من البيان الذي يستبطن النصيحة وإن كان في ظاهره مقتصراً على وصف حالة معينة.

ولنذكر الظاهر أولاً ثم النصيحة التي من ضمن الكلام.

### الجزع، البلاء، المحنة:

هذه المفردات الثلاث جاء بها الإمام عليه السلام في جملة من خمس كلمات فقط، مع أنها مفردات كبيرة جداً في وصف الأحداث التي تنزل بالإنسان، أيضاً تفاعل الإنسان مع الأحداث، ثم نتائج ذلك عليه.

أما «الجزع» فهو الحزن الشديد إلى درجة غير مستحبة، وربما صارت غير مقبولة إذا صاحبها أفعال أو أقوال تدل على انعدام الصبر أو الرضا بالنازلة. ولقد نزل القرآن العظيم بما يحث على الصبر بما لا مزيد عليه، حيث قال الحق تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ

(١) مائة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام لعبد الوهاب، الفصل ٣ الكلمة رقم ٣ (رقم ١٢ في مخطوطة الجاحظ).

**وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۞ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾**[1].

فهذا الجزاء العظيم لا يزهد فيه عاقل.

كما رويت الروايات الكثيرة التي تحث على الصبر وعلى عدم الجزع.

وأما «البلاء» فهو النازلة التي تضرب الإنسان فتزلزل حياته وتوقعه في حالة من الضغط النفسي والألم وربما الكآبة والحزن الطويل. والبلاء -عند المؤمنين- أمر حتمي لأنه تعالى أعلمهم: **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾**، وبتوكيدين: لام التوكيد ونون التوكيد المشددة (التي أضافها إلى نبلوكم، فصارت لنبلونّكم).

وجاءت الروايات الكثيرة جداً في البشرى لمن يتعامل مع البلاء بشكل عقلاني صبور، فلا يشط في حزنه وهمّه وانفعاله إلى الحدود التي تخرجه من التعامل المحمود.

«المحنة» هي تعبير على النتيجة أو الأثر النفسي لـ «البلاء»؛ ومثلها مفردة «امتحان» المشتقة من نفس الجذر، حيث أن الإنسان يدخل في حالة ليست من المعتاد في حياته الرتيبة أو التي تسير

(١) البقرة:١٥٥-١٥٧.

بشكل سلس وربما وفق تخطيط معين (ولهذا سميت الاختبارات المدرسية امتحانات كون الطالب يتم تعريضه للأسئلة التي تجعل معلوماته تحت الضوء الكاشف الذي يخشى الطالب من نتائجه).

## لماذا الجزع؟

هو دليل على أن الإنسان فيه ضعف تجاه تحمل ما ينزل به، وهو ضعف أشد من المعتاد بحيث يخرج عن حالة القصد في التفاعل والتعبير عن الألم الذي يشعر به. وكلما كانت مشاعر الإنسان مرهفة أكثر كلما كان احتمال الجزع أكبر، ولهذا نجد التعبير العاطفي العالي في القول والفعل من الإناث أشد مما هو من الذكور؛ إلا أن بعض الذكور يمكن أن يسقطوا في الجزع بسبب الضعف أو شدة النازلة.

عدم الصبر على فقدان عزيز بالموت، أو على فقدان المال، أو الخسارة في تجارة، أو فقدان موقع أو منصب، أو غير ذلك مما يبتلى به الإنسان، دليل على عدم الوعي التام أن هذه كلها زائلة لأنها من الدنيا الزائلة، فالمبتلى الممتحن لا يريد فكاكاً عن الذي فقده مع علمه المسبق أنه سيأتي اليوم الذي سيفارقه.

## أضاف بلاء إلى بلاء!

الجازع لم يكتف بما حل به، ولكنه تعامل معه بشكل أضاف إليه ما جعله أشد عليه، بحيث - حسب تعبير الأمير عليه السلام - كأنه «أتم» المحنة على نفسه!

ربما كان قد امتُحِن ببلاء قوته خمسون فإذا بجزعه يرفعه إلى قوة مائة كاملة.

## النصيحة العلوية:

لا شك في أن الإمام عليه السلام من أعقل الناس، ولا شك في أنه عليه السلام المرجعية الشرعية بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبالتالي فما يقوله لنا يمثل بالنسبة إلينا التعليم الصحيح، فإن وصف شيئاً فقد وصفه كما يجب، وإن أثنى على شيء أو طعن في شيء فقد أعطاه حقه. ولكن لأنه من أعلام الهدى عليهم السلام فإنه لا يكتفي بالتوصيف للحالة الخطأ، بل يعالجها بطريقة أو أخرى.

هنا العلاج هو نصيحة واضحة ضمناً، لأنه عندما يقول لك أن الجازع «قد أتم المحنة على نفسه» فإنه عليه السلام لا يحتاج إلى أن يكمل الكلام بالقول: لا تجزع، لأن المتلقي العاقل لا يريد أن يدمر حياته بإتمام المحنة على نفسه، بل يريد العكس من الخروج من البلاء إلى حيث السلامة.

## ٨- «الرّاحةُ مع اليَأْس»[١]

يا لها من كلمة من أروع مصاديق «المختصر المفيد»، أو «خير الكلام ما قلّ ودلّ».

فها هي ثلاث كلمات تشدك إليها بشكل لافت؛ إذ كيف يمكن أن يأتي اليأس بالراحة؟!

فاليأس يعني ذهاب أو ضياع الأمل في شيء يرجى تحققه، فكيف يمكن لهذا أن يكون راحة؟

إن سيد البلغاء عليه السلام إنما يلفتك بالضبط إلى الحالة التي أنت عليها عندما تكون ترجو تحقق شيء أو تأمل فيه: تكون منتبهاً، مفكراً، تحسب الحسابات، وتعيد، وترجح الاحتمالات، وتشعر بالخشية من الخيبة، وهكذا في حالة لا بد وأنها تشد الأعصاب من جهة، وربما تدخلك في حالة طوارئ مستمرة يمكن أن تؤثر سلباً على الصحة وعلى سلامة التفكير.

والآن - تصور أن هذا الأمل انتهى، وعلمت أن تحقق ما تريد لم يعد ممكناً، فما الذي يحصل؟

---

(١) مائة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام لعبد الوهاب، الفصل ٣ الكلمة رقم ١٢ (رقم ٤٨ في مخطوطة الجاحظ).

من المؤكد أنك ستشعر بشيء من الحزن أو الخيبة، أو على الأقل الانزعاج، طالما لم تسلط الوعي أصلاً على أن ما تريده ليس بالضرورة مما ينفعك، ولكن هذا الحزن أو الانزعاج مؤقت ليس إلا. أثناء ذلك، وبعد أن ينتهي، ستكون أعصابك قد ارتخت، ولم يعد تفكيرك منصباً على ذلك الأمر، وربما أتيح لك الوقت لتلتفت إلى جوانب أخرى تجعلك أكثر راحة، وخرجت من حالة الطوارئ.

أ ليست هذه راحة؟!

## النصيحة ضمناً:

كما في الكثير من كلماته عليه السلام، ومنها ما اخترته في الكلمات السابقة، فإن هذه الجملة القصيرة تقول لنا: لا تجعلوا مرادكم وآمالكم تدخلكم في حالة من التعب النفسي والبدني بحيث أنها إذا انهارت فإنكم ستشعرون بالراحة، لأن التعب النفسي والبدني مضر، أولاً، وثانياً لأنه من المفارقات أنك تشعر بنفس الشعور -الراحة- سواء تحقق ما تريد أو انهار!

فالإمام عليه السلام ينصحنا أن نُجمِل في طلب الدنيا وما فيها، ولا سيما في الأمور التي تؤدي إلى التعب في آخر الأمر، إذ كم من أمور الدنيا ما يؤدي الاستكثار منها بما يتجاوز القصد، وأسوأ منه الانغماس فيها، إلى الأذى والتعب والألم - وكل ذلك خلاف الراحة التي يطلبها أي عاقل.

## كلمة علوية أخرى مشابهة:

وللأمير عليه السلام كلمة مشابهة، بل أول جملة فيها مطابقة، والثانية شارحة لها من خلال بيان النقيض.

الكلمة هي عليه السلام: «اليأسُ حُرٌّ، والرّجاءُ عبدٌ»[1].

فالجملة الأولى «اليأس حر» تصف اليأس نفسه أنه حر، مع أنه عليه السلام يصف الذي آيس من أمر كان مأمولاً عنده...

والثانية «الرجاء عبد» تصف الرجاء بالعبودية، مع أنه عليه السلام في الحقيقة يصف الراجي بالعبودية.

ذلك أن الذي يئس مما كان يأمله قد ارتاح كما بيناه أعلاه، والراحة تعني انخلاعه مما كان يشده إلى الأمر، فقد تحرر منه.

وأن الذي لا يزال في حالة الرجاء فإنه لا يزال مشدوداً، مفكراً، متلهفاً، قلقاً، وإذا كان من المؤمنين فإنه يدعو ويبتهل وينذر النذور - وكثيراً ما يكون مع عدم التسليم بما سيقع، بل بإصرار على الله تعالى أن يحقق له ما يريد على أية حال -، وكل هذا يعني غياب الحرية من الشد العصبي والنفسي والتفكير المستمر واللهفة والقلق والأرق والخوف من الفشل - وكل هذه إنما هي أصفاد أبعدته عن الحرية وأدخلته في حالة من العبودية... والمؤسف

(١) مائة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام لعبد الوهاب، الفصل ٣ الكلمة رقم ١٨ (رقم ٥٥ في مخطوطة الجاحظ).

أنها عبودية ولم يتحقق الأمل، وربما لن يتحقق، وعندها ستكون عبودية يعقبها حزن وألم وخيبة وغضب... إلا إذا التفت إلى الراحة التي حصلت عنده من اليأس لأن «الراحة مع اليأس»!

## الفارق بين الرجلين:

إن الفارق بين الذي يعيش حالة العبودية في الرجاء والذي لا يعيشها هو الفارق بين حالة عدم الوعي لما لا يعلمه الأول على وجه القطع من الفائدة، ولا لمآلات الأمور فيما لو تحقق ما يريد أو لم يتحقق، وأنه ﴿**لن يُصيبَنا إلا ما كتبَ اللهُ لنا**﴾[1]، و«إنْ مُنِعنا شَكَرنا» كما قال الإمام الصادق عليه السلام[2] لأن المنع عن شيء فيه الضرر، أو ليس هذا وقته، أو أن الله يهيء ما هو أفضل منه، مما يستوجب الشكر وليس الشكوى.

والثاني الذي عنده الالتفات الواعي إلى أن ما يريده، مهما كان يبدو مؤكد النفع، ليس بالضرورة مما ينفعه، أو يمكن أن يكون مما ينفعه ولكن تحققه في وقت ما أو مكان ما أو شكل ما ليس هو الأفضل الذي يريده الله تعالى له.

فالأول يعيش حالة العبودية أولاً والحزن والألم والغضب تالياً، وربما لم يشعر بالراحة التي تحصل مع اليأس مما كان يرجوه؛ بينما الثاني يعيش حالة الحرية أولاً، وتالياً.

(١) التوبة: ٥١.

(٢) ميزان الحكمة، الرسالة القشيرية ص ٢٣٠.

## ٩- «إذا وَصلتْ إليكُم أطرافُ النِّعَم فلا تُنَفِّروا أقصاها بقِلّةِ الشُّكر»[١]

هذه الكلمة واضحة في الربط بين النعمة والشكر، الأمر الذي يعلم الإنسان المؤمن أنه ينتظر منه: أن يشكر النعمة.

ولكن الكلمة العلوية تطرح أمرين:

**الأول**: أن النعم وكأنها على شكل رتل أو أرتال من العطاء، فيها الطرف القريب الذي يأتي وفيها الطرف القصي الذي ينتظر أن يأتي؛

**الثاني**: أن هذا الرتل من العطاء إذا ما بدأ بالقدوم فليس من الضروري أنه سيستمر، لأنه من الممكن أن «ينفر» الطرف القصي نتيجة الفشل في الشكر.

هذا يعني أن الإنسان يجب أن يعيش في حالة التفات دائم إلى النعم التي ينعم الله تعالى بها عليه كي يشكر ما يأتيه منها، الشكر الذي لا يوصف بالقليل «قلّة الشكر»، من أجل أن تبقى النعم تتتابع عليه.

---

(١) مائة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام لعبد الوهاب، الفصل ٣ الكلمة رقم ٣٢ (رقم ٩٧ في مخطوطة الجاحظ).

## درجات الشكر:

أكثر الناس يتصورون أن الشكر على النعمة، أو على أي عطاء (من الله مباشرة، أو منه تعالى بشكل غير مباشر أي عن طريق الناس)، إنما هو الشكر اللفظي بكلمة: شكراً، أو الحمد لله، أو الشكر لله، أو ما شابه... وهذا -على قلّته- لا يقوم به جميعهم!

الشكر درجات متعددة، في قوته، وفي كثرته، وفي نوعه..

وهذا في حالتي النعمة المباشرة وغير المباشرة، لأنه روي «مَنْ لا يشكُر الناسَ لا يشكر الله»[1]، أي أن الله تعالى يحب أن يجمع شكرك على نعمه شكر الناس الذين أوصل إليك نعمه عن طريقهم.

هذا الشكر اللفظي صار من أخلاقيات الدين بحيث أن المصلي يحمد الله تعالى بلفظة «الحمد لله» مرات بعد كل صلاة فريضة. كما يحمده بعد تناول الطعام، وبعد الشراب، وعند الجواب على سؤال السائل عن الصحة والأحوال... ولكن...

ولكن، كم من مجيب يجيب على سؤال: كيف حالك؟ بجواب: الحمد لله، ثم إذا ما ثنّى السائل: وكيف الأمور؟ مثلاً، فإنه ينطلق بسيل من الشكوى؟! فأي شكر هذا؟!

---

(١) سنن أبي داود ج٧ رواية ٤٨١١، وسنن الترمذي ج٣ رواية ١٩٥٤، ومسند أحمد ج١٣ رواية ٧٩٣٩.

على أية حال، الشكر اللفظي هو الأيسر، وهو أول الدرجات.

ذات الشكر اللفظي يتصاعد في درجة أعلى عندما يشعر الشاكر بالنعمة بحيث عندما يتوجه بالشكر فإنه يتوجه بوعي ومشاعر.

وأكثر منه أن تشكر وأنت سعيد بما أنعم الله تعالى عليك، راض بها.

قوة الشكر تختلف من اللفظ المجرد، إلى اللفظ الواعي، إلى المشاعر...

وكلما شكرت أكثر كلما كنت تقترب من الله تعالى، لأنك تقول له أنني ملتفت إلى عنايتك ولطفك بي.

نوع آخر من الشكر هو أن تستخدم النعمة في ما يحبه الله ويرضاه. فتستخدم المال في الإنفاق الخيري، أو الإنفاق في الدعوة إلى الله، أو الجهاد في سبيل الله. وتستخدم القوة والصحة في العمل الخيري أو الجهاد أو إعانة الذين يقومون بهذه الأعمال. وتستخدم الوقت المتاح خارج ما يستغرقه طلب المعيشة والقيام بالعبادة في نفس هذه الأعمال.

هنا أنت تقول للحق تبارك وتعالى:

يا ربّ، إنني أحمدك على هذه النعم بما لا أجعلها وقفاً عليّ،

بل أمدّ منفعتها إلى باقي خلقك، لأنني أعلم أن هذا يرضيك.

وفي جميع هذا، هناك درجات ودرجات ودرجات. وكلما كان ما تقوم به أكثر كلما خرجت من حالة «قلّة الشكر» التي يحذر منها الإمام عليه السلام.

## لماذا الشكر؟

جاء الشكر في آيات متعددة من آيات الكتاب العزيز، كل منها تلفت إلى جانب من جوانب الشكر...

ففي قوله تعالى: ﴿**واشكُروا للهِ إنْ كنتُم إيّاهُ تعبُدون**﴾[1] إلفات إلى أن الشكر بمثابة إثبات على عبودية الشاكر لربه المنعم، أو إعلان أنه يعبد الله تعالى.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ شكَرَ فإنَّما يشكُرُ لنَفسِه**﴾[2] تأكيد لما هو بديهي من أن الله تعالى لا يحتاج إلى شكر الشاكرين، كما يؤكد بعد ذلك ﴿**ومَنْ كفَرَ فإنَّ اللهَ غنيٌّ حَمِيد**﴾، بل أنهم هم الذين ينتفعون من شكرهم ربهم...

هذا الانتفاع من الشكر تؤكده آية الشكر والزيادة..

---

(١) البقرة:١٧٢.

(٢) لقمان:١٢.

## الشكر والزيادة:

وهـي قولـه تعالـى: ﴿لَئِـنْ شَـكرتُم لأزِيدَنَّكـم﴾[١]، وهـي مـن أعظـم الآيـات فـي معناهـا ومبناهـا..

أمـا المعنـى فإنـه تعالـى يعـد الشـاكر علـى النعمـة بالزيـادة فيهـا، وربمـا فـي غيرهـا.

وأمـا المبنـى فإنـه تعالـى - وإن كان لا يحتـاج إلـى توكيـد مـا يعـد بـه لأنـه لا يخلـف الميعـاد - قـام بالتوكيـد، ليـس مـرة واحـدة بـل مرتيـن، فاسـتخدم «لام التوكيـد» أولاً ثـم «نـون التوكيـد الثقيلـة» ثانيـاً فـي قولـه «لأزيدنَّكـم».

وينبغـي الالتفـات أيضـاً إلـى اسـتخدام التوكيـد لفعـل الشـاكر، حيـث قـال «لَئـن» وليس «إن» وحدهـا، فكأنـه يقـول: إنكـم إن شـكرتم حقـاً أو كمـا ينبغـي فإننـي أعدكـم بالزيـادة دون شـك.

## والكفر بالنعمة:

هذا مما ينبغي للمؤمن أن يقيم عليه النائحة كل يوم!

فـإن إهمـال العبـد شـكر ربـه المنعـم عليـه النعـم التـي لا تحصـى، فـي كل سـاعة، بـل فـي كل لحظـة مـن لحظـات وجـوده - فـي جسـمه وعقلـه ونفسـه، وفـي ظروفـه المحيطـة بـه -، بحيـث لا يشـكر اللـه

(١) إبراهيم: ٧.

إلا أقل القليل، إذ ربما يكتفي بالشكر بعد الصلوات المفروضة، وحتى هذه ربما يقوم بها على نحو العادة دون تفكير ودون إحساس بتفضل المتفضل جل وعلا، هذا الإهمال مما يجب أن يؤلم المؤمن بحيث عليه أن يجمع أمره ويواجه حالة الفشل هذه ويقوم بالشكر أكثر وأكثر مما هو عليه...

وهذا ربما من أجل أن يتجنب السقوط في كارثة «كفران النعم»، لأن هذا الكفران سيؤدي إلى البعد عن الله تعالى، وهذا لعمري هو الذي يأتي بالمصائب في حياة الإنسان.

فهو - تعالى - يكمل الآية المباركة، آية الشكر والزيادة، بقوله: ﴿**ولئِنْ كفرتُم إنَّ عذابي لَشديد**﴾[1]، ما يوجب أن نلتفت هنا أيضاً إلى استخدام التوكيد في الاثنتين: فعل العبد «لَئن» ووصف العذاب «لَشديد».

هذه الحالة، حالة الفشل في الشكر، ولو بالحد الأدنى، جعلته تعالى يصف الإنسان بالقول ليس بصيغة فاعل «كافر»، ولكن بصيغة «فَعّال»، وهي أشد صيغة، فقال: ﴿**إنَّ الإنسانَ لَظلُومٌ كَفّار**﴾[2]، فاستخدم «ظلوم» بصيغة «فعول» وهي أشد من «فاعل» ولكن أخف من «فعّال»، ربما لأنه ينجح في أن لا يظلم نفسه أو الآخرين إلا بين الحين والآخر أو في أوقات متباعدة، ولكنه يفشل

(١) إبراهيم:٧.
(٢) إبراهيم:٣٤.

في الحد الأدنى من الشكر لأنعم الله تعالى إلى درجة «الكفران» بحيث يجمع بين عدم الشكر وبين الشكوى والتضجر من قلة هذه النعمة أو تلك، متناسياً أن هذا القليل في هذه النعمة أو تلك لا يعد شيئاً أمام جبال النعم في ما عداها، قال تعالى: ﴿**وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**﴾[1].

## ماذا عن العارفين؟

لا شك في أن الناس يختلفون في درجات علاقتهم بالله تعالى، وفي المجالات كافة... ولا شك في أن العارفين بالله، أو العرفاء أو المتصوفة، يصلون إلى درجات أعلى من الناس العاديين... وهؤلاء على درجات أيضاً، تتصاعد إلى أن تصل إلى مستوى «المصطفين الأخيار» من النبيين والوصيين والصديقين...

إستمع إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام يوضح لأحد العرفاء المتصوفة المشهورين وقد سأله الأخير عن معنى «الفتُوَّة» عنده عليه السلام، فسأله الإمام عليه السلام عن موقفه هو، فقال: «إذا أُعطينا شكرنا، وإذا مُنِعنا صبرنا».

ففاجأه الإمام عليه السلام بالقول أن «الكلاب عندنا بالمدينة (المنورة) تفعل ذلك»!

---

(١) إبراهيم: ٣٤.

فسأله الرجل: «ما الفتوّة عندكم؟»

أجاب عليه السلام: «إنْ أُعطِينا آثَرنا، وإنْ مُنِعنا شَكَرنا»![١]

وقد روي مثلها عن أمير المؤمنين عليه السلام في معنى «التوكّل» حيث قال عليه السلام: «إذا فَقَدنا شَكَرنا وإذا وَجَدنا آثَرنا»[٢] .

يا لها من كلمة مدويّة من شأنها أن تنطلق في عمق الزمان لتنير الطريق إلى هذه البشرية المعذبة، الظالمة لنفسها.

يقول عليه السلام أنه - ومن في درجته من أصفياء الله تعالى - يتجاوزون حتى درجة الشكر اللفظي عندما تأتيهم النعمة المتجددة المعينة إلى الشكر العملي بأن يؤثرون الآخرين بها فيعطونها إلى غيرهم ممن يحتاج إليها...

فمتى يشكرون الشكر اللفظي إذاً؟

عندما تمتنع عنهم النعمة، فيلتفتون إلى أن المنعم عز وجل إنما صرفها عنهم لما هو خير منها:

فلعلها ليست في مصلحتهم؛ أو لعلها ليست في مصلحتهم الآن وخيرها في وقت آخر؛ أو لعله تعالى سيأتيهم بها وزيادة نوعية؛ أو لعله تعالى سيأتيهم بما هو خير منها؛ أو لعله تعالى

---

(١) ميزان الحكمة، الرسالة القشيرية ص٢٣٠.

(٢) مستدرك الوسائل، ج٧ ص٢١٧ رواية ٨٠٧٦.

يحب أن يستمع إلى مناجاتهم ودعائهم أكثر وأكثر...

هكذا هو حال العارفين بالله تعالى، والمتعالين على هذه الدنيا وشؤونها التي تشغلهم عن شكره على كل حال...

## ١٠- «أكثرُ مَصارعِ العُقولِ تحتَ بُرُوقِ الأطماع»[1]

هـذه الكلمـة تربـط بيـن العقـل والنفـس، أو بيـن مـا يمكـن أن يحـدث للعقـل فـي تفاعلـه مـع النفـس...

أو الأصـح: مـا يمكـن أن يحـدث للقـوة الإيجابيـة للعقـل عندمـا تتفاعـل مـع الجانـب السـلبي للنفـس...

## البلاغة العلوية:

**أولاً: مقابلة المفردات:**

عقـول مقابـل أطمـاع، المقابلـة بيـن «العقـول» و«الأطمـاع»، فهـي مقابلـة بيـن العقـل نفسـه ولكـن ليـس مـع النفـس بـل مـع أحـد أهـم سـلبيات النفـس: الطمـع.

مصـارع مقابـل بـروق، هنـا قابـل بيـن مـا يحـدث للعقـول عندمـا تتفاعـل مـع النفـس فـي أحـد جوانبهـا المؤثـرة جـداً -الأطمـاع- فـي شـدة تأثير هـذا الجانـب: البـرق، أي مـا يبهـر الأبصـار، هنـا مجازيـاً مـا يبهـر العقـول.

(١) مائـة كلمـة لأمـير المؤمنـين عليه السلام لعبـد الوهـاب، الفصـل ٣ الكلمـة رقـم ٣٣ (رقـم ٨٤ في مخطوطـة الجاحـظ).

**ثانياً : استخدام الجمع:**

لم يقل عليه السلام «أكثر ما يصرع العقل برق الطمع» مثلاً، ولكنه استخدم الجمع، وهو أبلغ في التعبير:

لأنه يستغرق الكثير من العقول، فيوحي إليك بالكلام عن الناس عموماً وليس عن حالة شخصية هنا أو هناك

لأنه أكثر انسيابية وبالتالي أكثر جمالاً (تعرف ذلك بالمقارنة بين الكلمة العلوية والمثال أعلاه).

**ثالثاً: الصورة:**

تتصور العقول -التي هي من أسمى ما أنعم الله به على الإنسان- ساقطة على الأرض، منحنية، خاضعة، منهارة، ما يجعل الرائي يتساءل: كيف يحصل هذا مع هذه القوة الهائلة المودعة في رأس الإنسان؟

فيأتيه الجواب: إنه الطمع، الذي يعمي هذه العقول ببرقه الساطع؛ فكما يمنع البرق الساطع من الرؤية البصرية إذا ما سطع على العيون فإن برق الشهوات واللذات والمكاسب يمنع العقل من التصرف كما ينتظر، فيضعف ويهتز وينتهي صريعاً...

ولك أن تقول: إن عمى البصر نتيجة البرق في السماء يقابله عمه البصيرة نتيجة البرق من الأطماع المنعقدة في داخل النفس،

وعندها حكمت النفس الأمارة بالسوء على العقل الذي ينبغي أن يكون هو قبطان السفينة...

**رابعاً: الدّقّة:**

كم نشكو في حياتنا من المبالغة في الكلام، فإن أراد أحدنا التعبير عن المشاغل قال: عندي مليون مشكلة! وإن أراد التعبير عن طول المدة التي استغرقها الطريق قال: ألف ساعة! وإن أراد التعبير عن حالة مرضية أصابت جزءاً بسيطاً من جسمه قال: المرض دمّرني! وهكذا.

وإذا كان هذا مقبولاً مفهوماً من أجل جعل المبالغة تأكيداً على المراد، فإنه لا ينبغي أن يكون مقبولاً عند التعبير كتابةً وبالخصوص من الأدباء والباحثين، وأشد منه المختصين في العلوم البحتة والتطبيقية، إذ ينبغي أن يكون التعبير دقيقاً.

هنا، نجد أمير البيان عليه السلام دقيقاً في التعبير عن هذه الحالة -حالة سقوط العقل أمام طمع النفس- بقوله «أكثر»، وهي كلمة مهمة جداً في التعبير، حيث تقول:

ليس جميع العقول، أي أصحابها من الناس، يسقطون تحت بروق الأطماع

هذه العقول التي تسقط يمكن أن تسقط نتيجة أسباب أخرى،

ولكن أكثر هذه الأسباب فعلاً هو الطمع وبريقه الذي لا يقاوم.

## لماذا «تحت»؟

لم يقل عليه السلام «أكثر مصارع العقول في بروق الأطماع» مثلاً، بحيث يجعل مصارع العقل موضعها بروق الأطماع...

ولم يقل عليه السلام «أكثر مصارع العقول نتيجة بروق الأطماع» مثلاً، ذاكراً المسبب والنتيجة...

ولكنه استخدم كلمة «تحت»، وهي كلمة تشير إلى «الجهة النسبية» بحيث صارت العقول «تحت» الأطماع، بدلاً من أن تكون متعالية عليها، كما ينبغي للعقل الذي هو من أعظم نعم الله تعالى.

وبما أن «بروق الأطماع» هي المسببة لـ «مصارع العقول» فإنها أعلى، لأن المسبب أعلى من النتيجة، فتكون العقول «تحت» الأطماع.

ويمكن أن تكون «بروق الأطماع» أعلى لأنها هي التي دلتنا على حال العقل الذي صُرِع؛ بمعنى أننا لا نستطيع الحكم على الشخص المعني أن عقله استسلم للطمع لأن العقل لا يمكن فحص حالته بنفسه، ولكن لأننا وجدناه يتصرف بشكل غير صحيح علمنا أو توقعنا أنه نتيجة للطمع وكيف أنه انبهر ببرقه الذي جذبه إلى

ما يمكن أن يحصل عليه من المادة أو المنصب أو غير ذلك مما يطمع فيه الإنسان فإننا علمنا أن عقله غادر موقعه الصحيح الذي هو الحاكم على النفس الأمارة بالسوء والتي يمثل الطمع بالدنيا أحد أهم عناوين فعلها في الإنسان.

كلمة «تحت» هذه تذكرنا بقول أمير المؤمنين عليه السلام: «كَم مِنْ عَقلٍ أسِير تَحتَ هَوىً أمِير»[1]، فهو يخبرنا بوقوع العقل أسيراً «تحت» إمرة الهوى.

❁❁❁

(١) موسوعة أحاديث أهل البيت، الشيخ هادي النجفي، ج٧ رواية ٨٦٢٢.

## إئتوني بمثله، بل برُبعه، بل بعُشره!

## البيان من علي عليه السلام ومن غيره

## البيان من علي عليه السلام ومن غيره

لا يحتاج المرء أن يتعب نفسه في البحث، فإن أي كلام للإمام علي عليه السلام كفيل في أن يبرز مكانته السامية في البيان. وعليه، لنأخذ الخطبة رقم ١ في الجزء الأول من كتاب «نهج البلاغة» وهو ما اختاره الشريف الرضي رحمه الله من خطب ورسائل وكلمات الإمام عليه السلام... وهي التي «يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم وفيها ذكر الحج وتحتوي على حمد الله وخلق العالم وخلق الملائكة واختيار الأنبياء ومبعث النبي والقرآن والأحكام الشرعية» كما هو عنوانها الذي وضعه الشريف الرضي لها.

حمد الله:

قال عليه السلام: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ وَلَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ وَلَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ وَلَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ وَنَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ».

معرفة الله:

«أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ وَمَنْ قَالَ فِيمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ وَمَنْ قَالَ عَلَامَ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ، كَائِنٌ لَا عَنْ حَدَثٍ مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ، فَاعِلٌ لَا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالْآلَةِ بَصِيرٌ إِذْ لَا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ».

خلق العالم:

«أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا وَلَا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا وَلَا حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا وَلَا هَمَامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا أَحَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا وَلَأَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا وَغَرَّزَ غَرَائِزَهَا وَأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا عَالِماً بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا مُحِيطاً بِحُدُودِهَا وَانْتِهَائِهَا عَارِفاً بِقَرَائِنِهَا وَأَحْنَائِهَا ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتْقَ الْأَجْوَاءِ وَشَقَّ الْأَرْجَاءِ وَسَكَائِكَ الْهَوَاءِ فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاطِماً تَيَّارُهُ مُتَرَاكِماً زَخَّارُهُ حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ وَالزَّعْزَعِ الْقَاصِفَةِ فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ وَسَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ وَقَرَنَهَا إِلَى حَدِّ الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ وَالْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا

دَفِيقٌ ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا وَأَدَامَ مُرَبَّهَا وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا وَأَبْعَدَ مَنْشَأَهَا فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ وَإِثَارَةِ مَوْجِ الْبِحَارِ فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ تَرُدُّ أَوَّلَهُ إِلَى آخِرِهِ وَسَاجِيَهُ إِلَى مَائِرِهِ حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ وَرَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ وَجَوٍّ مُنْفَهِقٍ فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَسَمْكاً مَرْفُوعاً بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا وَلَا دِسَارٍ يَنْظِمُهَا ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً وَقَمَراً مُنِيراً فِي فَلَكٍ دَائِرٍ وَسَقْفٍ سَائِرٍ وَرَقِيمٍ مَائِرٍ».

خلق الملائكة:

«ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلَائِكَتِهِ مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ وَصَافُّونَ لَا يَتَزَايَلُونَ وَمُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ وَلَا سَهْوُ الْعُقُولِ وَلَا فَتْرَةُ الْأَبْدَانِ وَلَا غَفْلَةُ النِّسْيَانِ وَمِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ وَأَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ وَمِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ وَالسَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جِنَانِهِ وَمِنْهُمُ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ وَالْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ وَأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ

الْمَصْنُوعِيـنَ وَلَا يَحُدُّونَـهُ بِالْأَمَاكِـنِ وَلَا يُشِـيرُونَ إِلَيْـهِ بِالنَّظَائِـرِ».

صفة خلق آدم عليه السلام:

«ثُـمَّ جَمَـعَ سُـبْحَانَهُ مِـنْ حَـزْنِ الْأَرْضِ وَسَـهْلِهَا وَعَذْبِهَـا وَسَـبَخِهَا تُرْبَـةً سَـنَّهَا بِالْمَـاءِ حَتَّـى خَلَصَـتْ وَلَاطَهَـا بِالْبَلَّـةِ حَتَّـى لَزَبَـتْ فَجَبَـلَ مِنْهَـا صُـورَةً ذَاتَ أَحْنَـاءٍ وَوُصُـولٍ وَأَعْضَـاءٍ وَفُصُـولٍ أَجْمَدَهَـا حَتَّـى اسْتَمْسَـكَتْ وَأَصْلَدَهَـا حَتَّـى صَلْصَلَـتْ لِوَقْـتٍ مَعْـدُودٍ وَأَمَـدٍ مَعْلُـومٍ ثُـمَّ نَفَـخَ فِيهَـا مِـنْ رُوحِـهِ فَمَثُلَـتْ إِنْسَـاناً ذَا أَذْهَـانٍ يُجِيلُهَـا وَفِكَـرٍ يَتَصَـرَّفُ بِهَـا وَجَـوَارِحَ يَخْتَدِمُهَـا وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَـا وَمَعْرِفَـةٍ يَفْـرُقُ بِهَـا بَيْـنَ الْحَـقِّ وَالْبَاطِـلِ وَالْأَذْوَاقِ وَالْمَشَـامِّ وَالْأَلْـوَانِ وَالْأَجْنَـاسِ مَعْجُونـاً بِطِينَـةِ الْأَلْـوَانِ الْمُخْتَلِفَـةِ وَالْأَشْـبَاهِ الْمُؤْتَلِفَـةِ وَالْأَضْـدَادِ الْمُتَعَادِيَـةِ وَالْأَخْـلَاطِ الْمُتَبَايِنَـةِ مِـنَ الْحَـرِّ وَالْبَـرْدِ وَالْبَلَّـةِ وَالْجُمُـودِ وَاسْـتَأْدَى اللَّـهُ سُـبْحَانَهُ الْمَلَائِكَـةَ وَدِيعَتَـهُ لَدَيْهِـمْ وَعَهْـدَ وَصِيَّتِـهِ إِلَيْهِـمْ فِـي الْإِذْعَـانِ بِالسُّـجُودِ لَـهُ وَالْخُنُـوعِ لِتَكْرِمَتِـهِ فَقَـالَ سُـبْحَانَهُ اسْـجُدُوا لِآدَمَ فَسَـجَدُوا إِلَّا إِبْلِيـسَ اعْتَرَتْـهُ الْحَمِيَّـةُ وَغَلَبَـتْ عَلَيْـهِ الشِّـقْوَةُ وَتَعَـزَّزَ بِخِلْقَـةِ النَّـارِ وَاسْـتَوْهَنَ خَلْـقَ الصَّلْصَـالِ فَأَعْطَـاهُ اللَّـهُ النَّظِـرَةَ اسْـتِحْقَاقاً لِلسُّـخْطَةِ وَاسْـتِتْمَاماً لِلْبَلِيَّـةِ وَإِنْجَـازاً لِلْعِـدَةِ فَقَـالَ فَإِنَّـكَ مِـنَ الْمُنْظَرِيـنَ إِلَـى يَـوْمِ الْوَقْـتِ الْمَعْلُـومِ. ثُـمَّ أَسْـكَنَ سُـبْحَانَهُ آدَمَ دَاراً أَرْغَـدَ فِيهَـا عَيْشَـهُ وَآمَـنَ فِيهَـا مَحَلَّتَـهُ وَحَـذَّرَهُ إِبْلِيـسَ وَعَدَاوَتَـهُ فَاغْتَـرَّهُ عَـدُوُّهُ نَفَاسَـةً عَلَيْـهِ بِـدَارِ الْمُقَـامِ وَمُرَافَقَـةِ الْأَبْـرَارِ فَبَـاعَ الْيَقِيـنَ بِشَـكِّهِ وَالْعَزِيمَـةَ بِوَهْنِـهِ وَاسْـتَبْدَلَ بِالْجَـذَلِ وَجَـلًا وَبِالِاغْتِـرَارِ نَدَمـاً ثُـمَّ بَسَـطَ اللَّـهُ سُـبْحَانَهُ لَـهُ فِـي تَوْبَتِـهِ

وَلَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ وَوَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ وَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ وَتَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ».

اختيار الأنبياء:

«وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَجَهِلُوا حَقَّهُ وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُخْلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ وَمَضَتِ الدُّهُورُ وَسَلَفَتِ الْآبَاءُ وَخَلَفَتِ الْأَبْنَاءُ».

مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم لِإِنْجَازِ عِدَتِهِ وَإِتْمَامِ نُبُوَّتِهِ مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ كَرِيماً مِيلَادُهُ وَأَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ وَطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ بَيْنَ

مُشَبِّهٍ لِلَّهِ بِخَلْقِهِ أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِهِ أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ لِقَاءَهُ وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ وَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مَقَامِ الْبَلْوَى فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً ﷺ وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ وَلَا عَلَمٍ قَائِمٍ».

القرآن وأحكامه الشرعية:

«كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبَيِّناً حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ وَرُخَصَهُ وَعَزَائِمَهُ وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ وَعِبَرَهُ وَأَمْثَالَهُ وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ مُفَسِّراً مُجْمَلَهُ وَمُبَيِّناً غَوَامِضَهُ بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقُ عِلْمِهِ وَمُوَسَّعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ وَبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضُهُ وَمَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ وَوَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ وَمُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ وَبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ وَمُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ مُوَسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ».

ومنها في ذكر الحج:

«وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ يَرِدُونَهُ

وُرُودَ الْأَنْعَامِ وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ الْحَمَامِ وَجَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ يُحْرِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عَلَماً وَلِلْعَائِذِينَ حَرَماً فَرَضَ حَقَّهُ وَأَوْجَبَ حَجَّهُ وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ».

لنأخذ الفقرة الثانية وحسب:

أتركوا جميع الفقرات وانظروا في الفقرة الثانية «معرفة الله تعالى» وأخبروني هل سمعتم بمثل هذا أو بشيء منه؟ لو قرأتموها وحسب شعرتم أنها لم تخرج إلا ممن تفرد في البيان عن الله ورسوله ﷺ؛ فما بالكم لو نظرتم فيها، ولو بالنظرة السريعة والتي ربما تقلب الظنون والشبهات العالقة في العقول بخصوص المولى عز وجل...

إقرأوا قوله عليه السلام: «وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ»؛ يقول إن الإخلاص لا ينتفي من إثبات الصفات لله تعالى، ولكن إن أردت «كمال» الإخلاص فإن عليك أن تعتقد بالله تعالى بذاته المقدسة وحدها بعيداً عن أية متعلقات من صفات

أو غيرها، وذلك لأن كل صفة هي غير الموصوف الذي يتصف بها، والموصوف غير الصفة... فكأن ما نسمعه من المتصوفة في حلقات الذكر عندما يصلون إلى ذكر الله وحده بالقول «هو هو» أو «يا هو» هو صدى لكلام أمير المؤمنين عليه السلام.

ثم «فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ»؛ «كمال» الإخلاص هذا ليس ترفاً فلسفياً، بل إنه يستتبع العلم التام بعيداً عن أي جهل، وذلك لأن وصف الله تعالى بأية صفة تعني قِرانه تعالى مع تلك الصفة، وهذا القِران يعني التثنية أي أنه صار له ثان، وهذا يعني تجزئة الإله الواحد الأحد، وهذا يعني الجهل بحقيقته.

ثم «وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ»؛ هذا الجهل يؤدي إلى الإشارة إليه في مكان أو حيز من مكان، وهذا يؤدي بالقطع إلى إقامة الحد له لأن ما استقر في مكان معين قامت له حدوده الفاصلة عن غيره. وبمجرد أن صار له حد محدود فإنه صار أحد الآلهة وليس الواحد الأحد، أي أنه صار معدوداً من ضمن آلهة كثيرة.

ثم «وَمَنْ قَالَ فِيمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ وَمَنْ قَالَ عَلَامَ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ»؛ من وضعه تعالى في مكان أو تساءل عن مكانه الذي استقر فيه فقد ضمّنه في حيز من مكان (وهو مستحيل لأنه هو خالق المكان، فكيف استقر فيه، وأين كان قبل ذلك؟). كذلك من يريد

أن يضعه في مكان معين فقد جعل الأماكن الأخرى خالية منه.

ثم «كَائِنٌ لَا عَنْ حَدَثٍ مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ»؛ نقلة إلى أصل وجوده سبحانه، ربما ليزيل ما يعلق في الأذهان من المكان والحد أيضاً، أنه تعالى كان ليس نتيجة حادث حدث في زمان معين، وأنه موجود لا عن عدم قبل ذلك، أي ليس كما أوجد هو سبحانه الكائنات من عدم قبلها.

ثم أخيراً «مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ»؛ وهذه كلمة عظيمة جليلة كبيرة ربما لا يستوعبها الكثيرون، بل ربما لا يفهمونها فيضيقون بها! كما أنه ليس في مكان معين «وَمَنْ قَالَ فِيمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ»، وكما أنه لا يوجد مكان خال منه «وَمَنْ قَالَ عَلَامَ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ»، فلا بد للمرء أن يتساءل: إذاً أين يكون هو؟ أجاب الإمام عليه السلام: إنه مع كل شيء، ولكن ليس بمقارنة مكان بحيث يكون في داخل الشيء أو يكون الشيء داخله، وذلك لأنه تعالى ليس الأشياء الأخرى مع أن ذلك ليس لأنه زال عنها - لأن زواله عنها يعني عدم إمكانية وجودها. وتقريب هذا هو أنه تعالى بُعد آخر، شيء آخر، قضية أخرى ليست كما نعلم من غيره، وذلك، وببساطة، لأنه ﴿**ليس كمثله شيء**﴾[1].

يمكن الاستفادة من قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «فمن زعم أنّ الله في شيء أو على شيء، أو يحول من شيء إلى شيء،

(١) الشورى:١١.

أو يخلو منه شيء أو يشتغل به شيء فقد وصفه بصفة المخلوقين، والله خالق كل شيء لا يقاس بالقياس، ولا يشبه الناس، لا يخلو منه مكان، ولا يشغل به مكان، قريب في بُعده، بعيد في قربه، ذلك الله ربنا لا إله غيره»[1].

❁❁❁

(١) بحار الأنوار ج٣ ص٩٠؛ فهو تعالى «لا يخلو منه مكان، ولا يشغل به مكان.

## كتاب مدرسي - المملكة العربية السعودية

لا شك في أن شيعة علي عليه السلام، ولا سيما العلماء والباحثون والمولعون بما روي عنه عليه السلام، يلهجون بذكر كلماته وخطبه ورسائله، وبالخصوص في كتاب «نهج البلاغة»، فليس عجباً أن يصفوا علياً عليه السلام بما يستحقه من تقدمه في البيان والبلاغة والحكمة في جميع ما صح عنه.

ولكن ماذا عن المخالفين؟ لنقرأ ما يقوله المخالفون المنصفون... والنص المختار يأتي من كتاب مدرسي حكومي لأشد الحكومات والدول تشدداً ضد الشيعة، ألا وهي «المملكة العربية السعودية» والتي تتخذ من المذهب الوهابي مذهباً رسمياً للبلاد، وهذا المذهب يكفر الشيعة جملة وتفصيلاً، بصراحة، ودون تردد.

النص من كتاب «الأدب نصوصه وتاريخه» للصف الأول الثانوي، نشر «الإدارة العامة لتعليم البنات»، الطبعة الخامسة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص١٩١[1].

(١) أنشئت «الإدارة العامة لتعليم البنات» في المملكة السعودية في منتصف ستينيات القرن الماضي حيث لم يكن تعليم البنات مسموحاً به قبلها.

عندما جاء المؤلفون إلى قسم الخُطَب، ذكروا ما جاء من خطبة شهيرة عن الخليفة الأول أبي بكر (لعله لم يرو عنه غيرها)، ثم خطبة للخليفة الثاني عمر بن الخطاب، ثم بكلمات للخليفة الثالث عثمان بن عفان (وقد ارتج عليه المنبر فيما يبدو، فقال ما معناه أن الأفعال أهم من الأقوال)، جاؤوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقالو ما نصه:

«عليّ بنُ أبي طالب، رضي اللّه عنه، أعظم خطيب شهدته اللغة العربية، وإذا صح أن جميع الخطب المذكورة في كتاب نهج البلاغة هي للإمام علي، فهو أعظم خطيب شهدته الدنيا».

هذا، وقد نجح المؤلفون في تعداد العوامل التي «كونت عبقرية علي الخطابية، وهي:

١- تربيته في بيت النبوة على يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتتلمذه على بلاغته.

٢- علمه بكتاب الله وتأويله وأسراره وتشريعه ومقاصده.

٣- حياته الحافلة بالأحداث والفتن، وبخاصة بعد توليه الخلافة».

كما، وفي تحليلهم للخطبة التي استخدموها في الكتاب، وصفوا كلامه عليه السلام: «ألفاظ الإمام علي ذات موسيقى مؤثرة، وهي ألفاظ منتقاة ينظمها الإمام في عبارات رائعة التقسيم»، وأن في الخطبة «ظهور أثر الثقافة الواسعة في كلام الإمام، الثقافة القرآنية

والثقافة اللغوية. فهو إلى جانب استشهاده بالقرآن وأحكام الدين يستعمل الأمثال والحكم، وقد يتمثل بالشعر..».

فهذه شهادة دقيقة تماماً، يستطيع حتى طلبة المتوسطة أن يفهموها، ينبغي على الناس أن يلتفتوا إليها، لأنه في خصوص كتاب نهج البلاغة، فإن الشريف الرضي، جامع خطب ورسائل ومواعظ وكلمات الإمام عليه السلام سماه «نهج البلاغة» مما يعني أن أحد أهم أهداف الكتاب، إن لم يكن أهمها، هو الاستفادة من كلامه عليه السلام كطريق منير للخطباء والوعاظ والمتكلمين.

إنه لمن المؤسف حقاً أن يخسر المسلمون هذا النبع الفياض وهم يرون العلماء يهتمون بشرحه وفهرسته وتحقيقه، وهم يرون المدرسين المختصين - من غير أتباع مذهبه الفقهي - يعلنون بأن عند المسلمين أعظم خطيب أنجبته أمة العرب، وأنه ربما يكون أعظم خطيب أنجبته البشرية.

(ولا تفوتنك هذه الكرامة الإلهية، والتي هي في الواقع من أبواب اللطف الإلهي للعباد للتنبيه إلى عبده ووليه عليه السلام: أن المخالفين في الكثير من الأحيان، وربما أكثرها، يصفون علياً عليه السلام بكلمة «إمام» ولا يصفون غيره حتى من تقدم عليه من الخلفاء الذين يعتقدون بأفضليتهم عليه - مع أن صفة «إمام»، وباستخدامها معه خاصة، هي وحدها التي تقول أنه الوحيد الذي يجب أن يكون متبوعاً من الأمة).

## إئتوني بمثله، بل برُبعه، بل بعُشره!

إن الذي يقرأ ما جاء عن غير علي عليه السلام من الخلفاء والحكام والبلغاء والخطباء ومن شئت من الناس يجد الفارق شاسعاً بين كلامه عليه السلام وكلام غيره. بل إن المقارن بين كلامه عليه السلام وكلام أولاده الأئمة عليهم السلام - على عظمة ما جاء عنهم عليهم السلام في نصوص العقائد أو الأحكام أو الأخلاقيات أو الأدعية التي تحوي الكثير - يجد أن كلامهم عليهم السلام لا يصل إلى مستوى كلام أبيهم أمير المؤمنين عليه السلام. نعم، سيجد المتتبع الكثير من نفحاته عليه السلام في خطبهم ورسائلهم وكلماتهم وتعاليمهم السامية، ولكن في الجملة فإن كلامه عليه السلام لا يجارى.

ولهذا أطلب من الذين لا يهتمون بكلامه عليه السلام - في خطبه ورسائله وكلمات الحكمة التي تفجرت من جوانبه، بل وبعض الكلمات التي نطق بها مما لم تكن من قبله - أطلب منهم أن يأتوني بمثل ما جاء عنه عليه السلام، ولن يجدوا، بل بنصفه، بل بربعه أو عشر ما جاء به، ولن يجدوا.

أخيراً، تجدر ملاحظة بخصوص ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خطب ورسائل وكلمات في الروايات الحديثية الكثيرة، حيث أن كل من يكتب من شيعة علي عليه السلام يحاول نفي تهمة رفع علي

عليه السلام فوق منزلة النبي صلى الله عليه وآله، وهي تهمة سخيفة لا تستحق الرد عليها لولا أن الافتراء الذي يخلو من أي شيء من التقوى لا حدود له. ففي البيان كما في غيره من سائر الموارد، لا يصل أحد من الخلق - علي عليه السلام وغيره - إلى مستوى رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك لاختلاف الإعداد الإلهي، ولو أن رسول الله صلى الله عليه وآله عاش لخمسين عاماً أكثر مثلاً فإن الذي كان سيؤثر عنه من الأدعية الطويلة والرسائل والخطب، إضافة إلى كلمات الحكمة والأخلاقيات، ربما سيكون مما هو أعظم مما روي عن علي عليه السلام (شريطة أن يكون هناك جهد في حفظ مثل هذا، وليس العكس). ولكن الحياة القصيرة للنبي صلى الله عليه وآله، وانشغاله بترسيخ الدين للذين هم حديثو عهد به ما يتطلب الكلمات القصار والأدعية القصار، وبعضها من الجوامع الكوامل التي رويت عنه مما هي من عيون الخطاب مع المولى عز وجل وعيون التعاليم للعباد، كل هذا لم يكن مناسباً ومساعداً لما صار مناسباً ومساعداً بعد ذلك لعلي عليه السلام، ثم للأئمة من ولده عليهم السلام، للانطلاق في البيان بهذا الشكل العظيم.

# خاتمة

## تفكّروا فإن «التّفكّر حياة قلب البصير»[١]

إذا وقع هذا الكتاب بيدك -أخي الموالي- فإنك تعلم أن الإمام عليًا عليه السلام هو أمير البيان وقد سمعت العديد، وربما الكثير، من كلماته، سواء المنتقاة من خطبة هنا أو رسالة هناك، أو كلمة قصيرة بتمامها، مما يذكرها الخطباء أو يكتبها المؤلفون، فالأمل أن تستزيد من هذا المعين الصافي من باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وإذا وقع هذا الكتاب بيدك -أخي المخالف- ولم تكن تعلم شيئاً من كلام علي عليه السلام، أو ربما سمعت أنه كان خطيباً مفوهاً وحكيماً عظيماً ولكن لم تسمع من كلامه شيئاً كجزء من حالة التعتيم والكتمان التام لما روي عن العترة الطاهرة عليهم السلام بدءاً من كبيرها عليه السلام، فإني أرجو أن تستفيد من هذا الكتاب كمدخل، أو كما هو عنوانه كإطلالة على كلام علي بن أبي طالب عليه السلام...

وإني لا أدعوك إلى رجل نكرة، ولا حتى إلى صحابي من الصحابة، أو إلى صحابي من كبار الصحابة، ولكني أدعوك لمن

(١) بحار الأنوار، ج٩٢، رواية ١٧.

القربى له، والنشأة المحمدية له، والصهر له، وذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم منه، وبدر له، وأحد له، والأحزاب له، وخيبر له، ومنزلة هارون عليه السلام من موسى عليه السلام له، والضمانة من الضلال بالتمسك به وبأولاده الأئمة عليهم السلام مع القرآن له، والولاية العامة - متصلة منذ ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾[1] في أول الدعوة الإسلامية، مروراً بآية التصدق بالخاتم، وحتى بيعة الغدير أواخر سنة ١٠هـ - له...

وهو بعدُ صاحب المواقف التوحيدية الوحدوية بين المسلمين، القائل بصدق: «لأسالمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا عليّ خاصة»[2]...

عسى أن تزداد معرفة بهذا العبد الصالح الذي لا بد ستلتفت أن من يُعطى هذه البلاغة وهذا البيان لا يمكن أن يكون شخصاً عادياً، بل لا يمكن إلا أن يكون من كبار المصطفين الأخيار...

هذا غير الاستفادة المؤكدة من الاطلاع على هذه الأساليب العلوية في البيان في المناسبات المختلفة، والتي لم أختر إلا أمثلة قليلة جداً منها.

فالقراءة الواعية تعني التّفكُّر، و«التّفكُّر» هو «حياةُ قلب البصير» كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... والله هو الموفق لإحياء القلوب...

---

(١) الشعراء: ٢١٤.

(٢) نهج البلاغة، ج١ الخطبة ٧٤.

تم بحمد الله

# المحتويات

مقدمةُ المركز ..... ٥
مقدمة المؤلف..... ٧

الفصل الأول:
الإمام علي عليه السلام يصف المتقين

عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم ..... ١١
القسم الأول..... ١٤
القسم الثاني..... ٢٠
القسم الثالث..... ٢٤
القسم الرابع..... ٢٨
القسم الخامس..... ٣٢
القسم السادس..... ٣٨
القسم السابع..... ٤٤

## الفصل الثاني:

## من أعظم رسائل الإمام علي عليه السلام

رسالته الجوابية إلى معاوية بن أبي سفيان.....٥٠
القسم الأول.....٥٤
القسم الثاني.....٥٧
القسم الثالث.....٦١
القسم الرابع.....٦٦
القسم الخامس.....٧٢
القسم السادس.....٧٥
القسم السابع.....٨٢
القسم الثامن .....٨٦

## الفصل الثالث:

## كيف يحاسب الإمام علي عليه السلام عمّاله على الأقاليم

رسالته إلى عثمان بن حنيف رضي الله عنه.....٩٤
نبذة عن الصحابي الكبير عثمان بن حنيف الأنصاري ودفاعه عن
الشرعية في البصرة.....٩٥
القسم الأول: ما مشكلة الإمام علي عليه السلام مع تلك الوليمة؟.....١٠٤
القسم الثاني: ضرورة الإمامة وواجب المأموم تجاه الإمام الحاكم....١٠٨

القسم الثالث: ذكر فَدَك، والتنبيه إلى القيمة المنتهية لأملاك الدنيا....١١٤
تأكيد على الرياضة الروحية.....١١٨
القسم الرابع: طريق الدنيا معروف، والمسؤولية تجاه الفقراء.....١١٩
القسم الخامس: عدم الوعي.....١٢٦
علي بن أبي طالب عليه السلام والدنيا.....١٣٢
القسم السابع: رياضة النفس أو الاقتداء بالبهائم!.....١٣٨
القسم الثامن: بعض أحوال حزب الله.....١٤٢
القسم التاسع: أيها الحاكم: إذا أردت ضمانة النجاة فعليك
بأقل من الكفاف!.....١٤٧

## الفصل الرابع:

## تعزية وشكوى عند دفن سيدة النساء عليها السلام

تعزية وشكوى عند دفن سيدة النساء عليها السلام.....١٥٢
الفقرة (١) مكان دفن الزهراء عليها السلام.....١٥٤
الفقرة (٢) توجُّع، وسلوان.....١٥٦
الفقرة (٣) الحزن الطويل.....١٥٩
الفقرة (٤) ظلامة، وطلب.....١٦١
الخلافة وليس الميراث.....١٦٦
الفقرة (٥) وداع، وتوضيح.....١٧٠
شعر.....١٧٧

## الفصل الخامس:

## من كلمات الإمام علي عليه السلام في العلاقة بالله وكتابه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم

«مَنْ عَرَفَ نفسَه فقد عَرَفَ رَبَّه».....١٨٠
«وينطِقُ بعضُهُ ببَعض».....١٨٢
«ولَقد قَرَنَ اللهُ بِهِ مِنْ لَدُن أنْ كان فَطيماً».....١٨٤
«إنَّ وَلِيَّ محمّدٍ مَنْ أطاعَ الله».....١٨٨
«هَمَجٌ رَعاعٌ أتباعُ كلِّ ناعِق».....١٩٠
«صَلِّ الصّلاةَ لوقتِها... ولا تُؤخِّرْها عن وقتِها لاشْتِغال».....١٩٤

## الفصل السادس:

## من قصار كلمات الإمام علي عليه السلام في الإنسان والحياة

١- «الناسُ نِيامٌ فإذا ماتوا انْتَبَهوا».....١٩٨
٢- «قِيمةُ كُلِّ أمرِءٍ ما يُحسِنُه».....٢٠٢
٣- «المرءُ مَخبُوءٌ تحتَ لِسانِه».....٢٠٧
٤- «المَرءُ عَدوُّ ما جَهِلَه».....٢١٠
٥- «البُخلُ جامعٌ لمَساوي العُيوب».....٢١٣
٦- «كثرةُ الوِفاقِ نِفاقٌ وكثرةُ الخِلافِ شِقاقٌ».....٢١٨
٧- «الجَزَعُ عندَ البلاءِ تَمامُ المِحنة».....٢٢٤

٨- «الرّاحةُ مع اليَأْس»........................٢٢٨
٩- «إذا وَصلتْ إليكُم أطرافُ النِّعَم فلا تُنَفِّروا أقصاها بقِلَّةِ الشُّكر».....٢٣٢
١٠- «أكثرُ مَصارعِ العُقولِ تحتَ بُرُوقِ الأطماع».................٢٤١

## الفصل السابع:

## إئتوني بمثله، بل برُبعه، بل بعُشره!

البيان من علي عليه السلام ومن غيره..............................٢٤٧
كتاب مدرسي - المملكة العربية السعودية......................٢٥٧
إئتوني بمثله، بل برُبعه، بل بعُشره!.............................٢٦٠
خاتمة..............................................٢٦٢